المَجَلَّةُ العِراقِيَّة لِعِلمِ النَفسِ الاجتِمَاعي والسِيَاسي

مَجَلَّةٌ عِلميَّةٌ تَصدُرُ عَن الجَمعيَّة العِراقيَّة لِعِلمِ النَفسِ السِيَاسي

الشخصيَّة العراقيَّة

IAPP

2025 8

المَجَلَّةُ العِراقِيَّة لِعِلمِ النَفسِ الاجتِمَاعي والسِيَاسي

مَجَلَّةٌ عِلميَّةٌ تَصدُرُ عَن الجَمعيَّة العِراقيَّة لِعِلمِ النَفسِ السِيَاسي

Editor-in-Chief — رئيس التحرير

لؤي خزعل جبر — علم النفس الاجتماعي السياسي

Editorial Board — هيئة التحرير

جاسم محمد عيدي — علم النفس الإرشادي

علي عبد الرحيم صالح — علم النفس الاجتماعي

مازن حاتم — علم النفس الاجتماعي السياسي

Academic Advisory Committee — الهيئة الاستشاريَّة

خليل إبراهيم رسول — القياس النفسي

فارِس كمال نظمي — علم النفس الاجتماعي السياسي

يوسف حمه صالح — علم نفس الشخصيَّة

علي عبود المحمداوي — الفلسفة السياسيَّة

علي جواد وتوت — علم الاجتماع السياسي

جعفر نجم نصر — أنثروبولوجية الدين

محمد حمود السهر — علم الاجتماع الثقافي

محمد عطوان — العلوم السياسيَّة

2025 8

الجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي

Iraqi Association For Political Psychology (IAPP)

الجمعية العراقية لعلم النفس السياسي، جمعية مدنية عراقية غير حكومية، ذات شخصية قانونية مستقلة، تعمل ضمن رؤية: "**نحو ثقافة سياسية إنسانية تحقق كرامة المجتمع وعقلانية الدولة**"، تهدُف إلى (1) دراسة وتحليل المشكلات والظواهر النفسية الناتجة عن تبادل التأثير بين السياسة والمجتمع، بهدف التوصل إلى استنتاجات وتوصيات تتيح إمكانية ممارسة الضغط الديمقراطي على المؤسسات التشريعية والقضائية والتنفيذية في الدولة بما يكفل أن يكون لمخرجات هذه المؤسسات ونشاطها تأثير إيجابي في بناء الشخصية العراقية، و(2) تقديم المشورة العلمية للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ذات التأثير الحيوي في تشكيل شخصية الفرد، وتبصيرها بالأسس النفسية للسلوك السياسي، وكيفية التحكم به إيجابياً بما يحقق الثقة الاجتماعية المتبادلة بين المواطن والدولة، ويرسخ مفاهيم العدل والحرية، ويعزز النسيج المجتمعي، و(3) نشر ثقافة سياسية مجتمعية إنسانية قائمة على تنمية وعي الإنسان بمسؤوليته عن شؤون الوطن، وتنشيط دوافع المشاركة السياسية السلمية لديه، وتبصيره بحقوقه الدستورية والسياسية والاجتماعية والإنسانية، وتحفيز قيم التسامح والسلام والتعددية وقبول الرأي الآخر، و(4) تبصير الإنسان بمشكلاته الانفعالية والادراكية ذات الأساس السياسي والاجتماعي، وزيادة وعيه بحقوقه النفسية المتضررة جراء ذلك، وتنمية تصورات متماسكة لديه عن هويته الوطنية وعن معنى إنساني للحياة يستحق منه الكفاح والمحاولة، عبر إرشاده إلى الوسائل الموضوعية الكفيلة بتحسين صحته النفسية وترصين شخصيته الفردية والاجتماعية والحضارية، و(5) إقامة أواصر تنسيقية وتفاعلية مع مراكز الأبحاث وأقسام العلوم الاجتماعية في الجامعات، بما يسهم في نشر التفكير العلمي وثقافة المساواة، ونبذ التمييز والعنف، وتفتيت بعض الصور النمطية السلبية العالقة في أذهان المكونات الاجتماعية عن بعضها البعض، و(6) تنشيط العمل الأكاديمي المشترك في اختصاصات علوم النفس والاجتماع والسياسة والتأريخ، بما يؤصل العلاقة البحثية بينها، سعياً لإجتراح تصورات فكرية أكثر عمقاً عن مجمل التأريخ السياسي والاجتماعي للعراق.

تأسَّسَت الجمعيَّة في 1 – 5 – 2017، بهيئة تأسيسيَّة تألَّفَت مِن: الدكتور فارس كمال نظمي (رئيس الجمعيَّة)، والدكتور لؤي خزعل جبر، والدكتور جاسم محمد عيدي، وأُعلِن التأسيس في بغداد بتاريخ 30 – 7 – 2017، ومنذ تلك اللحظة انطلَقت في بناءِ نشاطاتٍ علميَّة نوعيَّة.

البريد الإلكتروني للجمعيَّة: **iraqiapp@hotmail.com**

البريد الإلكتروني لرئيس الجمعيَّة: **fariskonadhmi@hotmail.com**

البريد الإلكتروني لرئيس تحرير المجلَّة: **luaibrhr@yahoo.com**

صفحة الجمعيَّة على الفيسبوك: **الجمعية العر اقية لعلم النفس السياسي**

https://www.facebook.com/IraqiAssociationforPoliticalPsychologyIAPP

صفحة المجلَّة على الفيسبوك: **المجلَّة العر اقية لعلم النفس الاجتماعي والسياسي**

https://www.facebook.com/IraqiJournalofSocialandPoliticalPsychology

قواعد النشر في المجلَّة

1. يُشتَرَط فيما يُنشَر في المجلَّة أن يتصِف بالعمق والدقَّة **العلميَّة والمنهجيَّة**، والصِلَة بالإشكاليَّات المجتمعيَّة، وضمن علم النفس الاجتماعي والسياسي، وما يتصِل بهِ من مقاربات علميَّة. ويتمُّ تقييم النصوص العلميَّة بطريقة سريَّة مِن متخصصين رصينين.
2. تُشتَرَط **أصالة البحث**، وكتابته للمجلَّة بالخصوص، وأن لا يكون منشوراً – كلياً أو جزئياً – في موضِعٍ آخر، مع إمكانية استثناء بعض الدراسات ذات الأهميَّة الخاصَّة.
3. **المجلَّة منفتحة** على كل التخصصات، وكل الاتجاهات، ضمن المواصفات والضوابط والأخلاقيَّات العلميَّة، وكل ما يرد يعبر عن رأي كاتِبِهِ، ولا يعبر – بالضرورة – عن رأي الجمعيَّة أو المجلَّة.
4. لغة المجلَّة هي **العربيَّة**، مع ضرورة تثبيت المصطلحات الانكليزية بدقَّة، كما يمكن نشر نصوص بلغاتٍ أجنبيَّة عند الضرورة.
5. يُعتَمَد **أسلوب APA Style** ، الموثَّق في الطبعة السادسة مِن دليل النشر للجمعيَّة النفسيَّة الأمريكيَّة Publication manual of the American Psychological Association (2010)، في كتابة البحوث، والأساليب المنهجية الموثقة للتخصصات الأخرى عند الضرورة، وكذلك البند الثامِن من **أخلاقيَّات البحث والنشر**، الوارِدة في المبادئ الأخلاقيَّة لعلماءِ النفس ونظام التصرُّف Ethical Principles of Psychologists and Code of Conduct (2017) للجمعيَّة النفسيَّة الأمريكيَّة.
6. يُرسَل البحث، أو المُساهمة، بصيغة **مطبوعة** على Word، بنوعية Sakkal Majalla، وحجم (16 غامق) للعنوان الرئيس، و(13 غامق) للعناوين الداخليَّة، و(13 عادي) للمتن، و(11 عادي) للهامش، مع إرفاق **سيرة ذاتيَّة** موجزة للكاتِب، تتضمَّن تخصصه وشهادته ولقبه وعمله، واهتماماته ومنجزاته العلميَّة، على **البريد الإلكتروني**: (luaibrhr@yahoo.com) أو (ali.salih@qu.edu.iq).
7. يخضع **ترتيب البحوث** في المجلة لضرورات فنيَّة أو موضوعيَّة، ولا صلة لذلك بمكانَة الباحِث.
8. المجلَّة **إلكترونيَّة مجانيَّة**، لا تدفَع – ولا تتقاضى – مبالِغ مقابِل الدراسات المنشورة.

المحتويات

دراسات

الشخصيَّة العراقيَّة بين علم النفس الشعبي وعلم النفس العلمي 7
نظرة نقديَّة لبعضٍ مما كُتِبَ وقيلَ عن الشخصيَّة العراقيَّة
فارس كمال نظمي

الشخصيَّة العراقيَّة في الدراسات الأكاديميَّة العراقيَّة 15
دراسة وصفيَّة - تحليليَّة
لؤي خزعل جبر

الشخصيَّة العربيَّة العراقيَّة 48
تقييم باستعمال استبانة الشخصيَّة غير اللفظيَّة
مارك ستال

شخصيَّة الفَرد العراقي 64
بحثٌ في نفسيَّة الشعب العراقي على ضوء عِلم الاجتماع الحديث
علي الوردي

مقتطفات وترجمات

القوقعيَّة والقَلق في الشخصيَّة العراقيَّة 96
عبد الجليل الطاهر

الشخصيَّة العراقيَّة 104
مُتبنَّيات ومُنطلقات
متعب مناف

تقرير

الشخصيَّة العراقيَّة في 16 Personalities 107

قراءات

الشخصيَّة العراقيَّة: محدود التداول 116
الاستخبارات العسكريَّة وجامعة بغداد تدرُس الشخصيَّة العراقيَّة بِسِريَّة!

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي 122
علي الوردي

الشخصيَّة العراقيَّة: البحث عن الهويَّة 124
إبراهيم الحيدري

شخصيَّة الفرد العراقي 126
باقر ياسين

الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة تحليليَّة 128
موفق ويسي

خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة والشخصيَّة المصريَّة في التأريخ القديم 130
مزهر الخفاجي
أزمة السجالات التخوينية بين العراقيين 134
الندوة العلميَّة للجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي
29 تشرين الثاني 2024

الشخصيَّة العراقيَّة بين علم النفس الشعبي وعلم النفس العلمي

نظرة نقديَّة لبعضٍ مما كُتِبَ وقيلَ عن الشخصيَّة العراقيَّة[1]

فارس كمال نظمي

علم النفس الاجتماعي السياسي، رئيس الجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي

fariskonadhmi@hotmail.com

مُجمَل: تعدُّ الشخصية العراقية من أكثر المباحث التي اختلط فيها المنهج العلمي بالتصورات الشعبية النمطية والتوصيفات المتسرعة والتعميمات المبسطة. ففي أغلب ما كُتب عن الشخصية العراقية- وهو كثير جداً منذ أواسط القرن الماضي حتى اليوم- نجد أن التحيزات الأيديولوجية والإسقاطات النفسية كان لها دور مهم في صياغة مقولات نمطية بعيداً عن الصرامة العلمية المحايدة. ولذلك سعت الدراسة إلى تحديد بعض المغالطات الشائعة لدى عامة الناس ولدى بعض الكتَّاب والباحثين عند إبداء آرائهم أو تقييماتهم للشخصية العراقية، وهي مغالطات متداخلة في بنيتها العقلية أي ليست مستقلة عن بعضها إلا لأغراض الشرح والتوضيح. ومن أهم المغالطات: مغالطة التعميم الخاطئ، مغالطتا المصادرة على المطلوب والاقتباس من خارج السياق، مغالطة الخلط بين النزوعية والموقفية، مغالطة تأثيم الفرد العراقي، مغالطة توصيف الفرد العراقي بازدواجية السلوك، مغالطة تأبيد/ تقديس السرديات التاريخية.

تعدُّ "**الشخصية العر اقية"** من أكثر المباحث التي اختلط فيها المنهج العلمي بالتصورات الشعبية النمطية والتوصيفات المتسرعة والتعميمات المبسطة؛ بل يمكن القول إنها أصبحت حقلاً يدلو الجميع تقريباً بآرائهم فيه، المختصون وغير المختصين، إلى حد التخاصم والتعادي في بعض الأحيان. فليس من المبالغة القول إنها من أكثر الموضوعات تداولاً وانتشاراً وجدالاً لدى العراقيين في المجالين العمومي والاختصاصي، وفي الوقت نفسه من أكثرها التباساً وأقلها خضوعاً للمنهجية الأكاديمية والتمحيص العلمي والإثبات الامبريقي.

فمن بين أوجه التباين المتسرع في المواقف المعلنة من تقييم الشخصية العراقية – لدى الباحثين وعامة الناس على حد سواء- إن البعض يذهب إلى إضفاء التقديس والمثالية عليها فيما يذهب بعضهم إلى ازدرائها والحط من قيمتها؛ ويشكك البعض بوجود شخصية عراقية بالأساس منكراً وجود كيان تاريخي وجغرافي إسمه العراق منذ القدم، فيما يجادل البعض أن هذه الشخصية قديمة جداً ما برحت تطوي القرون بخصائصها "الثابتة" حتى اليوم؛ ويضفي فريقٌ غموضاً شديداً على هذه الشخصية بتشبيهها بصندوق أسود يتطلب فك شفراته، فيما يراها فريقٌ آخر مكشوفة الخصائص لا تتطلب تقصياً متعمقاً. كما يوجد خلط بين مفهومي الشخصية العراقية والهوية

[1] نُشرت هذه الدراسة في مجلة لمحات للعلوم الاجتماعيَّة (2023)، وتُعيد المجلة العراقيَّة لعلم النفس الاجتماعي والسياسي نشرها، بموافقة الكاتِب ورئاسة تحرير مجلَّة لمحات، لكونها تُشكل مدخلاً نقدياً مُهماً.

الوطنية العراقية، إذ يذهب البعض إلى استعمالهما في سياق واحد دون تمييز في مضمونهما ووظيفتهما، فضلاً عن مرادفات عديدة يتم استعمالها جزافاً دون تمحيص، كالعقلية العراقية، والعقل الجمعي العراقي، والسيكولوجيا العراقية، إلى جانب تداخل مفاهيم تأسيسية أخرى في أذهان الباحثين كالشخصية الاجتماعية والشخصية القومية والشخصية التاريخية والشخصية الأساسية والثقافة المجتمعية وغيرها.

وفي أغلب ما كُتب عن الشخصية العراقية- وهو كثير جداً منذ أواسط القرن الماضي حتى اليوم- نجد أن **التحيزات الأيديولوجية والإسقاطات النفسية** كان لها دور مهم في صياغة مقولات نمطية بعيداً عن الصرامة العلمية المحايدة. كما يوجد تصور خاطئ شائع -حتى بين بعض الباحثين- مفاده أن مجرد دراسة سلوك عينات عراقية محددة (مقابلة أفراد أو مراجعة وثائق، أو تطبيق استبيانات، أو ملاحظة بعض السلوكيات)، كفيل بالتوصل إلى تعميمات بشأن شخصية الفرد العراقي. فظل الأمر مقتصراً على رؤى تنظيرية أو ميدانية محدودة جداً يطرحها باحثون دون إمكانية البرهنة المنهجية المستقرة عليها، أو على آراء فردية متباينة يطرحها كتّاب أو ناشطون -اجتماعيون وسياسيون- تعبيراً عن معرفة شعبية ذات توجهات منحازة -إيجاباً أو سلباً- في أغلب الأحيان. إلا إن كل ذلك لا ينفي في الوقت نفسه وجود محاولات عميقة أقدم عليها مفكرون وباحثون عراقيون لمقاربة مفهوم الشخصية العراقية واستجلاء أبعاده، أثارت أسئلة أكاديمية ونقاشاً مجتمعياً على مدى عقود، لكن دون أن تفلح في أن تكون جزءاً مستقراً من معرفة علمية مبرهن عليها.

المعرفة الشعبية نقيضاً للمعرفة العلمية

إن هذه التحيزات والتعميمات والإسقاطات النفسية المشار إليها قبل قليل، قد أنتجت -باجتماعها عبر الزمن- عدداً من المغالطات المنطقية والتشوهات الإدراكية التي اكتسبت قدرة التأثير -بدرجة مهمة- في المخيال الاجتماعي لدى العراقيين بشأن إدراكهم الذاتي "المُتَخيَّل" لخصائصهم النفسية بوصفهم جماعة بشرية تاريخية.

وقبل تحديد هذه المغالطات والتشوهات الإدراكية، قد يكون من الضروري توضيح مفهوم المعرفة الشعبية لكونه ظل ملتصقاً بموضوع الشخصية العراقية إلى حد كبير. فالجنس البشري يتميز بنزعته العامة للثقة بالمعلومات التي يتلقاها من الآخرين بديلاً عن الحقيقة؛ فأصبح خداع الذات والتفكير بالتمني من السمات البارزة في الشأن البشري اليوم، إذ يبدو إن التطور الاجتماعي الإنساني شكّل عقول البشر بطريقة جعلت منهم مخلوقات ترصد بعضها بعضاً تلقائياً، وتنشئ تصوراً توافقياً للواقع وتحافظ عليه بدل أن يكون "حقيقياً". فالناس يفضلون في الغالب الوصول إلى الإجماع، بدل الوصول إلى الحقيقة، لأن ذلك يجنّبهم الغموض والشك وعدم اليقين، ويمنحهم شكلاً من الأمان والنظام والقدرة على التنبؤ (فورجاس، ووبوميستر، 2021). إنهم بهذا المعنى مدفوعون لإنتاج ما يسمى بـ"**المعرفة الشعبية**".

وإن واحداً من أبرز الأمثلة على المعرفة الشعبية هو ما يسمى **بعلم النفس الشعبي** Folk Psychology الذي يعني الطريقة اليومية التي يستخدمها الناس العاديون في فهم أو تفسير أو تبرير أفعالهم أو أفعال الآخرين. ولهذا المصطلح مرادفات أخرى، منها: علم نفس المنطق الشائع Common Sense Psychology، وعلم النفس الساذج Naïve Psychology. وعلم نفس الجنس البشري Homo sapiens Psychology وغيرها (Hutto & Ravenscroft, 2021). وهي جميعاً تشير إلى نزعة لدى الناس العاديين تدفعهم إلى تكوين نظريات خاصة بهم تعينهم على فهم شخصيات الآخرين، وهذا ما يسمى بـ **النظرية الضمنية في الشخصية** Implicit Personality Theory، إذ تضم هذه النظرية مجموعة من الافتراضات التي يكونها الشخص العادي، بطريقة لاشعورية في الغالب، بشأن الارتباطات بين خصائص الشخصية لدى الآخرين (Colman, 2015) . وهذا يعني إن "كل شخص هو عالِم"، أي إن لدى كل شخص حاجة إلى فهم عالمه والتنبؤ به وضبطه. ولكن هذا لا يعني إن الناس علماء محترفون، بل هم **علماء نفس سذَّج**، يقومون ببناء نظريات ضمنية حول الواقع الاجتماعي بشأن أفكارهم ومشاعرهم وخبراتهم. وهذه النظريات تبدو صحيحة وصادقة في نظر معظم الناس العاديين، إلا إنها في الوقت نفسه لا يمكن أن تكون واقعية بالنسبة لعلم النفس العلمي الذي لا يستطيع بناء نظرياته إلا بالاعتماد على ملاحظة الوقائع التي يمكن تأكيد مصداقيتها بإجماع باحثين عديدين (ويجنر وفالتشر، 1988).

وبهذا المعنى، يعد مبحث "الشخصية العراقية" مجالاً خصباً لعلم النفس الشعبي، إذ ينبري الناس عامة في العراق لخوض هذا الموضوع وبناء نظريات ساذجة حوله لكونه يلامس وقائعهم الاجتماعية والشخصية بشكل مباشر. وهم في ذلك يقعون تحت تأثيرين متفاعلينِ ببعضهما: أولاً أنماط الإدراك الاجتماعي الناتجة عن تلاقح عوامل السياسة والاقتصاد والثقافة في وعاء الزمن الاجتماعي، وثانياً النتاجات المعرفية لباحثين وكتّاب ووسائل إعلام تكاد أن تتشابه – على مر الأجيال- في منهجها التعميمي المتسرّع.

وبالتأكيد إن المعرفة الشعبية بشأن الشخصية العراقية لا تقتصر على الجانب النفسي فحسب، بل تتسع لتشمل مجالات تخصصية أخرى (الاجتماع، والتاريخ، والانثربولوجيا) أصيبت بهذا النوع من المعرفة غير العلمية بهذه الدرجة أو تلك، إلا إن المقالة الحالية تختص تحديداً بنقد علم النفس الشعبي وما أنتجه من مغالطات منطقية. وهو ما يمكن عدّه أنموذجاً أو مثالاً لكيفية اختراق المعرفة الشعبية للمعرفة العلمية.

الشخصية العر اقية تحت مجهر المغالطات المنطقية

استدلالاً مما تقدم، يمكن الآن تحديد بعض المغالطات الشائعة لدى عامة الناس ولدى بعض الكتّاب والباحثين عند إبداء آرائهم أو تقييماتهم للشخصية العراقية، وهي مغالطات متداخلة في بنيتها العقلية أي ليست مستقلة عن بعضها إلا لأغراض الشرح والتوضيح. ويقصد بالمغالطة هنا تقديم تصورات أو تقييمات أو تبريرات تبدو منطقية ومطلقة ولكنها قائمة على مقدمات أو حجج

مغلوطة أو مجتزأة من سياقها. وهذه النزعة ليست بغريبة على الباحث النفساني الذي قد يندفع أحياناً لتفسير الظواهر طبقاً لخبراته الشخصية، أي يُسقط خبراته الشخصية على الأحداث بهدف تفسيرها، ممارساً ما يسميه وليم جيمس بـ"مغالطة الباحث النفساني" Psychologist's Fallacy:

1. مغالطة التعميم الخاطئ

إن النظريات الضمنية القائمة على علم النفس الشعبي، يمكن أن تدفع الناس إلى التمسك بتصورات نمطية جامدة -سلبية أو إيجابية- حيال أنفسهم أو الآخرين، تمنعهم من تحقيق فهم موضوعي ومنصف للموضوعات والأشخاص. فكثيرون من عامة الناس يذهبون -مثلاً- إلى **تعميم** خصائص سلبية – تظهر لدى أفراد أو فئات أو في سياق معين- كالتطرف والخضوع وتقلب المزاج وازدواج السلوك على عموم العراقيين، ما يدفعهم للتمسك بموقف سلوكي يتسم بالسلبية واليأس والانتقاص وعدم المبالاة تجاه عموم المجتمع. ونجد آخرين يذهبون إلى تعميم خصائص مثالية على شخصية الفرد العراقي كالشهامة والفطنة والشجاعة والوطنية وعدم الطائفية، ما يجعلهم متجاهلين ومنكرين بل ومبررين للعديد من الظواهر الاجتماعية السلبية القائمة. ففي كلا الحالتين، يتصرف الناس بوحيٍ من اعتقاداتهم وخبراتهم المكتسبة شعبياً دون تمحيص أو براهين علمية، الأمر الذي قد يجعلهم منفصلين عن الواقع بدرجة ما، بما يتركه هذا الانفصال من فجوة بين الناس ومجتمعهم تعرقل إصلاح أوضاع البلاد.

كما نجد لدى العديد من الباحثين والكتّاب، خلطاً أساسياً بين سيكولوجيا السلطة وسيكولوجيا المجتمع، إذ يستسهلون **تعميم خصائص السلطة** ورجالاتها – في القديم والمعاصر- من قسوة وقمع وبطش على خصائص الفرد العراقي، دون تمييز نظري أو مفاهيمي بين المنظومتين. فيجعلون من الفرد العراقي عبر التاريخ إنساناً "تسلطياً" يمارس العنف مع الضعيف والخنوع مع القوي، أي يُسقطون خصائص السلطة على المجتمع، متجاهلين عدداً غير محدود من الأمثلة على الفجوة السلوكية والتناقض النفسي بين المجتمعات وحكّامها عبر التاريخ.

2. **مغالطتا المصادرة على المطلوب والاقتباس من خارج السياق**

تتحد هاتان المغالطتان في إطار علم النفس الشعبي لتدعيم آراء محددة بشأن الشخصية العراقية. فالعديد من الباحثين والكتّاب يذهبون إلى افتراض مقدماتٍ -غالباً سلبية- عن الشخصية التاريخية للفرد أو المجتمع العراقي، ثم يقررون -دون إثبات- أنها "براهين" أو "استنتاجات" مؤكدة عن حقيقة تلك الشخصية (أي المصادرة على المطلوب). ولإثبات ذلك، فإنهم يستعينون بأمثلة محدودة وثانوية ومجتزأة، من أحد المصادر القديمة مثلاً لوصف العراقيين في حقبة تاريخية معينة، أو الإشارة إلى أحداث سياسية عراقية معاصرة منتقاة (أي الاقتباس من خارج السياق) بما يدعم قصدياً وجهة نظرهم المحددة سلفاً.

فمثلاً تجد كتابات كثيرة تصف الفرد العراقي بالقسوة أو حدة المزاج وتقلبه، وهي تفترض ذلك سلفاً بعبارات لغوية نمطية تمتلك سلطة التأثير في القارئ لبساطتها ومطلقيتها واختزالها بما يحقق

المصادرة على المطلوب. ثم تبدأ تلك الكتابات بالبحث في المصادر التاريخية وفي الأحداث المعاصرة عما يثبت ذلك بطريقة انتقائية، أي يتم إخراج حوادث تاريخية جزئية معينة من سياقها دون النظر إلى كليّة تلك الحوادث ومضمونها الشامل، والاستعانة بها -تعميمياً- لتدعيم الرؤية القائلة بقسوة الفرد العراقي أو حدة مزاجه. وهكذا تصبح الشخصية العراقية "حاملة" لهذه الخصائص على نحو تاريخي مستمر عبر العصور والأحداث.

إن هذا النوع من المغالطات "المريحة" يجنّب هؤلاء الكتّاب معضلة الاحتمالات المتباينة المتشابكة، ويضعهم في منطقة الاستنتاجات المبسطة "المثيرة" التي تجذب الرأي العام، وهو أمر له نتائجه السلبية إذ يسهم في تكوين صورة غير موضوعية في أذهان العراقيين عن ذاتهم الجمعية.

3. مغالطة الخلط بين النزوعية والموقفية

يجنح علم النفس الشعبي في الغالب إلى تفسير سلوك الناس بوصفه نتاجاً لسمات جوهرية ثابتة (أي نزوعية داخلية Dispositionism) تقريباً في شخصياتهم، وليس نتاجاً لمواقف وظروف وعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متغايرة ضاغطة عليهم (أي موقفية خارجية Situationism). وبهذه الحالة نجد الكثير من الناس مثلاً يفسرون العنف الحالي في المجتمع العراقي على أنه نتاج لسمة ثابتة تاريخياً عبر العصور هي سمة القسوة في الشخصية العراقية، متجاهلين الأوضاع السياسية والاقتصادية والحربية القاسية التي حُشر فيها العراقيون لعقود طويلة خلال قرن كامل من الزمن. وهكذا يتم إلصاق سمة "العنف" بالفرد العراقي وكأنها خاصية "جينية" متوارثة لا مهرب منها.

وعلى الضد من ذلك، تميل النظريات والدراسات العلمية في علم النفس الاجتماعي المعاصر إلى تفسير السلوك الاجتماعي بأنواعه على أنه -بالأساس- نتاج جدلي مركب للمواقف والظروف الضاغطة المحيطة بالمجتمع (أي منظور موقفي Situationism)، دون إنكار أهمية الخصائص والسمات الشخصية للأفراد التي هي بدورها نتاج لمواقف سابقة، وبذلك تكون الشخصية العراقية نتاجاً مرناً وواقعياً لعوامل الزمان والمكان، أي بنية مفتوحة قابلة لإعادة التشكيل مع احتفاظها بنمطيتها الاجتماعية العامة.

4. مغالطة تأثيم الفرد العراقي

بناءً على مغالطتي التعميم الخاطئ والاعتقاد بالنزوعية السابقتين الذكر، يميل الكثير من العراقيين في إطار علم النفس الشعبي، إلى تبرير ما أصابهم من آلام ومصائب خلال عقود طويلة، على أنها "تكفير" لذنوب ارتكبها مجتمعهم عبر التاريخ، مفترضين أن على الأحفاد أن يدفعوا ثمن "خطايا" الأجداد تلك. ويذهب البعض الآخر ليقول إن الأحفاد أنفسهم ظلوا يرتكبون الأخطاء والخطايا، وبالتالي فإنهم يحصدون ما زرعوه بأنفسهم (***حيل بينا إحنا العراقيين، إحنا موخوش أوادم!!***).

وكل هذا يعني تعميماً خاطئاً للذنب، فضلاً عن عدّ ارتكاب "الذنوب" نزعة لصيقة أو ملازمة لشخصية الفرد العراقي. وفي منظور علم النفس الاجتماعي تسمى هذه الظاهرة السلبية بـ"**المازوخية**

الاجتماعية"، أي نزعة الناس لاستعذاب الألم وتوجيه اللوم والفشل إلى ذواتهم، تعبيراً عن عجزهم عن مواجهة التحديات، وهروباً لا شعورياً من مسؤولية توجيه اللوم إلى بؤس الأوضاع السياسية/ الاقتصادية/ الاجتماعية الشاملة المحيطة بهم. فمن الأسهل -سيكولوجياً- لوم الذات وتقريعها وتأثيمها وحتى معاقبتها، بديلاً عن المجازفة الوجودية العميقة بنقد تأريخٍ شامل من مظالم السلطة وساديتها.

5. **مغالطة توصيف الفرد العراقي بازدواجية السلوك**

يبرز أيضاً ضمن علم النفس الشعبي، اعتقاد واسع الانتشار في المجتمع العراقي بأن الفرد العراقي ذو شخصية مزدوجة بتأثير منظومة قيمية مزدوجة، أي يفتقر إلى وحدة الشخصية والسلوك في المواقف المتنوعة. فيقال مثلاً إن العراقي محافظ في بيته ومتحرر خارجه، أو متنمر مع الضعيف ومطيع للقوي، أو يقول ما لا يفعل، أو يكون متديناً وغير متدين بالتناوب. وهذا الاتهام التعميمي جعل من ازدواجية السلوك نزعة "ثابتة" لصيقة بالفرد العراقي وكأنها وصمة اجتماعية تقتصر عليه دون بقية المجتمعات، حد جلد الذات وتأثيمها.

إلا إن ازدواج (أو تعدد) السلوك بهذه الطريقة، يعدّ **ظاهرة اعتيادية أو نمطية** في منظور علم النفس الاجتماعي، وليس ظاهرة مرضية. فكل الناس، وفي كل المجتمعات، تتباين سلوكياتهم حسب المواقف والأدوار الاجتماعية المطلوبة منهم، بتأثير العوامل الموقفية الضاغطة النابعة من تراكمات قيمية ماضوية أو من ضرورات آنية مستجدة. وهذه التعددية في السلوك قد تشتد أو تخف من شخص إلى آخر، أو من فئة اجتماعية إلى أخرى، أو من ظرف عام إلى آخر، دون أن تكون دليلاً على وجود مرض نفسي أو اجتماعي خطير. أما في إطار علم النفس السريري (الإكلينيكي)، فيوجد مرض تعددية الشخصية الذي هو مرض عقلي يُقصد به تفكك الشخصية الفردية للإنسان إلى حد الانشطار الزماني والمكاني، وهو أمر مختلف تماماً عن ازدواجية أو تعددية السلوك الاجتماعي لدى الفرد الواحد، التي هي واحدة من ظواهر الطبيعة البشرية السائدة في كل المجتمعات.

6. مغالطة تأبيد/ تقديس السرديات التاريخية

يجنح علم النفس الشعبي إلى انتقاء سرديات الذاكرة التاريخية واجتزائها من سياقها (أو من هامشها)، ثم إعادة موضعتها/ تعميمها بشكل مقولات نمطية في متن الحاضر. وكل ذلك تحت تأثير ظواهر نفسية-اجتماعية آنية لها القدرة على إعادة إنتاج الماضي/ التاريخ بوصفه "حقيقة" زمانية أبدية، من بينها ظواهر المازوخية الاجتماعية، وعقلية الضحية، ونزعة التبسيط الإدراكي، والعجز المُتَعلَّم، والاعتقاد الوهمي بعدالة العالم، وغيرها. وليس مهماً هنا أن تكون هذه السردية قد وقعت حقاً بأحداثها وشخوصها أم تم اختلاقها تراكمياً عبر الزمن، إذ إن ما يهم هو قدرتها على أن تتحول إلى "حقيقة" نفسية تتموضع في عمق الذاكرة التاريخية أو السياسية.

وفي إطار هذه المغالطة، كثيراً ما ذهب باحثون وكتّاب عديدون، فضلاً عن عامة الناس، إلى الاستعانة ببعض هذه السرديات وتثبيتها بوصفها أفكاراً نمطية "بديهية" في المخيال الاجتماعي العام،

ليس أولها مقولة «***يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق***» (تُنقل عن الحجاج بن يوسف الثقفي- ت 713)، وليس آخرها التبشير التعميمي بـ"العنفية" النزوعية للمجتمع العراقي بدلالة حادثة سحل أفراد العائلة المالكة بعد 14 تموز 1958.

إن إعادة بناء الذاكرة/ السردية التاريخية بهذه الطريقة وقسر تمثلاتها الإدراكية لتتخذ مساراً سيكولوجياً وايديولوجياً محدداً، دون الأخذ بالحسبان بتراكمية الحقب التاريخية وما تتركه من تبدلات جذرية في السلوك الاجتماعي، إنما يضع شخصية الفرد العراقي في إطار ميتافيزيقي متعالٍ على نسبيات الوجود الاجتماعي.

ما المطلوب أكاديمياً؟

إن واحداً من أهم الدروس التي يمكن استخلاصها من جوهر علم النفس العلمي، يؤكد لنا إن فهم الظواهر النفسية البشرية الكبرى لا يمكن أن يتحقق موضوعياً دون أن نفهم كيف يفكر الناس – بما فيهم الباحثون والاختصاصيون- ذاتياً حيال تلك الظواهر. فجزء أساسي من جوهر الظاهرة لا يتحدد بها فحسب، بل بطريقة إدراك الناس لها ظاهراتياً (فينومينولوجياً)، أي بسيكولوجيتها الشعبية في الأذهان. وينطبق هذا التصور بشدة على الشخصية العراقية التي ظلت حقلاً شاسعاً لممارسة التقييمات البديهية المبسطة والتحيزات المتسرعة والمغالطات العقلية، حتى أصبح من العسير أن نفصل اليوم بين موضوعية الظاهرة وذاتيتها، أي بين الخصائص الفعلية لهذه الشخصية وبين التصورات النمطية السائدة عنها في المجالين الشعبي والنخبوي.

إن الدراسة الموضوعية للشخصية العراقية (أو أي شخصية اجتماعية أو قومية أخرى) تعدُّ من أعقد المباحث الفكرية التي تستوجب تضافراً بحثياً بين اختصاصيي علوم الاجتماع والنفس والتاريخ والآثار والانثربولوجيا، لتحليل البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في تأثيرها وتأثرها بشخصية الفرد العراقي عبر الحقب التاريخية المتعاقبة. وهذا يتطلب مشاريع دراسية شاملة تضطلع بها مؤسسات أكاديمية رصينة توظف مناهج البحث العلمي الكمية والنوعية، لكي يتم تجاوز المغالطات السابقة الذكر عبر أساليب الاستقراء والاستنباط العلمي من جهة، وعبر التأمل البحثي المعمق في مسألة التفاعل الجدلي بين خصائص الشخصية وخصائص البيئة الثقافية من جهة أخرى، وصولاً لتحديد التحولات التي تحدث في خصائص الشخصية الاجتماعية عبر الزمان، بما يفرض مغادرة القوالب المبسطة، واستبدالها بنماذج (موديلات) فكرية مركبة لتفسير ديناميات تطور تلك الشخصية وتغيراتها. وكل ذلك يستدعي الاستعانة بتقنيات البحث الناموسي (القوانيني) Nomothetic إذ يتم فيه التركيز على خصائص معينة للشخصية تُدرس لدى عدد كبير من الأشخاص لوضع تعميمات على سلوك الناس عامة في مجتمع معين، أي تحديد السمات القابلة للتكرار لدى الأشخاص عبر المواقف والزمن، ما يساعد على وضع مبادئ عامة عن بناء الشخصية الاجتماعية وديناميا تها.

إلا إن كل ذلك ما يزال أمراً بعيداً عن الإنجاز في النطاق الأكاديمي العراقي المعاصر، فكل ما هو متحقق لحد الآن تصورات نظرية ودراسات ميدانية محدودة جداً اجتهد بتقديمها مفكرون وباحثون وكتُّاب بشكل فردي تماماً لا يحقق ما يكفي من الموثوقية العلمية التي يمكن أن ينتجها عمل أكاديمي منهجي جماعي (وكاتب هذه السطور لا يستثني نفسه من هذا القصور في الموثوقية)؛ دون أن ننكر أهمية ومصداقية العديد من هذه النتاجات في مساعيها لتأصيل هذا المبحث وتعميقه.

وإذا وضعنا في الحسبان ما يعانيه حقل الأبحاث الاجتماعية اليوم في العراق من فساد أكاديمي وأمية معرفية ورثاثة منهجية وتسييس قمعي وابتعاد مبرمج عن التفكير النقدي، فسنخلص إلى أن فهم العراقيين لبنائهم النفسي (الثابت والمتغير) ما يزال مهمة عسيرة تقترب من الاستحالة في الوقت الحاضر. ومع ذلك فإن مجرد توجيه النقد إلى أغلب ما كُتب وما قيل عن سيكولوجيا الفرد العراقي، يشكل نقطة ارتكاز أولية يجدر التمسك بها إلى أن يحين زمن قادم تتراجع فيه سلطة المغالطات المنطقية وأوهام السرديات المُتَخَّيلة، بتأثير الحراك العقلاني المتنامي ببطء والكامن جدلياً في ثنايا السوسيولوجيا العراقية.

المراجع

فورجاس، ج. ب.، ووبوميستر، ر. ف. (2021). *السذاجة وعلم النفس الاجتماعي*. ترجمة: محمد صلاح السيد. الجبيل (السعودية): صفحة سبعة للنشر والتوزيع.

ويجنر، دانيل، وفالتشر، روبين (1988). *علم النفس الضمني*. ترجمة: عبد المجيد نشواتي. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

Colman, A. M. (2015*). Oxford Dictionary of Psychology*. Oxford University Press.

Hutto, D. & Ravenscroft, I. (2021). *Folk Psychology as a Theory.* Stanford Encyclopedia of Philosophy. Available Online.

الشخصيَّة العراقيَّة في الكِتابات الأكاديميَّة العراقيَّة

دراسة وصفيَّة - تحليليَّة

لؤي خزعل جبر
علم النفس الاجتماعي السياسي، الجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي
luaibrhr@yahoo.com

مُجمَل: الشخصيَّة العراقيَّة من الموضوعات المُهمة والعميقة مُتشابكة التخصصات، انطلقت الدراسَة الحاليَّة من فرضيَّة أنها لم تُدرَس بصورة صحيحة في الكتابات الأكاديميَّة العراقيَّة، ولاختبار الفرضيَّة هذه جَمَعت (34) دراسة سوسيولوجيَّة وأنثروبولوجيَّة وسايكولوجيَّة وإعلاميَّة وتاريخيَّة، واعتمدت (4) محكَّات لوصف وتقييم تلك الكتابات: الدقَّة المفاهيميَّة والمعرفة النظريَّة والممارسة المنهجيَّة والرصانَة التحليليَّة، فكانَت النتائج داعِمَة بقوَّة للفرضيَّة، إضافَةً إلى كشف جوانب تفصيليَّة مُهمة.

في جُملة كتاباتٍ ومحاضراتٍ متنوعة سابِقَة، بامتداد ما يزيدُ على العقد من الزمن، أشرتُ إلى الأزمات البنيويَّة للدراسات الأكاديميَّة العراقيَّة، وبالتحديد في مجال "**الشخصيَّة العراقيَّة**"، وأكَّدتُ أنَّهُ "*عندما نتحدَّث عن عقليَّة أو شخصيَّة أو هويَّة مجتمع يجب أن نتحدَّث بحذر، وأن ننطلق من **تأطير نظري** مُحكَم لماهيَّة هذه المفاهيم، ونستند في كل فكرة على **كم متراكم من الدراسات العلميَّة**، لا أن نتكئ على **الانطباعات الشخصيَّة والتصورات الإجماليَّة** المتنزجة بالوجدان الآني والتحيُّزات الذاتيَّة، لأنَّ الموضوع له انعكاساته الخطيرة على الوعي والسلوك الاجتماعي والمجتمعي. ولكن المُلاحَظ – مع الأسف – **سيادة الطرح التبسيطي الإعلامي** في موضوع العقليَّة أو الشخصيَّة أو الهويَّة العراقيَّة، حتى على الصعيد الأكاديمي، إذ تجد المفردات تزجُّ – بمناسبة وبلا مناسبة – في كتابات وحوارات متنوعة، دون إدراك للبعد النظري لهذه المفاهيم وتنوعاتها ومساراتها وآليَّات اشتغالها وتوظيفها وبحثها*" (جبر، 2013، 449)، فـ "*مما يُؤسَفُ له أن نجد أنَّ كثيراً من الباحثين **يستعملون المُصطلح بتبسيطيَّة فائِقَة**، ويُطلقون – بناءً عليه – **أحكاماً على جماعات واسِعَة**، قد تكون سلبيَّة أو إيجابيَّة، لكنها في الحالتين تكون **ذات عواقِب مُضللة**، تغرِس الدونيَّة أو النرجسيَّة الجمعيَّة الزائِفَة*" (جبر، 2024، 178)، بينما – في العالَم -"*ظهرت **دراسات هائِلَة عن الشخصيَّة الاجتماعيَّة**، كل واحِدَة اعتمدت **مقاربات نظريَّة ومنهجيَّة عميقَة ومعقدة ومُتشعبة**، تضمَّنت إقامات طويلَة مع الجماعات المدروسَة، وتدوينات دقيقة للملاحظات خلال ذلك، وحوارات موسَّعة مع المُخبرين، وتحليلات شاملة لتواريخ حياة متعددة، وتوظيف الاختبارات النفسيَّة التقريريَّة والاسقاطيَّة، وتحليل النصوص والخطابات الثقافيَّة والتاريخيَّة والوثائقيَّة. وبمقايَسَة هذهِ الدراسات بالاشتغالات على **الشخصيَّة العراقيَّة** نجد الأخيرَة – في الغالِب الساحِق - **مقالات انطباعيَّة إنشائيَّة**، وليست دراساتٍ علميَّة قائِمَة على حفريَّات نظريَّة*

*عميقَة وامبيريقيَّة دقيقة ... أعتقد أنَّ **الشخصيَّة العراقيَّة – بالمفهوم العِلمي – لم تُقارَب حتَّى اللحظة!*** (جبر، 2024، 137). ولم تكُن هذه التحديدات والتوكيدات نتيجة انطباعاتٍ عابرة، وإنما مُتابعة لما يُكتب في هذهِ المجالات، إلا أنَّه لم يُتح المجال لإجراء دراسة مُنظَّمة تستقصي – بمقدار المُمكن - تلك الكتابات، بمحكات وصفيَّة وتحليليَّة مُحددة، وتقدم إثباتات رقميَّة ونوعيَّة، وقد حانت فرصة مناسبة ضمن سياق تخصيص **الجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي** السنة الحاليَّة لموضوع "الشخصيَّة العراقيَّة"، ومنه تكريس العدد الثامِن من **المجلَّة العراقيَّة لعلم النفس الاجتماعي والسياسي والمؤتمر العلمي السادس للجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي** لـ "الشخصيَّة العراقيَّة". ولذلك استهدَفت الدراسَة الحاليَّة وصف وتقييم الكتابات الأكاديميَّة عن الشخصيَّة العراقيَّة، بحسب محكَّات مُحددة، لاختبار الفرضيَّة المُسبقة عن الغياب شبه التام للدراسة السليمة للشخصيَّة العراقيَّة.

العينة

اعتمدت الدراسة – كتعريفٍ إجرائي – ورود مصطلح "**الشخصيَّة العراقيَّة**" في العنوان لإدراج العمل ضمن العينة المدروسَة، تجنباً للتداخلات الواسِعَة والتأويلات المُحتملة، فأغلَب الاشتغالات على "**المُجتمع العراقي**"، الكليَّة والجزئيَّة، قد تدخل ضمن مجال الشخصيَّة العراقيَّة، ولكنها ليست – بالضرورة – ذات صلة بحقل "**الشخصيَّة الاجتماعيَّة**" بحدوده التخصُّصيَّة المعروفَة، وقد تفيده، لكنها لا تُمثله. كما اقتصرت على **الكتابات المنشورة في المجلات الأكاديميَّة والثقافيَّة**، ولم تشمل الكُتب، لأنَّ الكُتب تحتاج إلى تحليلٍ أوسَع، كما أنَّ العُمدَة – عادةً – في السياقات العلميَّة على المنشورات في المجلات الأكاديميَّة، إضافَةً إلى أنَّه يُمكن الافتراض – بشكل مبدئي – أنَّ أغلبيَّة الكُتب لن تختلف كثيراً عن هذه الكتابات، لتماثُل السياقات والشخصيَّات. وبعد البحث في المواقِع العامَّة والأكاديميَّة عن "الشخصيَّة العراقيَّة" تحديداً، ظهرت جُملة **كتاباتٍ** حملته في العنوان (34)، من **تخصصات متنوعة**: سوسيولوجيَّة (16) وأنثروبولوجيَّة (7) وسايكولوجيَّة (6) وإعلاميَّة (3) وتاريخيَّة (2)، وهي ما شكَّلت عينة الدراسة الحاليَّة.

المَحكَّات

لوصف وتقييم الكتابات المدروسَة، بصورة إجماليَّة، لتعذُّر التفصيليَّة، سنعتمد أربعة خصائِص تمثل شروط الدراسة العلميَّة - المِثاليَّة أو حتى المقبولَة – للشخصيَّة العراقيَّة:

1. **الدقة المفاهيميَّة**: أوَّلُ الاشتراطات العلميَّة استعمال المُصطلحات بدقَّة، فمن يدرس الشخصيَّة العراقيَّة يجب أن يعرِف بالتحديد ما تعنيه "**الشخصيَّة الاجتماعيَّة**"، واختلافها عن "**الشخصيَّة الفرديَّة**"، واعتماد "**تعريف**" دقيق لتلك الشخصيَّة لضمان الدقَّة المفاهيميَّة.
2. **المعرفة النظريَّة**: الاطلاع الواسِع والعميق على مجال "**الثقافة – الشخصيَّة**" أو "**الأنثروبولوجية النفسيَّة**" أو "**الشخصيَّة الثقافيَّة**"، وما يتضمنه من نظريَّات مُتعددة

ودراساتٍ هائِلَة، أنثروبولوجيَّة وسوسيولوجيَّة وسايكولوجيَّة، كالمقاربة الفروميَّة للشخصيَّة الاجتماعيَّة والبينديكتيَّة للشخصيَّة الوطنيَّة والكاردنيريَّة لبنية الشخصيَّة الأساسيَّة والدوبويَّة للشخصيَّة المنواليَّة والسماتيَّة للشخصيَّة الجماعيَّة والجمعيَّة، واعتماد – أو ابتكار - مُقاربة نظريَّة مُحددة، لكونه الأساس الذي تُبنى عليه مختلف أركان الدراسة.

3. **المُمارسة المنهجيَّة**: المعرفة – والإجادة - الواسِعَة للمنهجيَّات – **الكميَّة والنوعيَّة** - المُتعددة الموظَّفة في المقاربات المختلفة لدراسة الشخصيَّة الاجتماعيَّة، والتقنيات الكثيرة المُستعملة لجمع البيانات، **كالمُلاحظة بالمُشاركة، والمقابلات المُعمقة، والسير الحياتيَّة، والاختبارات النفسيَّة التقريريَّة والإسقاطيَّة، والتحليلات الخطابيَّة والوثائقيَّة**، واعتماد المنهجيَّة والتقنيَّة المُناسبة، والتحديد الواضح والدقيق لذلك الاعتماد، والتطبيق الرصين لتلك المنهجيَّة والتقنيَّة، لتكون الدراسة ذات توجُّه منهجي سليم وبيانات موثوقَة.
4. **الرصانَة التحليليَّة**: بعد أن يُحدد الباحث مفهومة ونظريته ومنهجيته، يأتي تحديد مُشكلته وأهدافَه، واتساقُ ذلك مع ممارسته التحليليَّة، التي يجب أن تتصِف بالمنطقيَّة والدقَّة، واعتماد البيانات المُحصلة، والاشتغلال ضمن حدود ذلك النطاق، وتجنب التوصيفات التفسيرات الإطلاقيَّة أو غير المُستندة إلى بيانات أو مراجِع موثَّقة، وبيانُ نتائجه – المُتسقة مع أهدافه وتحليلاته – بوضوح، واستلال الاستنتاجات بدقَّة من تلك النتائِج؛ كل ذلك بلغة سليمة ومُتقنة وأمانَة علميَّة.

الوصف والتحليل

هيمنت على الكتابات عن الشخصيَّة العراقيَّة ثلاثة أعمال، كما هو بين – وسيتبيَّن - بوضوح في أغلب الكتابات المدروسة، وهي "**شخصيَّة الفَرد العراقي: بحثٌ في نفسيَّة الشعب العراقي على ضوء عِلم الاجتماع الحديث**" (1951) لعلي الوردي، و"**القوقعيَّة والقلق في الشخصيَّة العراقيَّة**" (1969) لعبد الجليل الطاهر، و"**الشخصيَّة العراقيَّة: مُتبنيات ومُنطلقات**" (2005) لمُتعب مناف، والأولى والثالثة مُحاضرتين عامَّتين، والثانية مقالة عامَّة؛ وقد ذكر الوردي في مطلعِ كُتيبه: "لستُ أدَّعي بأنَّ هذه المُحاضرة بحثٌ قد استوفى شروطه العلميَّة. وربما صحَّ القول بأنها: أشبَه بالمقالَة الأدبيَّة منها بالبحث العلمي"، وكتبَ الطاهِر مقالَة مُضادَة لمقاربة الوردي، بذات الطريقة العموميَّة؛ فكلا العملين انطباعيين، لا يستندانِ إلى منهجيَّة واضحة، وبياناتٍ مُحددة؛ وحاوَل مناف تبيان أنَّ اشتغاله يقع ضمن دراسات "الثقافَة – الشخصيَّة"، وبالتحديد ضمن "الشخصيَّة الأساسيَّة"، إلا إنَّ ورقته الموجزة كانت أشبَه بتهويماتٍ نظريَّة، بلا منهجيَّة واضحة، ولا بياناتٍ مُحددة، وإنما انطباعاتٍ عامَّة.

1 الكتابات الإعلاميَّة

"**اتجاهات الشخصيَّة العراقيَّة بإزاء المواطنة والهويَّة الوطنيَّة: دراسة مسحيَّة**" (2014)، استهدفَت معرفة رأي المواطنين بالمواطنة وعوامل ضعف المواطنة، فطبقت استبانة تضمنت (17)

سؤالاً على عينة تكونت من (843) شخصاً في بغداد، وتوصلت إلى ارتفاع الشعور بضعف المواطنة نتيجة القادة السياسيين والأحزاب المُتنفذة وتراكم المُشكلات وضعف مركزيَّة الدولة وتفشي الفساد والمحاصصة السياسيَّة والاحتلال والتدخل الإقليمي (القيم، 2014). فاستعمَلَت "الشخصيَّة العراقيَّة" بمعنى المواطن العراقي، ولا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**صورة الشخصيَّة العراقيَّة في صحف الكويت اليوميَّة: دراسة في تحليل المضمون**" (2003)، استهدفت تعرُّف الصورة الذهنيَّة أو النمطيَّة عن العراقيين قبل الغزو العراقي للكويت (1990) وبعده المُقدمة في الصحف الكويتيَّة الخمسة اليوميَّة (الوطن والقبس والأنباء والسياسة والرأي العام)، مُستعملة تحليل المضمون لتلك الصحف في (1989-1990 / 1991-1992)، فوجدت أنَّ الصورة كانت ايجابيَّة قبل الغزو وأصبحت سلبيَّة بعده، ومنها ما يخص "صفات الشخصيَّة العراقيَّة"، إذ كانت "مُنتجة ونشطة وبطلة ومحترمة ومُحبة للسلام ومناضلة ومكافحة ومتحضرة ومثقفة ومتدينة ورحيمة ولطيفة وتقدس الجوانب الإنسانيَّة وساهمت في حل كثير من المُشكلات"، ثم أصبحت "مثتقلبة وعنيفة ومدمرة وخائنة ومتزمتة ولا تحترم حقوق الإنسان وقرارات المُجتمع الدولي وخطر على منطقة الشرق الأوسط" (الملا ونصر، 2003). فكانت غير معنيَّة – بالأساس – بالشخصيَّة العراقيَّة، وإنما بالصورة النمطيَّة المبثوثة في الصحف عن العراقيين، واستعمَلت "الشخصيَّة العراقيَّة" بمعنى العراق، وهي قد تفيد في مبحث "صفات الشخصيَّة العراقيَّة" في مسألة "الصورة النمطيَّة الخارجيَّة عن الشخصيَّة العراقيَّة"، لكنها – فيما عدا ذلك - لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**تمثُّلات الشخصيَّة العراقيَّة في أفلام الحرب على العراق التي أنتجتها هوليوود**" (2021)، استهدفت معرفة كيفيَّة تقديم العراقيين في الأفلام الهوليوديَّة، فأعتمدت جملة مؤشرات لتحليل فيلم "في وادي إيلا" In The Valley of Elah (2007)، ووجدت أنَّه أظهر الحقب السيئة والبيئة المُتخلفة الرجعيَّة والشخصيَّة الواشية الخائِنة (مرادو، 2021). فكانت غير معنيَّة – بالأساس – بالشخصيَّة العراقيَّة، وإنما بالصورة النمطيَّة المبثوثة في الأفلام الهوليوديَّة عن العراقيين، واستعمَلت "الشخصيَّة العراقيَّة" بمعنى العراق، وعرفت الشخصيَّة بالفرديَّة، وهي قد تفيد – بدرجة محدودة - في مسألة "الصورة النمطيَّة الخارجيَّة عن الشخصيَّة العراقيَّة"، لكنها – فيما عدا ذلك - لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

2 الكتابات التاريخيَّة

"**مدرسة واسط الصوفيَّة وأثرها في الشخصيَّة العراقيَّة**" (2020)، استهدفت بيان الحياة الفكريَّة في واسط، والتصوف في تلك المدينة، وبحثت دور المدرسة الصوفيَّة الواسطيَّة في بناء "الشخصيَّة العراقيَّة"، وأشارَت إلى شخصيَّات فكريَّة وعلميَّة كبيرة، تُمثل نماذج رائِعَة للشخصيَّة العراقيَّة المُتزنة، كالواسطي (توفي 320 هجرية) والرفاعي (توفي 578 هجريَّة) (طراد، 2020). فكانت

غير معنيَّة بالشخصيَّة العراقيَّة، وإنما بالمتصوفين العراقيين الواسطيين، واستعمَلت "الشخصيَّة العراقيَّة" بمعنى العراق، ولا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الشخصيَّة التاريخيَّة للمُجتمع العراقي**" (2011)، استهدفت بيان العوامل الموضوعية المؤثرة في تكوين المجتمع العراقي وصفات المجتمع العراقي المتأصلة التي منحته خصوصية خاصة ميزته عن بقية المجتمعات الأخرى، وعرَّفت الشخصيَّة التاريخيَّة بـ "كل متفاعل لمجمل المكونات المكانية او الجغرافية (الطبيعية والبشرية)، والتطورات الحاصلة فيه عبر زمن محدد (التاريخ)، والتفاعلات الحاصلة فيها من خلال العوامل المؤثرة لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية (بما فيها الديانات والعقائد المختلفة)"، وأشارَت إلى الشخصيَّة الأساس والنموذج الثقافي، مؤكدة أنَّه "لا يجوز تحليل الشخصية العراقية المجتمعية، من منظور سمات الانسان الفرد او من خلال البيئة الاجتماعية أو حاجات الانسان، او المنظور الوجودي، او الاشتراكي، او الديني فقط، وانما يجب البحث الحقيقي والكامل عن الشخصية المجتمعية العراقية ودراستها، من خلال دراسة مختلف العناصر الأساسية والمساعدة التي تؤثر في مجمل تفاعلات الأفراد مع البيئات المادية والاجتماعية العراقية المختلفة. ومع اقرارنا بأهمية تلك النظريات والمناهج الكثيرة الأخرى في علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفس والتاريخ والحضارة والجغرافية في دراسة المجتمع العراقي، الا ان رؤيتنا الخاصة هنا، تحاول الانطلاق من زاوية علمية أخرى للموضوع بالاستفادة من جميع الحقائق التي رشحت عن مختلف تلك العلوم، فضلا عن بقية العلوم الأخرى، من خلال دراستها لمختلف العوامل الذاتية والموضوعية للمجتمع العراق عبر التاريخ ككل وليس مرحلة تاريخية بعينها. ولهذا كله سنحاول معرفة تفاعلات مختلف العناصر الأساسية او المساعدة الداخلة او المؤثرة في خلق نفسية خاصة بالمجتمع العراق في مختلف المراحل التاريخية"؛ فذكرت العوامل الموضوعيَّة (الموقع الجغرافي، الطبيعة المناخيَّة، الفيضانات والأوبئة المُدمرة، صراع الثقافات المتنوعة، الاحتلالات الأجنبيَّة المُتكررة، أنظمة الحكم المحليَّة القمعيَّة) التي شكَّلت تحديات مستمرة تطلَّبت استجابات بحسب الرؤية التوينبيَّة، تمثَّلت بالصفات المُتأصلة، وهي التقليديَّة الماضويَّة، وطغيان العشائريَّة، وضعف الثقة بين الحكام والمحكومين، والتقاعس والكسل، والحساسية للكرامة، وضعف الثقة بين الرجل والمرأة، والاستعلاء – لا التفاعل – مع الآخر، والنظرة التقليديَّة إلى الوظيفة، والحزن والتباكي على الماضي، والتدين الشكلي، و"ذلك خلق مكونا ذا مركب، نفسي - اجتماعي خاص بجماعة تميزت بالعبقرية الاجتماعية والسياسية القادرة على خلق التناغم بين جميع المكونات الداخلية الخاصة به وتذويبها لصالح المكون المشترك مع امكانية التفاعل والتجدد الدائم مع مختلف العناصر والظروف المحيطة به" (العبودي، 2011). فكان التعريف للثقافة أو المجتمع وليس للشخصيَّة الاجتماعيَّة، كما لا نجد معرفة دقيقة بالمجال، ولا مُقاربة مُحددة، ولا منهجيَّة واضحة، بل مماسة انطباعيَّة بحتة، تكتفي بعبارة "من المُلاحَظ"، بشواهد انتقائيَّة مُقتضبة وإشكاليَّة بلا إسنادٍ إلى مرجع أو دراسة أو إحصائيَّة أو حتى ملاحظة مُنظمة؛ وبعد حشد كل تلك

الصفات السلبيَّة تنتهي إلى استنتاج غريب عن العبقريَّة الاجتماعيَّة والسياسيَّة؛ ولذلك نجد – بخلاف الوعود الأوليَّة العالية - ارتباك مفاهيمي وضعف نظري وانعدام منهجي واختلال تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة ضعيفة.

3 الكتابات السوسيولوجيَّة

"**الشخصيَّة العر اقيَّة في كتابات الاجتماعيين: الوردي – الطاهر نموذجاً**" (2018)، استهدفت "التعرف على دور الفرد في المجتمع ومدى امكانيته على الانسجام مع الآخرين، محاولة الكشف عن خفايا الشخصية العراقية تاريخيا، خصوصاً بعد سقوط النظام وظهر حركات سياسية واسلامية وطائفية ومذهبية، التحقق مما يقوله العلماء والكتاب والدراسين حول الشخصية العراقية المزدوجة والقلق والقوقعية، مساعدة الأفراد للتعرف على الشخصية، وما هي الأسباب الكامنة لتكوين الشخصية، وكيف يتعامل مع بني جلدته ومع الآخرين، من خلال معرفة العوامل المرتبطة بمفهوم الشخصية السوية"، وذلك بعد أن افتتحت بـ"تتميز الشخصية العراقية في القدم بنوع من الثبات والاستقرار والطمأنينه، نتيجة الانتقال والترحال بين البدو والريف، خلق نوعاً جديداً من الشخصية التي تتميز بها عن سائر شخصيات البلدان الأخرى، عندئذ خرجت هذه الشخصية من التقوقع والانطوائية من الفكرة البالية إلى فضاء الانفتاح والتمدن بشكل ظاهري وليس جوهري في أعماقه"، فأشارت إلى شخصية الوردي، ثم عرفت الشخصيَّة الفرديَّة، وازدواجيَّة الشخصيَّة والتناشز الاجتماعي، وانتقلت إلى الطاهر، والشخصيَّة المنطوية، لتنتهي بغتة بـ"في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يمكن استنتاج ما يأتي: إن الشخصية العراقية: تميل إلى الشك والريبة من الغرباء كثيراً، مثل نار الحلفاء، تلتهب مع المثال وتخمد مع الواقع، لها مظهران أساسيان وهما القوقعة والقلق، لديها الانتماء القوقعي المتحجر إلى الأسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطبقة أو الطائفة، وأن الفرد العراقي: رومانطيقي وغير واقعي ولا ينسجم مع تطورات المجتمع المدني، له حساسية مفرطة، ويكره المهن الدنيئة التي لا تنسجم مع واقعه الحياتي، يميل إلى السيطرة والمنافسة والخناق دون مبرر، متوتر وقلق ويشعر بالخجل في كثير من الأحيان، متقمص لشخصيتين أو ذاتين مختلفتين، ذاتاً يفكر بها وذاتاً أخرى يعمل بها، يحمل أفكاراً مثالية، فهو يفكر بمبادئ لا يستطيع تطبيقها، ويدعو إلى أهداف لا يقدر على الوصول إليها، دينياً من ناحية ودنيوياً من ناحية أخرى، أشد الناس غضباً على من يفطر علناً وهو أكثرهم إفطاراً، وهذه النقطة تخص العراقي المسلم، عاطفي جداً، فهو يبكي في أغانيه ويشتم في حديثه، يولد قلقاً ويعيش قلقاً ويموت قلقاً، بدوي في عقله الباطن، مسلم في عقله الظاهر، كل مدينة يكثر فيها رجال الدين تكثر فيها الازدواجية الشخصية بدرجة كبيرة" (فتاح، 2018). فكانت الأهداف لا علاقة لها بمفردات البحث، ولا بنتائجه واستنتاجاته، وكانَ مجرد استعراض مفكك لطروحات الوردي والطاهر، وتوصل إلى استنتاجات غريبة اجتراراً لما ذكراه، ولم يحاول أن يشتغل – أدنى اشتغال – على تنظيم وتحليل

ونقد ذلك، كما لا توجد إشارة – ولو مقتضبة – تفيد بمعرفة عن مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل اعتماده تعريف الشخصيَّة الفرديَّة يدل على العكس؛ وكل ذلك جاء بلغة مُفككة وركيكة، ولذلك نجد ارتباك مفاهيمي وضعف نظري وانعدام منهجي واختلال تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة عامَّة.

"**ازدواجيَّة الشخصيَّة العراقيَّة هي نتاج القيم المائيَّة**" (2020)، استهدفت "كسر الفكرة الشائعة على أن ازدواجية الشخصية العراقية هي نتاج الصراع بين قيم البداوة وقيم المدينة ... ازدواجية الشخصية العراقية بكل ما تحمله من معاني هي خاضعة لقوانين المياه. تفرض عليه شحة المياه الترحال المستمر وطريقة عيش بسيطة ومنظومة من القيم والأخلاق التي تضمن بقاءه، فقوانين الماء الشحيح تولد الشخصية البدوية ومجتمع البداوة. اما اذا كان الماء متوفر، فيعكس خيره وربيعه على البيئة ومنها الانسان، فتفرض عليه قوانين المياه المتوفرة حياة الاستقرار والهدوء وتنتج شخصية معتدلة غير متطرفة ومسالمة مثل الشخصية المصرية والمجتمع المصري. اما اذا كانت المياه اكثر من متوفرة وتسبب الفيضانات والتلف المادي والبشري، فقوانين المياه تفرض عليه نمط من الحياة التي تضمن بقاءه وتحافظ على وجوده وتولد شخصية ازدواجية غير مستقرة تحمل في ثناياها ثنائية التهديد والمخاطرة مثل الشخصية العراقية والمجتمع العراقي"، فانتقد الوردي، وقايس بين العراق ومصر، فالأول متمرد ثائر، والثاني مطيع لين، وبين ذلك بمقايسة الموقفين من الحُسين، ومعروف الرصافي وجميل الزهاوي مقابل أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وحسنين هيكل مقابل حسن العلوي (سفيح، 2020). فكانت – بخلاف ما تدعي – إثبات لفكرة الوردي بطريقة أخرى، ولا نجد تعريف الشخصيَّة الاجتماعيَّة المناسب، ولا مؤشرات للمعرفة بالمجال، ولا إدراك لعمق وكثرة العوامل المُتفاعلة في تكوين الشخصيَّة الاجتماعيَّة، وإنما ارتباك مفاهيمي وضعف نظري وانعدام منهجي واختلال تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة محدودة.

"**الاتجاهات القيميَّة للشخصيَّة العراقيَّة المزدوجة عند علي الوردي**" (2015)، استهدفت الكشف عن الاتجاهات القيميَّة للشخصيَّة المزدوجة عبر تحليل محتوى فصل من كتاب "دراسة في طبيعة المجتمع العراقي" للوردي، باعتماد تصنيف كلوكهون للقيم (علاقة الإنسان بالطبيعة، البعد الزمني المفضل، نمط الشخصيَّة المفضل، العلاقة المفضلة بين الإنسان والإنسان)، فاستعرضت أهمية الشخصيَّة الفرديَّة، والاتجاهات القيمية، وأشارت إلى النظرية البنائيَّة الوظيفيَّة، ونظريَّة الحاجات المازلويَّة، ثم استعرضت منهج تحليل المضمون، وبعد المعالجة الاحصائية للبيانات وجدت أن "صورة الشخصية العراقية التي رسمها على الوردي، وأظهرها تحليل محتوى موضوع ازدواج الشخصية في المدن أظهرت تسلسلاً قيمياً امتاز بالوجود الذي يطلق العنان لرغباته ولدوافعه، وتظهر بشكل تلقائي علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالطبيعة، على الرغم من أنها لم تجد لها حيزاً متميزاً، وقد كان هذا الإنسان عاجزاً أمام الفيضانات التي اجتاحت العراق"، وفسر ذلك

بحسب النظرية البنائيَّة الوظيفيَّة ونظريَّة الحاجات (رسول، 2015). فكانت خالية من تعريف الشخصيَّة الاجتماعيَّة المناسب، ومؤشرات للمعرفة بالمجال، بل عكسه، لكون المنظور البارسونزي والمازلوي لا يشتغل على الشخصيَّة الاجتماعيَّة، كما أنَّ تبيان التسلسل القيمي لا يحمل قيمة مُهمة – لاسيما بطريقة تحليل المحتوى – لطروحات الوردي، ولذلك نجد أن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة محدودة.

"**أنموذج افتراضي لدراسة الشخصيَّة العر اقيَّة**" (2008، 2010)، استهدفتا تقديم الأنموذج الذي يجب أن يعتمده الباحثون الذين يرومون دراسة الشخصيَّة العراقيَّة، وليس دراسة الشخصيَّة العراقيَّة، وعرَّفت الشخصيَّة العراقيَّة بمجموعة من السمات والخصائص التي تنعكس في مجموعة من المشاعر والسلوك في مواقف مُعينة لدى الإنسان الذي يعيش في الرقعة الجغرافيَّة المحصورة بحدود العراق، ثم استعرضت طروحات الوردي والطاهر ومناف، وذكرت أنَّه "على الرغم من رصانتها العلمية وكفاءة اصحابها وقدرتهم العلمية في التشخيص والتحليل إلا انها ونتيجة لظروف ذاتية وموضوعية لم تعتمد الاسس العلمية بصورة كاملة في منهجية البحث واختيار ادوات وطرق البحث المناسبة ووضع النتائج الحقيقية دون مجاملة او خوف كما انها وهذا الاهم ظلت عيناتها محصورة في مجتمع مدينة بغداد وضواحيها دون ان تعتمد عينات بحثية في مناطق متعددة من العراق ودون ان تفرق بين الفئات التي تتشكل منها التركيبة السكانية في العراق والتي تضم سكان البوادي والارياف والاهوار والمدن ناهيك عن سكان الجبال في المنطقة الشمالية"، وأشارت – بصورة مقتضبة – للشخصية القوميَّة والأساسيَّة، وانتهت عند أنموذج مفترض يتضمن الخطوات الآتية: تحديد موضوع البحث (تحديد المفاهيم المُستخدمة، تحديد المجال المكاني والزماني)، ومسح التراث لتعرف سمات أو بعض سمات الشخصيَّة العراقيَّة (الكتب الأدبية والتاريخية)، والفرض العلمي أو التساؤلات العلميَّة (أصل ووظيفة بعض السمات وعلاقتها بسمات أخرى أو أثر بعض السمات في توجيه الفعل الاجتماعي)، والطريقة والأداة (النموذج التاريخي وطريقة تحليل المضمون للوثائق والمقابلات الشخصيَّة)، ومستلزمات ضروريَّة (الموضوعيَّة والمعرفة التاريخيَّة)، ومستويات التحليل والتفسير (دعم التحليلات والتفسيرات بالأدلة التاريخية، ويبين التحليل الظروف الاجتماعيَّة والسياسيَّة لظهور سمة مُعينة، والعبارات التفسيريَّة يجب أن تكون مُدعمة بالمادة العلميَّة)، وفريق العمل (مختصون في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافيَّة وعلم النفس الاجتماعي والاقتصاد والتاريخ وعلم الاجتماع والأدب والفنون والآداب والأيديولوجية والسياسة والقانون)، تذليل العقبات (حكومة مؤسساتية قويَّة، واستثمار التعداد السكاني) (إبراهيم، 2008، 2010). فتضمنت مؤشرات على معرفة إجماليَّة بمجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، كما كانت جيدة – إلى حد ما - في استعراض وتحليل ونقد الطروحات السابقة، وقدمت توجهات مُفيدة لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الشخصيَّة العر اقيَّة بين قوقعة الطاهر وازدواجيَّة الوردي**" (2013)، استهدفت استعراض وتحليل طروحات الطاهر والوردي، فأجمَلت الرؤيتين، ثم حللت ونقدت الفرضيتين، وقايست بين

الفرضيتين، وتوصل إلى أنَّه "وصف الطاهر الشخصية العراقية بالقلق والقوقعية، بينما وصفها الوردي بالازدواجية؛ وتقوقعها وقلقها عند الطاهر يعود إلى انتماءاتها المتعددة والبؤر الولائية المتحجرة التي تسحبها الى الوراء فيحدث القلق نتيجة لصراع هذه الانتماءات والأدوار التي تمارسها هذه الشخصية، أما ازدواجيتها فيرجعها الوردي الى تشتتها بين نظامين من القيم: بداوة وحضر؛ والوردي يقول بأنه ومنذ نعومه أظفاره قد نشأ في أواخر العهد العثماني وبداية عهد الاحتلال الانكليزي وانه شاهد الناس كيف يتفاخرون ويتشاتمون وما هي القيم التي يقدرونها أكثر من غيرها وأنه منذ ذلك الحين وطوال أربعين عاماً ظل يدرس المجتمع العراقي والشخصية العراقية، بينما يحدد الاستاذ الطاهر فترة ملاحظاته لمسرح الاحداث في العراق بخمسة عشر عاماً (1953-1969)؛ الوردي يقول بأنه لمس حقاً التغير في طبيعة الشخصية العراقية نحو الأفضل وأنه يجد بوناً شاسعاً حينما يقارن بين ما يجدهُ الآن مع ما كان موجوداً في العهد العثماني، بينما يقول الأستاذ الطاهر بأنه لا يجد في الأفق الحضاري المعاصر ما يغير الواقع المقلق غير اعتماد الاشتراكية، وقد يعود هذا الى أن المنية قد وافته في وقت مبكر فلم يشاهد التغيرات التي حصلت بعده في عقد السبعينات، أما الأستاذ الوردي فقد توفي في منتصف التسعينات مما تسنى له رؤية التغيرات الكبيرة بين أواخر العصر العثماني وعقد الثمانينات، لكنهما لو رأيا المجتمع العراقي اليوم في عام 2013 لأصر كل منهما على رأيه الأول، أو لاتفقا على دمج الفرضيتين مع بعض، لأن ذلك يتلاءم مع الواقع الذي نعيشه اليوم؛ الدراستان جريئتان وتعبران عن حرص صاحبيها على الوطن وعلى الشخصية القومية والوطنية وتوقهما لأن يكون الشخص العراقي صاحب الإرث العظيم من الأمجاد والصفات الخلاقة المبدعة إنساناً ذا شخصية سوية مميزة وجديرة بالحب والاحترام والتقدير؛ وأخيراً فان الفكرتين تكمل إحداهما الأخرى ، إذ يبدو قصورهما اذا أُفردت كل منهما عن الأخرى، فنحن نجد في شرح الوردي بعض ما أوردهُ الطاهر من القلق والتناقض وكذلك بالنسبة للطاهر فأننا نجد لديه عدة إشارات إلى تصادم قيم البداوة والحضارة، بل أنه جعل من ازدواجية السلوك خاصية من خصائص الشخصية العراقية على الرغم من أننا نعلم أن الازدواجية هي محور اهتمام الوردي وأنها مفهومه الخاص، ولكننا نجد أن الطاهر يستخدمه بعد إن لم يجد مناصاً من تركه والتغافل عنه، فالفرضيتان كما يبدو تكملان بعضهما بعضاً وتزيد كل منهما قوة الأخرى وتدعم أدلتها؛ لا بد من التنويه أخيراً بأن الفرضيتين تنهجان منهج النظرية الصراعية، هذه النظرية التي تتجلى تطبيقاتها في المجتمع العراقي المعاصر، وفي الوقت الحاضر بالذات حيث الصراع على أشدهُ سياسيا ودينياً وقومياً ومذهبياً ومناطقياً وثقافياً، صراع لا يؤدي سوى إلى التشرذم والانقسام على مستوى الوطن من أقصاه إلى أقصاه" (إبراهيم، 2013). فكانت جيدة في استعراض وتحليل ونقد الطروحات السابقة، إلا أنها لم تتعمَّق في تبيان أصل الخلل النظري والمنهجي في تلك الطروحات، وبذلك تكون مُفيدة في دراسة الشخصيَّة العراقيَّة بدرجة محدودة.

"**الشخصيَّة العراقيَّة من منظور سوسيولوجي**" (2016)، استهدفت "الكشف عن ماهية الشخصية العراقية وفاعليتها وتشخيص المحددات المؤثرة فيها فكراً ووجداناً وسلوكاً مع تحديد بعض سمات الشخصية ذات العلاقة بالجوانب التعبيرية والحركية والدافعية والاجتماعية والفكرية التي تظهر نتيجة للتفاعل بين مختلف القوى المؤثرة في هذه الشخصية بمرور الوقت ليكون مدخلاً لتحديد نمط الشخصية العراقية من منظور السمات الدالة عليها"، ثم تدخل في "توطئة" نظرية مطولة عن المحددات الثقافية والمجتمعية، لتنتهي – بغتة – بالقول: "استخلصنا من هذه الورقة أن مجموعة المحددات الثقافية والمجتمعية بابعادها الاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية والضبطية والبيئية تسهم جميعاً في تشكيل شخصية الفرد واكتسابها للطابع الاجتماعي"، لتضُيف "وفي ضوء كل ما تقدم يمكننا التأكيد على الجوانب الآتية عند دراستنا للشخصية العراقية: يفضل دراسة الشخصية العراقية من منظور النمط الأساسي للشخصية ووفقا للسمات العامة لها، والذي نعني به النمط السلوكي الذي يستقطب أكبر عدد من السمات والمواصفات المشتركة إلى حد التمايز بين ثقافة وأخرى، التركيز على الأبعاد الزمنية الثلاثة المؤثرة في الشخصية العراقية وتحديد ملامحها العامة وهي التاريخية والمعاصرة والمستقبلية، الاهتمام بالنسق الديني عامة والإسلامي خاصة لأن الشخصية العراقية متأثرة بمديات كبيرة منها حتى وان كانت غير متدينة، الرجوع لأبرز العلماء والباحثين العراقيين امثال الدكتور علي الوردي والدكتور قيس النوري والدكتور متعب مناف وغيرهم من المفكرين والباحثين في التخصصات الاجتماعية والانسانية ومن علماء وباحثي الداخل والخارج للاستفادة من طروحاتهم العلمية، الاهتمام بالبيئة العراقية البدوية والريفية وتأثيرها على الطابع التحضري في الشخصية العراقية، الاهتمام بالتأثيرات الجيوسياسية المتعلقة بجغرافية الموقع المحاذي لدول مختلفة التوجهات والمصالح المحيطة بالعراق في تشكيل الشخصية، تشخيص وتحليل العوامل التي تم الاشارة اليها في ثنايا هذه الورقة من عوامل اسرية ونفسية واقتصادية وسياسية وتوترات في البناء الاجتماعي للمجتمع وانعكاساته على دراسة هذه الشخصية، الاهتمام بالبعد الضبطي، الاهتمام بإدخال المفاهيم الحديثة" (داره، 2016). فكانت – بخلاف العنوان وما ادَّعت استهدافه – مقالة نظرية - لم تتضمن إشارة إلى حقل الشخصيَّة الاجتماعيَّة - انتهت بتوصيات عموميَّة، ولذلك نجد أن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة محدودة.

"**الشخصيَّة العراقيَّة وإعادة بنائها: دراسة في سايكولوجيا التمكين**" (2016)، استهدفت تقديم رؤية نظريَّة جديدة، مؤكدة "إنَّ رسمَ صورةٍ كاملةٍ ونهائيةٍ لملامح الشخصية العراقية ليس بالأمر اليسير لما يتطلبهُ ذلك من إلمام واسع بأكثر من حقل علمي، مع توظيف صحيح لنظريات ومناهج البحث في تلك العلوم، وهو أمرٌ لا ندَّعيه في دراسة مختصرة، وجلُّ ما يمكن أن ندَّعيه هو أنَّ هذه الدراسة تؤشِّرُ الريادة والتميُّز في جوانب ثلاثة على الأقل في مجال دراسة الشخصية العراقية: الأول: إنَّ الدراسة تنطلق من منظور جديد في دراسة الشخصية العراقية من زاوية علم

السياسة بوصفه أحد أهم العلوم المعنية بالموضوع ولكون صناع القرار هم أوَّلَ المعنيين بعملية بناء الشخصية الوطنية فضلاً عما يتميز به علم السياسة من نظرة شمولية تشكِّلُ مصدر إثراء مهم في دراسة الشخصية العراقية. وعليه فإن الدراسة تلج الى ميدان لا يزال بكراً في نطاق الدراسات السياسية في العراق والمنطقة وهو ميدان علم النفس السياسي الذي اخذ يحظى باهتمام متزايد في كليات وأقسام العلوم السياسية في الدول المتقدمة. الثاني: سعت الدراسة الى تحقيق موازنة دقيقة وصحيحة بين الرؤية الوطنية والنظرية العلمية. ففي الوقت الذي حرصت فيه على وضع مثابات دالة على طريق التأسيس لنظرية علمية في دراسة الشخصية العراقية، فإنها لم تتجرد من الرؤية الوطنية التي تنطلق من ثوابت وحدة العراق وأصالته، لتجمع بين البعدين العلمي والعملي لدراسة الشخصية بشكل لا يخل بقيمتها العلمية ولا يجردها من فائدتها العملية في عملية التنمية الاجتماعية والسياسية. الثالث: إنها الدراسة الأولى- حسب علمنا – التي تختص بالأساس بعملية إعادة بناء الشخصية العراقية، ولا تقف عند تكوينها وملامحها، بل وأشرت حقيقة إن دراسة الشخصية الوطنية هي بحد ذاتها إحدى عناصر عملية أعادة بناء تلك الشخصية. حرصت الدراسة على الاستفادة من أساليب ومناهج البحث في أكثر من حقل علمي وفي المقدمة منها مناهج البحث والتحليل السياسي كالمنهج التاريخي والوصفي والنقدي والمقارن. على ان الدراسة لن تقتصر على المصطلحات العلمية الأكاديمية بل ستلجأ أحيانا كثيرة إلى اللهجة العامية العراقية والأمثال الشعبية حيثما اقتضى الحال، ذلك أنها تمثل رصيداً معرفياً هاماً نستطيع ان نتوصل من خلاله الى فلسفة حياة البسطاء من الناس وعامتهم وهم الأغلبية الساحقة"؛ وانطلقت من فرضيَّة "إن الشخصية العراقية هي نتاج لتفاعل جملة عوامل وهي ليست بالمعطى الثابت عبر التاريخ ولا نتاج لحتميات تاريخية او بيئية أو بيولوجية بل هي معطى حي وفاعل يؤثر مثلما يتأثر بالمعطيات القائمة. وإن الشخصية العراقية شخصية أصيلة تمتلك كل مقومات وعناصر النهوض والريادة التاريخية إذا ما توفرت الإرادة السياسية الوطنية المخلصة"، وأشارت إلى الشخصيَّة القوميَّة، وانتقدت طروحات الوردي والطاهر، وقدمت الرؤية الجديدة المُتمثلة بـ: عوامل الثبات (التاريخيَّة والجغرافيَّة) وعوامل الثبات والتغير (الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة) وعوامل التغير (السياسيَّة)، وحاولت تطبيق هذه الرؤية، ووجدت أنَّ الأولى أنتجت الأصالة والتحمل والصبر والحزن والتشاؤم وعدم الثقة بالمستقبل، والثانية أنتجت أبوية تسلطية واقتصاد رعوي انعكس في التواكل والطاعة واحتقار العمل وقتل المبادرة والإبداع، والثالث أنتج ضعف الانتماء الوطني الممارسات العنفيَّة، فـ "البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة في العراق متمثلة بالطابع الابوي– الرعوي والتسلطي وما افرزته من ثقافة وقيم تقليدية وأساليب تنشئة اجتماعية خاطئة، كل ذلك ساهم في إنتاج شخصية عراقية تتسم بالسلبية وفقدان الثقة بالنفس والتواكل والتكاسل وانعدام المبادرة والمغامرة وعدم احترام الوقت والعمل اليدوي وهي قيم تمثل في مجملها عقبات كأداء في طريق التنمية والتطور"، وطرحت – بناءً على ذلك – مشروعاً لإعادة بناء الشخصيَّة العراقيَّة تضمَّن: خلق

الذاكرة الجمعيَّة وبناء الهويَّة الوطنيَّة، وتطوير البنى المجتمعيَّة والقيميَّة، والإرادة السياسيَّة الوطنيَّة (محمد وخضير، 2016). فكانت كانت محاولة جيدة، تضمنت معرفة مناسبة، وقدمت رؤية خاصَّة، بطريقة متماسكة، وإن كانت تحمل الاختلالات المنهجيَّة التقليديَّة، إذ اعتمدت الشواهِد الانتقائيَّة المُقتضبة، والتحليلات النظريَّة البسيطة، وخرجت بنتائج تقليديَّة، إلا أنها مفيدة – بدرجة مُعينة - في دراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الشخصيَّة العر اقيَّة والتنمية**" (2008)، استهدفت "تشخيص العلل الاجتماعية التي تعاني منها الشخصية العراقية في مجال التنمية ومحاولة ايجاد الحلول اللازمة للقضاء على تلك العلل لتصبح الشخصية العراقية قادرة على الاسهام في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي"، وأكَّدت أنَّ "فهم الشخصية لم يعد موضوعاً مثالياً تتحكم فيه الاجتهادات التي تكون أقرب الى السحر والشعوذة، وانما أخضعت للبحث الموضوعي القائم على استخدام المنهج التجريبي الهادف الى استخلاص الحقائق من خلال الملاحظة الدقيقة المقصودة والتجربة واستقراء الحقائق من خلال البحوث الميدانية وبأسلوب موضوعي هادف يتوخى بناء الشخصية بناء سليماً لتسهم بدورها في بناء المجتمع"، وعرفت الشخصيَّة الفرديَّة، وتحدثت عن تكامل وتنمية الشخصيَّة العراقيَّة بصورة نظرية، بلا إشارة إلى العراق، وتطرقت لطروحات الوردي والطاهر، وانتهت إلى أنَّ "الاراء التي ذكرت حول الشخصية العراقية أعطتنا الملامح الرئيسية التي تضع الشخصية العراقية في موضع لا ينسجم مع حركة وتطور العالم السريع، أي أن الشخصية العراقية شخصية معوقة فهي تعاني من اعتلالات مرضية لا تنسجم مع حركة التنمية الصاعدة التي نريدها فالشخصية العرقية حسب تصوري تعاني من الاغتراب وسببه الاحتلال الاجنبي الذي جثم ولا يزال صدور العراقيين، وجعلهم يشعرون بان حريتهم مصادرة وانتاجهم مسلوب وحقهم مغتصب، كما ان العراقي يعاني من هيمنة الطبقة المترفة من الداخل التي تستحوذ على الثروة بذرائع مختلفة ويتضاعف هذا الشعور لدى المرأة التي تعاني من هيمنة الرجل وسطوته فضلاً عما ذكرنا من الهيمنة والاستغلال حيث يكون دورها مهمشاً داخل الأسرة. وتعاني الشخصية العراقية من النزعة الفردية الذاتية وضعف روح الجماعة الأمر الذي يؤدي الى ضعف الشعور بالمسؤولية وتفضيل المصلحة العامة، مما دفع إلى حب الاستحواذ على جهود الاخرين والابتعاد عن المساهمة في الجهد العام وتتسم الشخصية العراقية بالتعصب للراي والانحياز للذات وعدم الاعتراف بالهزيمة أو الخطأ مما يجعل الشخصية تميل الى الاعتزاز بالنفس وتجنب الحوار وعدم قبول الراي الاخر. ام الشخصية بمثل هذا الاعتلال ترفض الواقع ولا تقبل به حقيقة ماثلة لعيان وتلج في عالم يؤمن بالقدر وما يسوقه من مفاجات الأمر الذي يجعلها تفتقر الى اعتماد التخطيط كوسيلة مهمة لتدبير امورها كما أنها لا تحترم الزمن وتعتمد الى هدره وقضائه بدون الافادة منه كما تسرف وتبذر في المأكل والمشرب وفي الاموال اذا لزم الامر من أجل التفاخر والتباهي. كما ان الاعتلال يدقع بالشخصية فضلاً عن ذلك بان تكون طفيلية تقتات على جهود الاخرين وتميل الى الاتكالية عليه" (سلمان وموسى، 2008). فكانت أنموذجاً مثالياً لعدم

توفر ما أكدته من مواصفات لدراسة الشخصيَّة، إذ لا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي، وإنما استلالات من كتابات سابقة، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وضعف تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**تكوين العنف في الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمؤثرات: دراسة نظريَّة**" (2016)، استهدفت "توضيح العوامل المساهمة في ظهور العنف سواء كانت عوامل اجتماعية، أو بيئية، أو ثقافية، ومعرفة اسباب تكوين العنف في الشخصية العراقية وذلك بالاستناد على اراء بعض علماء الاجتماع وعلماء النفس"، فعرفت العنف والشخصيَّة الفرديَّة، وتحدثت عن العوامل المساهمة في العنف، وتطرقت إلى طروحات الوردي والطاهر وصالح، وذكرت مؤشرات العنف في العراق بعد (2003)، وانتهى – بغتة – إلى النتائج: "لقد أدى العنف المسلح في العراق إلى هجرة الآلاف من العوائل العراقية داخل وخارج العراق، ان العنف في العرق ليس له هوية معينة، فالعنف قد استهدف الجميع وطال جميع مكونات الشعب العراقي وجميع الأماكن، شكل العنف ملمحاً أساسيا من ملامح الشخصية العراقية قديما وحديثا أن لم يكن في جذور التكوين العراقي كالمناخ والبيئة، تبين أن ثقافة العنف في المجتمع العراقي كان لها دعم خارجي واقليمي ولاسيما دول الجوار، أن التناقض في القيم الاجتماعية التي يعيشها أو عاشها المواطن العراقي قبل عام 2003 وبعده وقيم البداوة والحضارة المنبثقة من تراثه الحضاري أدت إلى صراعات اجتماعية ونفسية على الأجيال الحالية، سيطرة الولاءات الطائفية والحزبية والمناطقية أدت إلى ظهور أشكال العنف في الشخصية العراقية وبهذا تتولد لديه صراعات مستمرة ومتناقضة وتمتاز بالعنف في المعاملة، أدى الصراع على السلطة والصراعات الطائفية الى تكوين الشخصية العراقية العنيفة ولاسيما بعد مشاهدته حالات القتل والدماء مما ولد لديه شعور نفسي ميالاً إلى العنف" (عبد الله، 2016). فكانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي، وإنما حديث عن العنف واستلالات من كتابات سابقة، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وضعف تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**مظاهر العُنف لدى الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمعالجات: دراسة تحليليَّة**" (2018)، استهدفت "الكشف عن العوامل والمسببات التي ساعدت في ظهور العنف لدى الشخصية العراقية، والكشف عن أن العنف لدى الشخصية العراقية أصيل أم عارض، ومحاولة إيجاد الحلول والمعالجات الممكنة لها بالاستناد إلى المعايير التي تضبط سلوكيات الأفراد داخل المجتمع"، فعرفت العنف والشخصيَّة الفرديَّة، وتطرقت إلى خصائص الشخصيَّة العراقيَّة بالإشارة إلى طروحات الوردي والطاهر وياسين المؤكدة للعنف، ثم انتقلت إلى النظريات المفسرة للعنف والعوامل المؤدية إليه، لتنتهي عند أبرز مظاهر السلوك العنفي لدى الشخصيَّة العراقيَّة، بنوعيه البنائي والتفاعلي، وتختم بتوصيات للمعالجات (مطرود وكزار، 2018). فكانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة

الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي، وإنما حديث عن العنف واستلالات من كتابات سابقة، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وضعف تحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الشخصيَّة العراقيَّة في سياق تكامل الأسرة الحضريَّة**" (2015)، استهدفت بيان "كيف اثرت عملية التحضر على بناء الاسرة وحولتها من ممتدة الى نووية في اغلب المجتمعات المتقدمة منها والنامية"، فعرفت الشخصيَّة الفرديَّة والقيمة والتحضر والأسرة والتكامل الأسري، ثم تعرضت إلى سمات الشخصيَّة العراقيَّة، فأكدت أنَّه "تميزة سمات الشخصية العراقية عن غيرها كونها لها طابع خاص بها فهي ناتجة عن التاريخ الاجتماعي الذي مره به افراد المجتمع او من نتاج البيئة الاجتماعية، وسنذكر بعض السمات الاساسية للشخصية العراقية وبشكلا مختصر: سمة التنوع، السمة العملية، سمة الحسم، سمة الانجاز، سمة التنظيم، سمة وضوح الهدف"، وأوردت في القيم الحضريَّة والتنشئة الاجتماعية والأسرة والتحضر وأثرها على الشخصيَّة العراقيَّة عموميات نظريَّة بلا إشارة إلى العراق، لتنتهي عند الخلاصة والاستنتاجات العامَّة التي خلت من الإشارة إلى العراق (حسين، 2015). فكانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي، وإنما حديث عمومي عن التحضر والأسرة، بلا أدنى إشارة إلى العراق، وتحديد للسمات بلا شواهد ولا مراجع، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**العلاقات الأسريَّة وتأثيرها على الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في قضاء الحلة**" (2022)، استهدفت "بيان دور العلاقات الأسرية في بناء الشخصية العراقية، كما هدفت الى توضيح الدور الاقتصادي للأسرة ومساهمته في انشاء جيل واع ومواكب للتطورات الراهنة، وايضا تهدف الى اشاعة روح المحبة والتسامح بين الزوجين مما ينعكس ايجابا على شخصيات الافراد"، فعرفت الشخصيَّة الفرديَّة وتحدثت عن الأسرة ووظائِف الأسرة، ثم تطرَّقت نظريات ومحددات ومصادر تكامل وأنواع وخصائص ومجالات تكوين الشخصيَّة بصورة عموميَّة غير منظمة ولا صلة لها بالشخصيَّة الاجتماعيَّة، لتتحول إلى بيان المنهجية المتمثلة بالمسح الاجتماعي باستعمال الاستبانة والمقابلة، وتطبيق الاستبانة على (200) شخص من الحلة، وتوصلت إلى أنَّ "للعلاقات الأسرية المتناغمة الدور الريادي في انشاء شخصية متزنة مبتعدة عن التناحر والنزعة العدائية للمجتمع، ان العامل الاقتصادي للأسرة دور فعال في شعور الفرد بالطمأنينة والأمان، يشكل مبدأ الحوار والتسامح بين الزوجين مفصلا مهما في حياة الافراد، المستوى العلمي والثقافي للأسرة يتناسب طردياً في حياة الافراد اذ كلما كانت الأسرة متعلمة ومثقفة كلما كان الافراد اكثر ورع ويمتلكون روح المبادة الخلاقة للجميع، تختلف الشخصيات تبعاً لنوع العلاقات الاسرية والظروف المحيطة بها" (كريم، 2022). فكانت – في الواقع - استطلاعاً لآراء الناس في دور العلاقات الأسريَّة، وليس – كما استهدفت – دراسة العلاقات الأسريَّة، واستطلاع بطريقة تبسيطيَّة عبر بناء ضعيف

للاستبانة، والتحليلات الاحصائيَّة المُربَكَة، كما كانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة ضعيفة.

"القدريَّة والعقلانيَّة في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في مدينة بغداد" (2017)، استهدفت "الوقوف على الآليات والوسائل التي ندرك بموجبها ماهية وطبيعة وسمات الموجهات القدرية والعقلانية بالبنية التنظيمية المؤسساتية والإدارة الثقافية التنظيمية للشخصية العراقية، الكشف عن التمظهرات والتداخل بالتوجهات القدرية والعقلانية بالتفكير والممارسات الاجتماعية الميدانية العامة التي تزاولها الشخصية العراقية وعلاقتها بروح المبادرة والابتكار والإبداع الثقافي بالسلوك التنظيمي الايجابي، التعرف على طبيعة الصراع والتداخل والتباين الثقافي والقيمي بين موجهات القدرية والعقلانية عبر استجلاء الغموض الذي يكتنف البنية الثقافية التنظيمية التي تنبع منها تلك الموجهات القيمية التي تحكم بقبضتها على الشخصية العراقية، السعي نحو اقامة نمذجة تحليلية ميدانية نستطيع بموجبها الوقوف بعمق شديد على الملامح الثقافية والاجتماعية لتلك التوجهات المتباينة القدرية والعقلانية ودلالاتها المتجسدة بالحياة اليومية المعاشة للشخصية العراقية، تقديم بعض الحلول والمعالجات والتوصيات المقترحة لتقليل وفك التداخل في انعكاسات القدرية على الذات العراقية والبنية الاجتماعية وتدعيم العقلانية والدفع باتجاه العمل نحو اعادة انتاج مجتمع عراقي حديث بتدرج واقعي وسبل إجرائية ارتقائية مخطط لها لترشيد الشخصية العراقية صاحبة الفعل التغييري الايجابي"، فعرفت القدرية والعقلانية والتغيير الاجتماعي، وعرفت الشخصيَّة بـ"السمات المادية والمعنوية التي تميز هوية الفرد شكلاً ومضموناً من حيث خلقته وبنيته الخارجية والمكنونات العقلية والروحية والنفسية والاجتماعية، التي تتشكل بفعل صيرورة العوامل الوراثية، وتفاعلها المستمر مع العوامل البيئية، وتحدد على ضوئها إمكانيات وقدرات وميول وطباع وقابليات ذلك الفرد، فتنمطه بنحو مُعين خاص خاضع للنسبية الثقافية للوسط الاجتماعي وتجعله متباينا عن باقر أفراد البشر"، لتنتقل إلى استعراض الدراسات السابقة، العراقية والعربية والأجنبية، والموجهات النظريَّة، وتتوصل إلى ترسيمة نظريَّة مبنية على تمايزات المجتمعات التقليدية والحديثة وفرضيات ازدواجية الشخصيَّة وصراع البداوة - الحضارة والتناشز الاجتماعي بقطبين يمثلان القدريَّة والعقلانيَّة، ثم تبحث القدرية والعقلانية في الشخصيَّة العراقيَّة بمقدمات نظريَّة مطولة وخاتمة عراقيَّة موجزة، لتنتهي عند الجانب الميداني، فتبين اعتماد المسح الاجتماعي، باعتماد استبانة (40 سؤال موزعة على ست محاور)، تسندها مقابلات وملاحظات بسيطة، طبقت على (260) موظفاً في ثلاث وزارات حكومية، فوجدت أنَّ "المشكلة البنيوية التي خلقتها جدلية الصراع والتضاد القيمي القدري والعقلاني أصبحت مصدر من مصادر النكوص والارتدادية الحضارية، وأن أصول النمط القدري بالشخصية العراقية يعود للتمسك الشديد

بالموروث الثقافي وخاصة الديني وضعف الوعي المعرفي والتنشئة الاجتماعية، وعدم وجود فلسفة واضحة لبناء مؤسسات الدولة قد انعكس على الجوانب المجتمعية المعاصرة، فضلاً عن غياب التنوع الاقتصادي والاعتماد على الاقتصاد الريعي أضعف البعد العقلاني بالخطط والسياسات والمشاريع التنموية زاد من الفوضى والاعتباطية القدرية بالتفكير وأضعف من روح المبادرة والابتكار والإبداع الثقافي بالسلوك التنظيمي الايجابي للشخصية العراقية، وغياب الافاق المستقبلية التنبؤية والتحكم بمصير الشخصية العراقية، وشيوع التفكير والسلوك القدري برر التسلط السياسي والاجتماعي بالمجتمع العراقي، وغياب العقلانية القيمية بالشخصية العراقية خلق مشكلات اقتصادية وإدارية تقنية وزاد من ازدواجيتها بين هيامها بالمثل العقلانية القيمية واهتمامها بالعقلانية النفعية والتقليدية بالواقع المعاش" (شلال، 2017). فكانت دراسة جيدة، مكتوبة بطريقة جادَّة، بجهودٍ واضحة، إلا أنها لم تشتغل ضمن مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، إذ خلت – إلى حد كبير – من الإشارة إلى مُقارباته ودراساته ومنهجياته، وأعادت الاعتماد – غير النقدي – على طروحات الوردي، وغلب عليها الطابع النظري، أما الجانب الميداني فبيَّن أنها كانت – في الواقع - استطلاعاً مُبسطاً لآراء الناس حول المظاهر القدريَّة والعقلانيَّة، وليس – كما استهدفت – دراسة القدريَّة والعقلانيَّة، إذ اعتمدت استبانة مُبسطة، وتحليلات مُبسطة، بينما كان يُمكن أن تستعمل مقياساً رصيناً للقدريَّة والعقلانيَّة ومقاييس رصينة للمُتغيرات ذات علاقة، وتحلل البيانات بطريقة إحصائيَّة مُتقدمة، ولذلك نجد ضعف مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي، ولكن الجهود الجادَّة تجعلها ذات فائدة لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة**" (2016)، استهدفت "تسليط الضوء على أهم الأحداث والتجارب التي أسهمت في تنيط الشخصية العراقية وتشخيص ووصف هذه الأنماط"، فعرفت السلوك والتنميط، وانتقلت إلى وصف التجارب: تجربة دكتاتورية الحزب الواحد وتجربة الحرب العراقيَّة الإيرانيَّة وتجربة غزو الكويت وتجربة العدوان الخارجي والتمرد الداخلي وتجربة الحصار الاقتصادي وتجربة العدوان والاحتلال، فكانت الحصيلة خمسة أنماط: متحملة ومتذمرة ومتهيجة ومظهرية وعنيفة (الهيتي، 2016). فكانت سرد وصفي، وتحديد لأنماط بلا شواهد كافية ولا تحليلات عميقة، ولا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة ضعيفة.

"**السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة بعد النزوح**" (2023)، استهدفت "التعرف على السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصية، التعرف على الاثار الاجتماعية لتنميط الشخصية، التوصل الى مقترحات وتوصيات الهادفة الى تنمية الشخصية والحد من بعض مخاطرها على البنية الاجتماعية"، فعرفت السلوك والتنميط والشخصيَّة الفرديَّة والنزوح، ثم أشارت إلى دراسات سابقة، عراقيَّة وعربيَّة، لتنتقل إلى الشخصيَّة العراقيَّة، فتتحدَّث عن

الشخصيَّة في الإسلام والشخصية العربية لتنتهي عند العراقية فتذكر ما أورده الوردي والطاهر والنوري والهيتي، وتُشير إلى العوامل المؤثرة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة (البيئة والدين والبداوة والحروب ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي)، وآثار النزوح (الاجتماعيَّة والنفسيَّة والاقتصاديَّة والتعليميَّة)، لتنتقل – بغتة – للنتائج والاستنتاجات، ليظهر أنها استعملت دراسة ميدانية التي أكدت – عبر نسب مئوية - أنَّ العينة ترى غلبة العقلانيَّة على الشخصيَّة العراقيَّة، وأكثر الأسباب المؤثرة في الشخصيَّة العراقيَّة هو عدم الاستقرار الأمني، وأنَّ جميع العوامل الاقتصاديَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة كانت مؤثرة في بناء الشخصيَّة العراقيَّة، وأنَّ الشخصيَّة العراقيَّة لا تستطيع تجاوز القيم التقليديَّة، وأنَّ الشخصيَّة العراقيَّة ميالة للماضي، وأنها كانت أكثر التزاماً قبل (2014)، وأنَّ أهم العوامل التي انتشرت وتنامت بعد النزوح وأدت إلى تنميط الشخصيَّة العراقيَّة هي انتشار مظاهر الانتماءات الولائيَّة (محي، 2023). فكانت – في الواقع - استطلاعاً لآراء الناس العوامل المؤثرة في التنميط وبعض جوانب الحياة الاجتماعيَّة، وليس – كما استهدفت – دراسة للسلوكيَّات الفاعلة في التنميط، كما كانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، إذ لا إشارة إلى المنهجيَّة ولا للاستبانة، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة ضعيفة.

4 الكتابات الانثروبولوجيَّة

"**المجتمع العراقي وشخصيَّته بين الاتجاهات الماديَّة ومنظومته القيميَّة: قراءة في الأنثروبولوجيا النقديَّة**" (2020)، استهدفت "الوقوف على بعض الرؤى والقراءات التي تبنيت من قبل الوردي وابراهيم الحيدري وسيار الجميل، ومناقشة بعض من جزئياتها نقدا وتحليلا مستعينة بنفس المنهجية التي اعتمدها اولئك الباحثون ومنهما المنهجين الوصفي والنقدي التحليلي، مع استخدام الادوات الانثروبولوجية كالملاحظة بالمشاهدة والمشاركة والمقابلات والاخباريين فضلا عن المصادر والمراجع المعنية بهذا الموضوع"، وبينت أنَّ منهجيَّة الدراسة تتمثل بالمنهج الوصفي والتحليلي النقدي، ثم عرفت – بصورة مطولة - الشخصيَّة الفرديَّة والمجموعة الإثنيَّة والبنية الاجتماعيَّة والقوميَّة، لتنتقل إلى وصف – ومناقشة - طروحات الوردي والجميل والحيدري، لتنتهي عند تبيان التنوع الديني والمذهبي في العراق، وتختم بالنتائج: أنَّ جل الباحثين العراقيين الاجتماعيين والأنثروبولوجيين اعتمدوا المدرسة الغربيَّة الماديَّة، وأثبتت الدراسة أنَّ المجتمع العراقي مدني وليس بدوي، وثبت بالفطرة أنَّ التنوع والاختلاف من سُنن الإله، وأنَّ هناك خلط في المفاهيم وعدم دقة في التعريف ببعض الجماعات العرقيَّة، وأنَّ استهداف الأقليات الدينيَّة لم يكن من الأغلبيَّة المُسلمة وإنما من مفتعلات السياسة (الحسني، 2020). فكانت مناقشة جيدة لبعض الطروحات، وإن كانت عموميَّة، ولكن بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، بل تعريف عمومي للمنهجين المُدعى اعتمادهما، إن لم يكن تعريفاً خاطئاً، وتطبيقاً عموميا

كذلك، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، إلا بدرجة ضعيفة.

"**الشخصيَّة العر اقيَّة وتأثيرها على اتجاهات الرأي العام في العراق: دراسة أنثروبولوجيَّة تحليليَّة**" (2024)، استهدفت معرفة "بماذا يختلف الرأي العام في العراق عن بقية الدول والمجتمعات، هل تختلف الشخصية العراقية عن شخصية الافراد في بقية المجتمعات، ما علاقة سمات الشخصية العراقية بالرأي العام العراقي وتوجهاته ومظاهره، كيف يتم الاستفادة من الدراسات الانثروبولوجية للمجتمع العراقي في التخطيط وصنع السياسات"، فعرفت الأنثروبولوجية والشخصيَّة الفرديَّة والرأي العام بصورة نظريَّة مطولة، ثم تطرقت – مطولاً - إلى الشخصيَّة والمجتمع، وانتقلت إلى بنية الشخصيَّة العراقيَّة مُستندة إلى طروحات الوردي والطاهر والحيدري، لتنتهي عند أثر الشخصيَّة العراقيَّة في الرأي العام العراقي، وتُشير إلى كونه انفعاي وقلق ومتطرف، وتختم بـ "أظهر البحث ان الدراسات الانثروبولوجية باتت تحظى بأهمية خاصة وكبيرة، في البحوث العلمية والأكاديمية، لجهة دراسة الشعوب والمجتمعات، ووضع السياسات العامة، والخطط والبرامج الموجهة إلى الدول الأخرى والرأي العام فيها على المستوى الداخلي والخارجي. كما اظهر ان الراي العام العراقي له صفات ومظاهر خاصة تميزه عن الراي العام في الدول الأخرى، وان هذه الفروقات هي نتاج تميز الشخصية العراقية في صفاتها وظروفها وردود افعالها" (دواره، 2024). فكانت شروحات عموميَّة، بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، وسرد لسيل من الأحكام عن الرأي العام العراقي بلا شاهد ولا مرجع، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**تراجيديا الحُزن في الشخصيَّة العر اقيَّة: قراءة أنثروبولوجيَّة**" (2013) استهدفت "التعرف على القهر والاغتراب الذي نالته الشخصية العراقية من خلال جدلية المحدود والمطلق استناداً الى مقولة الانسان كائن اجتماعي"، فعرفت القهر والاغتراب والتراجيدية، لتتطرق إلى القهر والاغتراب في الشخصيَّة العراقيَّة وتراجيديته بحديث عمومي لا صلة لع بالعراق، وتنتقل إلى ثلاثية القمع والشخصيَّة الاجتماعيَّة (المجتمع، الموروث، الدولة)، وتُشير "العلم عند الله اللعنة الأولى سجلت اربعينيات القرن الماضي ولطختها عندما دخل النازيون فرنسا ... ولعنة ثانية مع الدخول القومي في الساحة السياسية العراقية"، وتواصل الحديث العمومي اللاعراقي (زامل وصالح، 2013). فكانت أحاديث عموميَّة، غامضة وهُلاميَّة، بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الثقافة الدينيَّة والشخصيَّة العر اقيَّة: دراسة أنثروبولوجيَّة**" (2019)، استهدفت "التعرف على مفهوم الثقافة العام، التميز بين مفهوم الثقافة ومفهوم الثقافة الدينية، التعرف على العوامل

المؤثرة في تكوين الثقافة الدينية للشخصية العراقية، طبيعة الثقافة الدينية في المجتمع العراقي، اثر هذه الثقافة على شخصية الافراد في المجتمع الع ارقي عموماً والمجتمع الحلي خصوصها"، فعرفت الثقافة والدين والشخصيَّة الفرديَّة والثقافة الدينيَّة، ثم انتقلت إلى المحددات الثقافيَّة للشخصيَّة العراقيَّة والعلاقة بين الثقافة والدين والشخصيَّة، ببيان نظري عمومي، لا إشارة فيه إلى العراق، ليدخل العراق – بغتة – بوصفه – إنساناً طقوسياً "يسبح في المقدس"، ويتوالى الحديث عن الشعائر والمجالس والمواكب والزيارة الحسينيَّة، لتنتهي عند تأكيد أنَّ "كل هذه الطقوس والشعائر التي يقوم بها الشيعة في المجتمع العراقي والمجتمعات الشيعية الأخرى تعد نماذج وصوراً من الثقافة الدينية التي تؤثر بشكل كبير على الشخصية، فمن خلال هذه الطقوس والشعائر يتهذب الأفراد، وتساهم هذه الطقوس والشعائر في سيادة الثقافة الدينية في المجتمع العراقي عموماً والمجتمع الحلي خصوصاً. وهذا النمط من الثقافة الدينية انعكس بدوره على تشكيل صور ثقافية نعيشها في مجتمعنا، تأخذ أشكالاً متعددة منها الشعائر الدينية والعلاقة بين الثقافة والشخصية والدين، والممارسات والطقوس الدينية وتأثيرها على الشخصية العراقية" (العبيدي وآخرون، 2019). فكانت أحاديث نظريَّة عموميَّة، بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الخطابات المُتصارعة وأثرها في بناء شخصيَّة الفرد العراقي**" (2020)، استهدفت "التعرف على الخطابات التي تترك اثرا ايجابيا او سلبيا في شخصية الفرد العراقي ويتمحور من هذا الهدف عدة اهداف اخرى تسعى الدراسة الى تحقيقها: التعرف على مفهوم الخطاب وتطوره في الادبيات المعنية، التعرف على اهم الخطابات التي سادت في المجتمع العراقي طيلة فترة ما بعد التاسع من نيسان 2003، التعرف على طبيعة صراع الخطابات في تكوين الشخصية العراقية، التعرف على نتائج صراع الخطابات في شخصية الفرد العراقي، التعرف على ابرز المحددات التي لها دور في تكوين الشخصية العراقية"، وأكدت أنَّ الدراسة استعملت " منهجين (المنهج الكيفي، المنهج التأويلي)، اما لجمع المعلومات فقد استخدم الوسائل الاحصائية المتمثلة بـ (الملاحظة والمقابلة والاستبيان)، فعرفت الخطاب والشخصيَّة الفرديَّة، وانتقلت إلى أثر الخطاب الديني والسياسي والإعلامي في شخصيَّة الفرد العراقي، لتنتهي عند استنتاجات: "ان ادارة الدولة وفق نظام المحاصصة الأثنية الطائفية له دور في فشل مشروع الدولة، ان اكثر الخطابات رواجا في المجتمع العراقي هو الخطاب السياسي ثم يليه على التوالي الخطاب الديني، بان اكثر الخطابات قبولا في المجتمع العراقي هو الخطاب الديني ويليه الخطاب الاعلامي، ان لتعدد الاحزاب والكتل السياسية في المجتمع اثر في ضعف الوحدة الوطنية وبث خطاب الطائفية والكراهية في المجتمع وتعدد الولاءات والانتماءات، ان الاعلام الع ارقي لم يشكل خطاباً محايداً لأنه اعلام تابع وليس حر ومقسم الى عدة انواع اهمها الاعلام الرسمي الذي يكون تابعاً للسلطة الحاكمة واعلام طائفي يكون تابعاً لطائفة اوجه معينة

واعلام وطني يعكس واقع المجتمع العراقي، ان الخطاب الاعلامي عملية مستمرة ومعقدة تتفاعل فيها وعبرها قوى ومتغيرات محلية ودولية تعكس اوضاع المجتمع وثقافته والمرحلة التاريخية التي يعيشها، ان لأنماط الخطاب المختلفة دور في تكوين وبناء شخصية الفرد؛ لأنه يشكل المواقف ويحدد الهويات الاجتماعية للأفراد والجماعات بأكملها" (كاظم وغضبان، 2020). فكانت بلا مؤشرات لمعرفة مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، بل العكس، ولا اشتغال منهجي دقيق، إذ على الرغم من ذكر منهجين ووسائِل إحصائيَّة (وهي ليست كذلك)، لا نجد أدنى إشارة للمنهجين والوسائِل، وإنما مجرد استعراض عمومي للخطابات، مع شواهد مُقتضبة، ولذلك نجد خلل مفاهيمي وغياب نظري ومنهجي وتحليلي يُتيح الحكم بأن لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الشخصيَّة العراقيَّة: المُشكلات الاجتماعيَّة والصراع من أجل البقاء: دراسة في الأنثروبولوجية النفسيَّة**" (2022)، استهدفت "تحديد اهم التحولات التي حدثت لبعض سمات الشخصية العراقية بعد تغيير النظام عام 2003، اهم التحولات الاجتماعية والنفسية للمجتمع العراقي التي تركت اثراً بدورها على الشخصية العراقية بعد عام 2003، فهم السلبيات والنواقص والعيوب والاعتلالات في سلوك الفرد العراقي قبل وبعد عام 2003، فهم واستجلاء محددات الصراع من اجل البقاء في المجتمع العراقي بعد عام 2003 الذي شهد تغيرات جذرية، تحديد وتحليل المشكلات الاجتماعية للشخصية العراقية، ايجاد تحليل انثروبولوجي لطبيعة وماهية واتجاهات بناء الشخصية العراقي"، فعرفت الشخصيَّة الفرديَّة، وأشارت إلى الشخصيَّة الأساسيَّة والقوميَّة والمنواليَّة، والمشكلات الاجتماعيَّة للشخصيَّة والصراع والأنثروبولوجية النفسيَّة، وذكرت – وناقشت - جملة من الدراسات السابقة، العراقيَّة والعربيَّة والأجنبيَّة، ثم انتقلت إلى النظريات، فاستعرضت – وناقشت - نظرية فرويد وفروم وسوليفان، ونظرية بينديكت ووالاس وأوبلر، لتستعرض الشخصيَّة العراقيَّة عند الوردي والطاهر ومناف وياسين، وبناءً على ذلك تحدد سمات الشخصيَّة العراقيَّة بـ: التسلط والعدوان والمسالمة والانفعال والاغتراب والتعصب، كما تستعرض التحولات الاجتماعيَّة والنفسيَّة في المجتمع العراقي، وأشكال الصراع في المجتمع العراقي، كل ذلك بسرد نظري مطول وشواهد عراقيَّة مُقتضبة، لتصل إلى الدراسة الميدانيَّة فتبين اعتماد المناهج المقارن والوصفي والمسح الاجتماعي، ووسائل الملاحظة والمقابلة واستمارة المقابلة (35 سؤالاً)، على عينة (380) شخصاً من الديوانيَّة، فتوصلت إلى "تنامي بعض سمات الشخصية العراقية النفسية والاجتماعية بعد 2003، ومن اهم تلك السمات هي (الازدواجية، الاغتراب، الانفعال، العدوانية، التعصب)، وان اهم المشكلات الاجتماعية (الاسرة، المجتمع، الدولة) للشخصية العراقية تأثرت بصورة مباشرة بأحداث بعد عام 2003 مما جعل من عملية بناء وتشكيل الشخصية العراقية عملية مغايرة تحمل الكثير من اساليب التنشئة المغايرة والحديثة، ظهرت بعض التغيرات في بنية الشخصية العراقية تراوحت بين التحولات السطحية والجذرية بعد عام 2003، تعد الاسرة هي

المشكل الأكثر تأثرا في عملية التحول السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد 2003، حيث تعرضت الاسرة العراقية الى العديد من التحولات أهمها التفكك الاسري وضعف الرقابة الاسرية، مما أثر في تشكيل الشخصية العراقية، ان التحولات السياسية بعد 2003 دور في بلورة الصراع في الشخصية العراقية من خلال انعدام الامن والفساد المالي والإداري، التأكيد على وجود صراع من أجل البقاء في المجتمع العراقي على أساس الصراع بين الأفراد والجماعات، ومن أهم صور هذا الصراع هي (الصراع الطائفي، الصراع بين الأجيال، الصراعات السياسية). ساهمت بعض الضغوطات الاقتصادية في تعزيز حالة الصراع في الشخصية العراقية، اصبحت الشخصية العراقية بعد عام 2003 اكثر انهازية بسبب التحولات الثقافية والاقتصادية التي لم تكن حقيقية ولم يكن مخططاً لها في المجتمع العراقي، ان شعور الانسان ان وجوده مهدد وعدم شعوره بالأمان وانه مستهدف كان السبب في العديد من الصراعات الاجتماعية التي تطورت الى صراعات نفسية في الشخصية العراقية وهذا كما تم شرحه ترك شرخاً هائلا في صياغة الشخصية العراقية" (شطب، 2022). فكانت دراسة مكتوبة بطريقة جادَّة، بجهودٍ واضحة، إلا أنها لم تشتغل – بشكل سليم - ضمن مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، وأعادت الاعتماد – غير النقدي – على طروحات الوردي والطاهر ومناف وياسين، وغلب عليها الطابع النظري، وحددت – بصورة تعسفية – سمات سلبيَّة، أما الجانب الميداني فبيَّن أنها كانت – في الواقع - استطلاعاً مُبسطاً لآراء الناس حول المشكلات الاجتماعيَّة، وليس – كما استهدفت – دراسة للمشكلات الاجتماعيَّة، إذ اعتمدت استبانة مُبسطة، وتحليلات مُبسطة، بينما كان يُمكن أن تستعمل مقاييس رصينة للمُتغيرات ذات علاقة، وتحلل البيانات بطريقة إحصائيَّة مُتقدمة، ولذلك نجد ضعف مفاهيمي وغياب نظري وضعف منهجي وتحليلي، ولكن الجهود الجادَّة تجعلها ذات فائدة لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة. و"**التحولات الاجتماعيَّة والنفسيَّة في المجتمع بعد عام 2003 وأثرها على سمات الشخصيَّة العراقيَّة**" (2024) (كاظم وشطب، 2024)، مُستلَّة من الدراسة الأساسيَّة، فينطبق عليها ما ذُكر في الأساسيَّة.

5 الكتابات السايكولوجيَّة

"**الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة ميدانيَّة**" (2005)، استهدفت "قياس الصورة النمطية لخصائص العنف في الشخصية العراقية من وجهة نظر الطلبة"، فعرفت الصورة النمطيَّة والعُنف، كما عرَّفت الشخصيَّة الاجتماعيَّة والسمات المُشتركة والشخصيَّة الأساسيَّة والقوميَّة واشتقت – بناءً على ذلك - تعريف الشخصيَّة العراقيَّة: "تنظيم نفسي جوهري، يمكن تعميمه على معظم أفراد المجتمع العراقي، يتألف من مجموعة من السمات والاتجاهات والقيم والخصائص النفسية التي نشأت وتطورت بتأثير أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة، والتجارب الرئيسية المشتركة، ونمط الحياة المشترك بينهم"، ثم استعرضت نظريات ودراسات الصورة النمطيَّة والعنف، وانتقلت إلى منهجيَّته، إذ بنَت مقياساً للصورة النمطيَّة لخصائص العنف في الشخصيَّة العراقيَّة، بأسلوب التمايز الدلالي، وحددته بـ (13) بعداً للعنف،

وتحققت من خصائصه السايكومتريَّة، وطبَّقته على عينة تكونت من (144) طالباً في جامعة بغداد، فتبين "إن لطلبة الجامعة اعتقاداً بأن الشخصية العراقية غير عنيفة، ذلك أن صورتهم النمطية عن هذه الشخصية تنحو في مجملها إلى تغليب الخصائص المناقضة للعنف، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في طبيعة الصورة النمطية الكلية التي يحملونها عن خصائص العنف مجتمعة في الشخصية العراقية"، وانتهت باستنتاج نهائي "إن الوظيفة الدافعية للصورة النمطية لدى طلبة الجامعة، قد تكاملت مع محتواها المعرفي، في وحدة مفهومية، بلورت لديهم اتجاهاً ايجابياً نحو خصائص الشخصية الاجتماعية في بلادهم، بالرغم من كل التشويهات والأضرار التي لحقت بهذه الصورة، سواء في الأدبيات المقروءة أو في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أو في وقائع الحياة اليومية خلال عقود من الحروب والعنف السياسي والاجتماعي. وكل ذلك يقدم مؤشرات ملموسة على إيجابية بعض العناصر التي تتكون منها العلاقة النفسية بين الشاب العراقي ومجتمعه في الوقت الحاضر" (نظمي، 2005). وكانت "**الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العر اقيَّة: دراسة تتبُّعيَّة لرؤية الشباب الجامعي خلال عشرين سنة (2004-2024)**" (2025)، مواصلة للدراسة السابقة، استهدفت الكشف عن "تحولات الصورة النمطية لخصائص العنف في الشخصية العراقية خلال عقدين من الزمن"، فطبقت المقياس ذاته على عينة تكونت من (112) طالباً في جامعة بغداد، فـ "كشفت النتائج في كلا التطبيقين (2004 و2024) عن إن الصورة الإجمالية التي يحملها الشباب العراقي (طلبة الجامعة) في أذهانهم عن الخصائص النفسية السائدة في مجتمعهم العراقي، تبدو في محصلتها مناقضة للصورة النمطية السلبية السائدة عن الشخصية العراقية في الأدبيات التأريخية والسياسية والاجتماعية والنفسية - المشار اليها في مشكلة البحث- بوصفها شخصية دموية يحركها العنف والقسوة ... جاءت جميع الصور النمطية (الإجمالية والفرعية) لسنة 2024 أكثر ميلاً لإبعاد العنفية عن الشخصية العراقية مما كانت عليه في سنة 2004، باستثناء حالة واحدة. وهذا يعني أن الجيل الشبابي الحالي الذي ولد غالبيته في حدود سنة 2003، يمتلك حاجة لاشعورية أشد من الجيل الذي سبقه بعقدين من الزمن، لامتلاك صورة ايجابية عن شخصيته الاجتماعية، على الرغم مما رافق هذه السنوات من تطورات سياسية أفرزت أنماطاً متعددة من العنف الفردي والجماعي، وكأن هذه الصورة تمثل آلية دفاعية إنكارية تكيفية ضد ذلك العنف. يضاف إلى ذلك إن بزوغ الهوية الوطنية من جديد بعد تراجع الحقبة الطائفية، وتحولات الثقافة السياسية والهيمنة الثقافية باتجاه المساءلة والاعتراض خلال العقد الأخير، وانفتاح الفعل التواصلي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتوالي الموجات الاحتجاجية السلمية التي كان للشباب دور أساسي في تغذيتها وآخرها الموجة الاحتجاجية الكبرى في تشرين 2019، قد أسهمت جميعاً في تعزيز تلك الصورة الإيجابية وتحويلها إلى بنية معرفية أكثر رسوخاً وثباتاً لديهم من ذي قبل. وهذه كلها خبرات اجتماعية وسياسية وثقافية مستجدة لم تتح الفرصة لجيل سنة 2004 أن يعايشها، والذي وِلد معظمه في ثمانينات القرن الماضي إبان الحقبة الشمولية المنغلقة ... يلاحظ أن

خصائص العنف الثلاثة (متعصبة/ متوترة/ انفعالية) التي كان يعتقد الشباب بوجودها في الشخصية العراقية في سنة 2004، يغلب عليها الطابع الوقتي والعَرَضي بسبب الشحنة الانفعالية الشديدة التي تحملها، فيما يلاحظ أن الخصائص السبعة المناقضة للعنف (مسالمة/ مجاملة/ متسامحة/ محبة/ مستبشرة/ بنّاءة/ عطوفة) التي كان يعتقدون بوجودها، تتصف بالاستقرار والثبات والديمومة. أما في سنة 2024 فقد خلت الشخصية العراقية تماماً من أي خاصية عنفية فرعية من وجهة نظر الشباب" (نظمي، 2025). فكانت الدراستين عارفتين بمجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، واعتمدتا تعريفاً سليماً للشخصيَّة العراقيَّة، واشتغلتا – ليس على الشخصيَّة العراقيَّة بشكلٍ مباشر – وإنما المُدرَكَة، وتحديداً في سمة واحدة: العُنف، بمنهجية واضحة وأداة رصينة، وكانت النتائِج مُتسقة مع الأهداف، بطريقة مُنظمة وأسلوب دقيق، ولذلك فهما مفيدتان في دراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**الإرهاب و أثره على الشخصيَّة العر اقيَّة**" (2008)، استهدفت بحث الارهاب، فاستعرضت تعاريفه، ومداخله، ونظرياته، وأركانه، ومقاومته ومعالجته، لتنتهي باستنتاجات، بطريقة عمومية تبسيطيَّة، لنجد فقرة مُقحمة – بلا مقدمات، قبل المقاومة - عن "الآثار النفسيَّة للارهاب على الشخصية العراقية: ان من اهم افرازات العدو الامريكي على الشعب العراقي هي: ظهور امراض نفسية واضطرابات سلوكية ظهرت على شكل تناول المشروبات الكحولية والاكثار من التدخين وتعاطي الادوية المهدئة والمنومة، تناول المخدرات، ممارسة السلوك غير السوي كالعدوانية تجاه الآخرين والعصبية الزائدة، اهمال العمل والواجبات الشخصية والتهرب من تبعات المسؤولية الاسرية، اضطراب في النوم وكثرة الاحلام المزعجة وعدم الشعور بالراحة والشعور الدائم بالارهاق والقلق والضيق والتشوش في الفكر والشرود الذهني، التشتت في الانتباه والنسيان والانشغال الفكري في الارهاب، واعراض مرضية مثل الصداع والمغص وصعوبة في التفس وكثرة التقيؤ والتبول اللاارادي وانعدام الشهية للطعام، لقد اكد الباحثون على ظهور احساسات بآلام وهمية في حال مشاهدة الاشخاص الذين يتالمون جراء اصاباتهم في العمليات الارهابية" (الشويلي، 2008). فكانت دراسة غريبة، كلها استعراض نظري للارهاب، أقحمت الآثار النفسيَّة، وجعلتها أهم افرازات العدو الأمريكي، وسردت سيلاً من النتائِج بلا مصدر ولا إحالة واحدة، ولا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**البناء النفسي للشخصيَّة العر اقيَّة بعد الانسحاب الأمريكي**" (2016)، استهدفت بحث "كيفية البناء النفسي للشخصية العراقية بعد الانسحاب الأمريكي من العراق"، فعرفت الشخصيَّة الفرديَّة وتعرضت لقياس الشخصيَّة ونظريَّات الشخصيَّة ومقومات الشخصية، بطريقة عمومية مُبسطة، وأشارَت "نحن في دراستنا للشخصية نعتمد على الواقع ، ونقيم أفعال الفرد وفقا لرؤيته سواء أكانت نتيجة تأثير الوراثة والفطرة، أو تأثير البيئة الاجتماعية والظروف، ويحق لنا أن نستنتج ، مناقشة في الشخصية العراقية بحكم نقدي منفصل نقدمه بعد دراستها أو تحليلها"، لتنتقل إلى

بناء الشخصيَّة العراقيَّة، فتؤكد أنَّ "الشخصية العراقية لم تكن وليدة اليوم أو بنت حاضرها ، إنما هي امتداد لما يزيد على السبعة آلاف عام من الآن لذا علينا التنبه لضرورة الاهتمام ببنائها بما يرضي الله جل وعلا ويساعد على إعادة تأهيلها تأهيلا يتماشى و التطور العلمي الحاصل في مجالات المعرفة كافة"، لتسترسل في حديث عن الاحتلال وما رافقه، وتُضيف "يرى الباحث أن نظريات علم النفس تبقى في حدود تفسر أنماط وسمات الشخصية العراقية، إذ أن جميع النظريات وضعت في مجتمعات غربية لا تنطبق عليها قواعد الشخصية العربية، ولا تتماشى مع الواقع العراقي، إلا أن بعض هذه النظريات يستطيع الباحث النفسي أن يأخذ منها ما ينفعه ويترك ما لا ينفعه حسب الحالة المدروسة وطبيعتها ... هناك برامج من الممكن لنا أن نعمل عليها لإعادة تأهيل الشخصية العراقية ولنا أن نعمل على برنامج عراقي للتأهيل يعمل وفقا لعقائدنا وأخلاقياتنا ومبادئنا وديننا كي نصل بالشخصية العراقية إلى المطلوب من إعداد بما يخدم تطور وبناء هذه الشخصية ومواكبتها للتطور العالمي"، ثم تقدم توصيات لمرحلة الابتدائية والثانوية والجامعية (المعاضيدي، 2016). فكانت دراسة غريبة، باستعراضات نظريَّة عمومية، ولغة مُفككة، ولا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**دور الثقافة الو افدة على العنف المجتمعي في الشخصيَّة العر اقيَّة**" (2019)، استهدفت "تعرف دور الثقافة الوافدة على العنف المجتمعي في الشخصية العراقية"، فعرفت الثقافة والعنف المجتمعي، واستعرضت نظريات العنف، بطريقة عموميَّة، لتظهر – بغتة، بلا مقدمات – الاستنتاجات: "إن ما واجهته الشخصية العراقية من تحديات واحباطات وموانع تمثلت في أن جيل الشباب الموجود حالياً عاش فترة غير مستقرة تمثلت بفقدان الأمن والتهديد العام والضغوط المادية والنفسية التي جلبتها الحروب والويلات والأزمات وأشكال الضغوط الاجتماعية المختلفة وألوان التغييب المتعمد للوعي الثقافي والتسطح في البرامج الثقافية والتربوية والتعليمية، أدى إلى ظهور العديد من المشكلات السلوكية في الوسط الشبابي، مما أدى إلى تغيرات اجتماعية ونفسية وبشكل أدق أدى إلى تغيير في نمط الشخصية السائدة" (عسكر وحمزة، 2019). فكانت دراسة غريبة، باستعراضات نظريَّة عمومية، وإقحام مقتضب مباغت للشخصيَّة العراقيَّة، ولا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة.

"**سلوكيَّات الشخصيَّة العر اقيَّة: العنف والشخصيَّة**" (2018)، استهدفت – كما يُستنتَج – بحث السلوكيات العنفيَّة عند الشخصيَّة العراقيَّة، فعرفت الشخصية الفرديَّة، وأكدت أنَّه "توصف نفسية الفرد العراقي بالعنف دوماً وسلوكاً وبالتطرف والانا العالية والغرورة والكبرياء العاليين وحدة الطبع والمزاج والتحسس السريع من بعض المواقف الحياتية الحساسة، أن تلك التصورات تصطبغ بها الشخصية العراقية العدوانية يضاف الى هذا التراكم المؤلم ما استجد من وسائل العنف بعد تغيير النظام السابق التي تمتلك بأعمال وتصرفات تتنافى وقيم المجتمع الأصيلة ودينة الحنيف"، وتسترسل بحديث عمومي، لتنتقل إلى استعراض نظريَّات العنف، وبعض دراسات

العدوان، وتظهر – بغتة – الاستنتاجات: "إسهام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في نشر ثقافة العنف وبث الروح العدوانية في نفوس الأبناء، ما يحدث من صراعات ومشاجرات بين الأباء والأمهات أمام الابناء واساليب معاملتهم الوالدية غير السوية التي يستخدمها الآباء مع الأبناء تؤثر بشكل واضح سلوكيات أبنائهم" (جلال، 2018). فكانت دراسة غريبة، باستعراضات نظريَّة عمومية، خاطئة في الغالب، كما افتقدت للأمانة العلميَّة، فأغلَب المصادر مشكوكة، فقد ذكرت – مثلاً، لا حصراً - "أما الشخصية العراقية فيعرفها الوردي (1999) نفسي جوهري يمكن تعميمه على معظم افراد المجتمع العراقي يتألف من مجموعة من السمات والاتجاهات والقيم والخصائص النفسية التي نشأت وتطورت بتأثير اساليب التنشئة الاجتماعية السائدة والتجارب الرئيسية المشاركة ونمط الحياة المشترك بينهم (الوردي، علي حسين، 1999، دواعي التعصب والانتقام لدى المجتمع العراقي، دار الوراق للطباعة والنشر، بغداد)"، بينما – أولاً – التعريف لنظمي (2005)، ولا يوجد – ثانياً – للوردي كتاب بهذا العنوان، ولذلك لا صِلَة لها – مفاهيميَّة ونظريَّة ومنهجيَّة – بدراسة الشخصيَّة العراقيَّة، بل ولا بالدراسات العلميَّة عامَّة.

الجدول (1) مُجمل وصف وتحليل العينة المدروسة

	المَعلومات			المَحكَّات				الفائِدة
	العنوان	التخصص	السنة	الدقة المفاهيميَّة	المعرفة النظريَّة	المُمارسة المنهجيَّة	الرصانة التحليليَّة	
1	اتجاهات الشخصيَّة العراقيَّة بإزاء المواطنة والهويَّة الوطنيَّة: دراسة مسحيَّة	إعلاميَّة	2014	X	-	-	-	
2	صورة الشخصيَّة العراقيَّة في صحف الكويت اليوميَّة: دراسة في تحليل المضمون	إعلاميَّة	2003	X	-	-	-	محدودة
3	تمثُّلات الشخصيَّة العراقيَّة في أفلام الحرب على العراق التي أنتجتها هوليوود	إعلاميَّة	2021	X	-	-	-	محدودة
4	مدرسة واسط الصوفيَّة وأثرها في الشخصيَّة العراقيَّة	تاريخيَّة	2020	X	-	-	-	
5	الشخصيَّة التاريخيَّة للمُجتمع العراقي	تاريخيَّة	2011	X	X	X	X	ضعيفة
6	الشخصيَّة العراقيَّة في كتابات الاجتماعيين: الوردي – الطاهر نموذجاً	سوسيولوجيَّة	2018	X	X	X	X	عامَّة
7	ازدواجيَّة الشخصيَّة العراقيَّة هي نتاج القيم المائيَّة	سوسيولوجيَّة	2020	X	X	X	X	محدودة

	المَعلومات			المَحكَّات				الفائِدة
	العنوان	التخصص	السنة	الدقة المفاهيميَّة	المعرفة النظريَّة	المُمارسة المنهجيَّة	الرصانة التحليليَّة	
8	الاتجاهات القيميَّة للشخصيَّة العراقيَّة المزدوجة عند علي الوردي	سوسيولوجيَّة	2015	X	X	X	X	محدودة
9	أنموذج افتراضي لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة	سوسيولوجيَّة	2008	/	-	-	-	مفيدة
10	أنموذج افتراضي لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة	سوسيولوجيَّة	2010	/	-	-	-	مفيدة
11	الشخصيَّة العراقيَّة بين قوقعة الطاهر وازدواجيَّة الوردي	سوسيولوجيَّة	2013	/	-	-	-	محدودة
12	الشخصيَّة العراقيَّة من منظور سوسيولوجي	سوسيولوجيَّة	2016	X	X	X	X	محدودة
13	الشخصيَّة العراقيَّة وإعادة بنائها: دراسة في سايكولوجيا التمكين	سوسيولوجيَّة	2016	/	/	X	X	مفيدة
14	الشخصيَّة العراقيَّة والتنمية	سوسيولوجيَّة	2008	X	X	X	X	
15	تكوين العنف في الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمؤثرات: دراسة نظريَّة	سوسيولوجيَّة	2016	X	X	X	X	
16	مظاهر العُنف لدى الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمعالجات: دراسة تحليليَّة	سوسيولوجيَّة	2018	X	X	X	X	
17	الشخصيَّة العراقيَّة في سياق تكامل الأسرة الحضريَّة	سوسيولوجيَّة	2015	X	X	X	X	
18	العلاقات الأسريَّة وتأثيرها على الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في قضاء الحلة	سوسيولوجيَّة	2022	X	X	X	X	ضعيفة
19	القدريَّة والعقلانيَّة في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في مدينة بغداد	سوسيولوجيَّة	2017	X	X	X	X	مفيدة
20	السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة	سوسيولوجيَّة	2016	X	X	X	X	ضعيفة
21	السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة بعد النزوح	سوسيولوجيَّة	2023	X	X	X	X	ضعيفة

	المَعلومات			المَحكَّات				الفائِدة
	العنوان	التخصص	السنة	الدقة المفاهيميَّة	المعرفة النظريَّة	المُمارسة المنهجيَّة	الرصانة التحليليَّة	
22	المجتمع العراقي وشخصيَّته بين الاتجاهات الماديَّة ومنظومته القيميَّة: قراءة في الأنثروبولوجيا النقديَّة	أنثروبولوجيَّة	2020	X	X	X	X	ضعيفة
23	الشخصيَّة العراقيَّة وتأثيرها على اتجاهات الرأي العام في العراق: دراسة أنثروبولوجيَّة تحليليَّة	أنثروبولوجيَّة	2024	X	X	X	X	
24	تراجيديا الحُزن في الشخصيَّة العراقيَّة: قراءة أنثروبولوجيَّة	أنثروبولوجيَّة	2013	X	X	X	X	
25	الثقافة الدينيَّة والشخصيَّة العراقيَّة: دراسة أنثروبولوجيَّة	أنثروبولوجيَّة	2019	X	X	X	X	
26	الخطابات المُتصارعة وأثرها في بناء شخصيَّة الفرد العراقي	أنثروبولوجيَّة	2020	X	X	X	X	
27	الشخصيَّة العراقيَّة: المُشكلات الاجتماعيَّة والصراع من أجل البقاء: دراسة في الأنثروبولوجية النفسيَّة	أنثروبولوجيَّة	2022	X	X	X	X	مفيدة
28	التحولات الاجتماعيَّة والنفسيَّة في المجتمع بعد عام 2003 وأثرها على سمات الشخصيَّة العراقيَّة	أنثروبولوجيَّة	2024	X	X	X	X	
29	الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة ميدانيَّة	سايكولوجيَّة	2005	/	/	-	-	مفيدة
30	الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة تتبُّعيَّة لرؤية الشباب الجامعي خلال عشرين سنة 2004-2024	سايكولوجيَّة	2025	/	/	-	-	مفيدة
31	الإرهاب وأثره على الشخصيَّة العراقيَّة	سايكولوجيَّة	2008	X	X	X	X	
32	البناء النفسي للشخصيَّة العراقيَّة بعد الانسحاب الأمريكي	سايكولوجيَّة	2016	X	X	X	X	

	المَعلومات			المَحكَّات				الفائِدة
	العنوان	التخصص	السنة	الدقة المفاهيميَّة	المعرفة النظريَّة	المُمارسة المنهجيَّة	الرصانة التحليليَّة	
33	دور الثقافة الوافدة على العنف المجتمعي في الشخصيَّة العراقيَّة	سايكولوجيَّة	2019	X	X	X	X	
34	سلوكيَّات الشخصيَّة العراقيَّة: العنف والشخصيَّة	سايكولوجيَّة	2018	X	X	X	X	مُضرة

النتائِج

الوصف والتحليل السابِق، المُجمَل في الجدول (1)، والمُختزل في الجدول (2)، يدعم بقوَّة فرضيَّة **الغياب شبه التام الدراسة السليمة للشخصيَّة العراقيَّة**، فالغالبية الساحقة من الكتابات تفتقد للدقَّة المفاهيميَّة (82% خاطئة، مقابل 18% سليمة، لثلاثة باحثين فقط)، والمعرفة النظريَّة (70,5 خاطئة، مقابل 8% سليمة، لباحِثَين فقط)، والممارسة المنهجيَّة (73,5 خاطئة، مقابل 0 سليمة)، والرصانة التحليليَّة (73,5 خاطئة، مقابل 0 سليمة)، وهي غير مُفيدة في الغالب (41 %). إضافة إلى إمكانية تسجيل جُملة ملاحظات:

الجدول (2) اختزال نتائِج محكات تحليل العينة المدروسة

	الدقة المفاهيميَّة	المعرفة النظريَّة	المُمارسة المنهجيَّة	الرصانة التحليليَّة	الفائِدة			
سليمة	6	3	0	0	مفيدة	7	عامة	1
خاطئة	28	24	25	25	محدودة	6	غيرمفيدة	14
محايدة	0	7	9	9	ضعيفة	5	ضارة	1

1. **السوسيولوجيَّة مقابل الأنثروبولوجيَّة النفسيَّة**: ولد وتطور مفهوم الشخصيَّة الاجتماعيَّة في سياق التقاء الأنثروبولوجية والسايكولوجية ضمن الأنثروبولوجية النفسيَّة، في مدرسة "الثقافة – الشخصيَّة"، كما تطور في الدراسات السايكولوجيَّة عبر الثقافيَّة، إلا أننا نجد في العراق أغلب الدراسات سوسيولوجيَّة (16) مقابل أنثروبولوجيَّة (7) وسايكولوجيَّة (6). ولعلَّ ذلك يعود إلى كون السوسيولوجية أنشَط من الأنثروبولوجية والسايكولوجية في السياق الأكاديمي العراقي، فالأنثروبولوجية لم تستقل عن السوسيولوجية، إلا للحظة قصير مُتأخرة، وهيمنت عليها – في الغالب - الوظيفيَّة بدل النفسيَّة، كما أنَّ السايكولوجية ظلَّت حبيسة الاشتغالات الفرديَّة، ولم تنفتح على السوسيولوجية والأنثروبولوجية.
2. **غياب المعرفة النظريَّة**: وجدت إشارات مقتضبة جداً ومحدودة جداً – وبعضها خاطئة – للمُقاربات والدراسات الأساسيَّة للشخصيَّة الاجتماعية، ولم نجد دراسة واحدة – ضمن المعنيَّة لا المُحايدة - بينت تلك المُقاربات والدراسات بطريقة واضحه ودقيقة وعميقة، مما يُشير إلى جهلٍ شامِل بمجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة، قد يعود – في سياق الملاحظة السابقة –

إلى أنَّ الكتابات المُهيمنة عن الشخصيَّة العراقيَّة صدرت من سوسيولوجيين، ضمن رؤيتهم المحدودة – نتيجة عدم تخصصهم - لهذه الشخصيَّة، وتوالت ضمن هذه الرؤية، بل تغلغلت حتى في الاشتغالات الأنثروبولوجية والسايكولوجية كما ورد في الكتابات المدروسة. والمفارقة أنَّه لم يستعمل المفهوم بدقَّة – وكان على معرفة بالمجال - إلا ثلاثة باحثين: سوسيولوجي (9/ 10/ 11)، وقانوني (13)، وسايكولوجي (29/ 30).

3. **غياب الممارسة المنهجيَّة**: في الغالبية الساحقة من الدراسات تغيب المعرفة المنهجيَّة الدقيقة، إذ نجد إشارات مقتضبة – خاطئة في الغالب – لمنهجيَّة البحث، كما نجد – باستثناء باحث سايكولوجي (29/ 30) استعمل مقياساً نفسياً - الغياب التام للمُلاحظة بالمُشاركة، والمقابلات المُعمقة، والسير الحياتيَّة، والاختبارات النفسيَّة التقريريَّة والإسقاطيَّة، والتحليلات الخطابيَّة والوثائقيَّة، والغلبة الهائِلَة للإنطباعات العامَّة وسيول التوصيفات الخالية من الشواهد والإسنادات، بصورة مُخيفة توحي بانقطاع الأكاديميَّة العراقيَّة عن الامبيريقيَّة، والاندكاك بالتهويمات النظريَّة. وحتى عندما نجدُ دراسة ميدانيَّة (18/ 19/ 27) نُلاحِظ الاستناد إلى الاستبانة، بطريقة غاية في البساطة والإشكاليَّة، بناءً وتحليلاً، مما يوحي بضعف هائِل في المعرفة المنهجيَّة ببناء الاستبانات والاختبارات؛ إضافة إلى الإشارة للملاحظة والمقابلة بطريقة هامشية، في سياق تلك الاستبانة.
4. **اجترارِيَّة الكتابات المُهيمنة**: يلاحظ أنَّ أغلب الكتابات اجترَّت – على نحو تقديسي – الكتابات الثلاثة المُهيمنة، مجروحة العلميَّة، فأصبحت بيانات مُسلَّمة عند الكثيرين، وحتى المُنتقدين لم يتمكنوا من كسر طوق تلك الكتابات بطريقة كاملة، ولم يقدم أحد رؤية خاصَّة مُستقلَّة عن تلك الكتابات، إلا ما نَدَر، بطورة عارِضَة. والكتابات المُهيمنة – في الحقيقة – كتاباتٌ خارِج نطاق الشخصيَّة الاجتماعيَّة، نظرياً و/أو منهجياً، ومجرد مقالات بسيطة لا يُمكن – أبداً ومطلقاً – أن تقايس بالاشتغالات النظريَّة والامبيريقيَّة الرائدة – بل وحتى البسيطة - في مجال الشخصيَّة الاجتماعيَّة.
5. **التركيز على الجوانب السلبيَّة**: نتيجة للنقطة السابقة، والنزعة اللاأكاديميَّة، ضمن تفاعلات ثقافيَّة واجتماعيَّة، نجد هيمنة الإشارة إلى السلبيات في الشخصيَّة العراقيَّة، بينما الدراسة الأكاديميَّة الدقيقة محايدة تجاه السلبيَّة والإيجابيَّة، وقائمة على ما تفرزه المُعطيات الامبيريقيَّة، ولكن مع غياب الامبيريقيَّة، وغلبة الانطباعيَّة، مع تأكيد المُهيمنة على الازدواجيَّة والقوقعيَّة والاستنفاريَّة والعنفيَّة، وخطاب عمومي مُكرس لذلك، وحاشِدٍ – بصورة انتقائيَّة – لشواهِد مؤكدة، شاعَت السلبيَّة، ولم نجد دراسة – باستثناء (29/ 30) – قدَّمت صورة متوازنة.
6. **غياب الرصانَة التحليليَّة**: إضافة إلى كل ذلك، نجد غلبة التحليلات الضعيفة والكتابة الركيكة، فبناء أغلَب الدراسات يفتقر للمواصفات العلميَّة: المنطقيَّة والترابطيَّة، بل إنَّ بعض

الدراسات كارثيَّة، تفتقد لأبسط مقومات الكتابة الأكاديميَّة، ولعلَّ ذلك يرتبط بظاهرة إدارية – لا معرفيَّة - البحث العلمي في الواقِع العراقي، بمعنى تحول غايات البحث والنشر من الحقيقة والمعرفة إلى الترقية والتقييمات الوظيفيَّة، إذ أُخمن أنَّ بعض الباحثين يُراهنون على عدم مقروئيَّة ما يكتبون، وإلا لما نشروه بحالته هذه.

مِن كل ذلك يُمكن أن نخرج باستنتاجٍ: **إنَّ الشخصيَّة العراقيَّة لم تُدرَس حتى اللحظة، بمقاربة سليمة ومنهجية رصينة، ولعلَّ ذلك يرجِع إلى التخندقات التخصُّصيَّة، وضعف التواصل بين الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين والسايكولوجيين، واكتفاء غالبية الباحثين في تلك المجالات بمعرفة تقليديَّة مُقتضبة، وعدم الانفتاح على المعارِف المتنوعة، إضافَة إلى غلبة الانطباعيَّة العموميَّة وغياب الامبيريقيَّة الحقيقيَّة عن الاشتغالات البحثيَّة العراقيَّة، تلك الاشتغالات التي تحوَّلت إلى إداريَّة أكثر من كونها معرفيَّة**. وما لم تتحقَّق المعرفة النظريَّة العميقة والواسعة، وتُطبق الامبيريقيَّة الرصينة والدقيقة، في دراسة الشخصيَّة العراقيَّة، لن نشهد دراسة سليمة.

المراجِع

إبراهيم، محمد حمود (2008) أنموذج افتراضي لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة جامعة ذي قار*، 4، 113-124.

إبراهيم، محمد حمود (2010) أنموذج افتراضي لدراسة الشخصيَّة العراقيَّة. *الثقافة الجديدة*، 339، 29-40.

إبراهيم، محمد حمود (2013) الشخصيَّة العراقيَّة بين قوقعة الطاهر وازدواجيَّة الوردي. *الثقافة الجديدة*، 356، 64-74.

جبر، لؤي خزعل جبر (2013) العقليَّة والشخصيَّة والهويَّة العراقيَّة. *مجلة القادسية للعلوم الإنسانيَّة*، 2، 449-462.

جبر، لؤي خزعل جبر (2024) الذاكِرَة والثقافَة والشخصيَّة في العِراق: السياقات المأساويَّة والنزعات الاحتجاجيَّة. *المجلَّة العراقيَّة لعلم النفس الاجتماعي والسياسي*، 7، 135-139.

جبر، لؤي خزعل جبر (2024) الشخصيَّة الاجتماعيَّة: الصياغَات المفاهيميَّة الأنثروبولوجيَّة الاجتماعيَّة النفسيَّة. *مجلة لمحات للعلوم الاجتماعيَّة*، 4، 178-198.

جلال، ميسون كمال (2018) سلوكيَّات الشخصيَّة العراقيَّة: العنف والشخصيَّة. *مجلة روت للعلوم التربويَّة والاجتماعيَّة*، 5، 287-303.

الحسني، أحمد عبد الرضا (2020) المجتمع العراقي وشخصيَّته بين الاتجاهات الماديَّة ومنظومته القيميَّة: قراءة في الأنثروبولوجيا النقديَّة. *مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعيَّة*، 37، 57-87.

حسين، أحلام محسن (2015) الشخصيَّة العراقيَّة في سياق تكامل الأسرة الحضريَّة. *مجلة البحوث التربويَّة والنفسيَّة*، 47، 104-129.

داره، فريده جاسم (2016) الشخصيَّة العراقيَّة من منظور سوسيولوجي. مجلة آداب المستنصريَّة، 72، 1-13.

دواره، راجي نصير (2024) الشخصيَّة العراقيَّة وتأثيرها على اتجاهات الرأي العام في العراق: دراسة أنثروبولوجيَّة تحليليَّة. *مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونيَّة والسياسيَّة*، 1، 569-596.

رسول، خليل إبراهيم (2015) الاتجاهات القيميَّة للشخصيَّة العراقيَّة المزدوجة عند علي الوردي. *المستقبل العربي*، 435، 61-83.

زامل، يوسف عناد وصالح، زينب محمد (2013) تراجيديا الحُزن في الشخصيَّة العراقيَّة: قراءة أنثروبولوجيَّة. *مجلة واسط للعلوم الإنسانيَّة*، 23، 37-47.

سفيح، عبد علي (2020) ازدواجيَّة الشخصيَّة العراقيَّة هي نتاج القيم المائيَّة. *مجلة كليَّة التربية*، 40، 531-544.

سلمان، عبد علي وموسى، نبيل عمران (2008) الشخصيَّة العراقيَّة والتنمية. *مجلة كلية التربية*، 1، 218-228.

شطب، رشاد رزاق (2022) *الشخصيَّة العراقيَّة: المُشكلات الاجتماعيَّة والصراع من أجل البقاء: دراسة في الأنثروبولوجية النفسيَّة*. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية.

شلال، سهران حسين علي (2017) *القدريَّة والعقلانيَّة في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في مدينة بغداد*. أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد.

الشويلي، علي محمد (2008) الإرهاب وأثره على الشخصيَّة العراقيَّة. *المجلة السياسيَّة الدوليَّة*، 9، 1-18.

الطاهر، عبد الجليل (1969) القوقعيَّة والقَلق في الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة المُثقف العربي*، 11.

طراد، مجيد خلف (2020) مدرسة واسط الصوفيَّة وأثرها في الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة جامعة الانبار للعلوم الإنسانيَّة*، 4، 1-23.

عبد الله، نوري سعدون (2016) تكوين العنف في الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمؤثرات: دراسة نظريَّة. مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانيَّة، 1، 230-244.

العبودي، ستار نوري (2011) الشخصيَّة التاريخيَّة للمُجتمع العراقي. *مجلة مركز بابل*، 2، 1-24.

العبيدي، سلوان فوزي، ومطرود، أحمد جاسم وتركي، سيف كريم (2019) الثقافة الدينيَّة والشخصيَّة العراقيَّة: دراسة أنثروبولوجيَّة. *مجلة كلية التربية الأساسيَّة للعلوم التربويَّة والإنسانيَّة*، 42، 1064-1072.

عسكر، سهيلة عبد الرضا وحمزة، فرحان محمد (2019) دور الثقافة الوافدة على العنف المجتمعي في الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة*، 2، 239-256.

فتاح، بختيار إبراهيم (2018) الشخصيَّة العراقيَّة في كتابات الاجتماعيين: الوردي – الطاهر نموذجاً. *مجلة كلية التربية الأساسيَّة للعلوم التربويَّة والإنسانيَّة*، 38، 1244-1263.

القيم، كامل (2014) اتجاهات الشخصيَّة العراقيَّة بإزاء المواطنة والهويَّة الوطنيَّة: دراسة مسحيَّة. *مجلة حمورابي*، 12، 111-130.

كاظم، علاء جواد وشطب، رشاد رزاق (2024) التحولات الاجتماعيَّة والنفسيَّة في المجتمع بعد عام 2003 وأثرها على سمات الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة القادسيَّة في الآداب والعلوم التربويَّة*، 1، 176-198.

كاظم، علاء جواد وغضبان، سارة عباس (2020) الخطابات المُتصارعة وأثرها في بناء شخصيَّة الفرد العراقي. *مجلة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة*، 3، 70-84.

كريم، واثق جعفر (2022) العلاقات الأسريَّة وتأثيرها على الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة اجتماعيَّة ميدانيَّة في قضاء الحلة. *مجلة كلية التربية الأساسيَّة للعلوم التربويَّة والإنسانيَّة*، 58، 1534-1563.

محمد، أحمد علي وخضير، شروق إياد (2016) الشخصيَّة العراقيَّة وإعادة بنائها: دراسة في سايكولوجيا التمكين. *مجلة مركز دراسات الكوفة*، 40، 121-150.

محي، حسام عبد القادر عبد الحليم (2023) السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة بعد النزوح. *مجلة الجامعة العراقيَّة*، 63، 310-330.

مرادو، كارلو سنحاريب ننو (2021) *تمثُّلات الشخصيَّة العراقيَّة في أفلام الحرب على العراق التي أنتجتها هوليوود*. بحث تخرج، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد.

مطرود، أحمد جاسم وكزار، نعيم حسين (2018) مظاهر العُنف لدى الشخصيَّة العراقيَّة: الأسباب والمعالجات: دراسة تحليليَّة. *مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانيَّة*، 4، 427-449.

المعاضيدي، سفيان صائب (2016) البناء النفسي للشخصيَّة العراقيَّة بعد الانسحاب الأمريكي. *مجلة العلوم النفسيَّة*، 22، 236-255.

الملا، تغريد راشد حمد ونصر، محمد معوض إبراهيم (2003) صورة الشخصيَّة العراقيَّة في صحف الكويت اليوميَّة: دراسة في تحليل المضمون. *مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربيَّة*، 115، 383-427.

مناف، مُتعب (2005) الشخصيَّة العراقيَّة: مُتبنَّيات ومُنطلقات. *مجلة النبأ*، 74، 1-7.

نظمي، فارس كمال (2005) الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة ميدانيَّة. *مجلة العلوم التربويَّة والنفسيَّة*، 54.

نظمي، فارس كمال (2025) *الصورة النمطيَّة لخصائص العُنف في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة تتبُّعيَّة لرؤية الشباب الجامعي خلال عشرين سنة (2004-2024)*. منشورات الجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي.

الهيتي، رباح مجيد (2016) السلوكيات الفاعلة في تنميط الشخصيَّة العراقيَّة. *مجلة العلوم الإنسانيَّة*، 1، 391-399.

الوردي، علي (1951) *شخصيَّة الفَرد العراقي: بحثٌ في نفسيَّة الشعب العراقي على ضوء عِلم الاجتماع الحديث*. بغداد: مطبعة الرابطة.

الشخصيَّة العربيَّة العراقيَّة

تقييم باستعمال استبانة الشخصيَّة غير اللفظيَّة[1]

مارك ستال[2]

أخصائي نفسي ومُقدَّم في مركز أبحاث القوات الجوية الأمريكيَّة USAF BSC

ترجمة: لؤي خزعل جبر

مُجمَل: إنَّ تقييم الشخصيَّة والديناميَّات الاجتماعيَّة المرتبطة بالشخصيَّة عند الشعوب غير الناطقة بالإنكليزيَّة يولد كثيراً من التحديات لعلماء النفس. إذ تُخفق المقاييس المُتحررة من الثقافَة أو العادلة ثقافياً في التعامل - بكفائَة - مع المطالب المعقدة للتأثيرات الثقافيَّة والأيديولوجيَّة غير الغربيَّة. وعلى الرغم من الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط منذ قرابَة عقد من الزمن، لا تزال هناك ندرة في مقاييس التقييم النفسي المفيدة المتاحة للاستعمال مع الشعوب العربيَّة غير الناطقة بالإنكليزيَّة في المنطقة. ولذلك، استُعملتُ نسخة مُعدلة من استبانة الشخصيَّة غير اللفظيَّة لقياس الشخصيَّة والدافعيَّة وأسلوب التعامل الاجتماعي عند عينة صغيرة من الذكور المتقدمين للوظائف من العراقيين العرب (العينة = 56). ونوقِشَت التحديات الثقافيَّة المختلفة والدروس المستفادة من عملية القياس هذه، وقُدمت توصيات محددة.

مقدمة

على الرغم من مرور قرابَة عقد من الزمان على الوجود الأميركي في الشرق الأوسط، إلا أنَّ أدوات التقييم النفسي المفيدة المتاحة للاستعمال مع السكان العرب غير الناطقين باللغة الإنجليزية قليلة. وقد أدى غياب الأدوات الراسخة إلى خلق عدد من الفرص للإبداع بالنسبة لعلماء النفس. وتتناول المقالة الحاليَّة محاولة من هذا القبيل لتقييم مجموعة من المتقدمين للوظائف من الذكور العراقيين العرب غير الناطقين باللغة الإنجليزية.

وصف الأداة والعينة

اختير استبيان الشخصيَّة غير اللفظية Nonverbal Personality Questionnaire (NPQ) كمقياس للشخصيَّة بناءً على حقيقة أنه يُروَّج له بوصفه مقياساً مفيداً بين الثقافات (1، 2). يتضمن الاختبار ما مجموعه (136) منبهاً غير لفظي مختلفاً يصور فرداً مركزياً منخرطاً في سلوكيات مختلفة ذات صلة بالشخصيَّة. ويُطلب من المستجيبين تقييم احتمالية مشاركتهم في نوع السلوك الموضح. كما يُطلب منهم تخيل أنفسهم كشخصيَّة مركزية ثم تقييم احتمالية السلوك على مقياس

---

[1] Staal, M. A. (2012) Assessing Iraqi Arab Personality Using the Nonverbal Personality Questionnaire. *Military Medicine*, V.177, pp. 732-739.

[2] مُقدَّم في مركز أبحاث القوات الجويَّة الأمريكيَّة، قيادة العمليات الخاصة الأمريكيَّة، U.S. Special Operations Command, Fort Bragg, NC 28307. الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف ولا تعكس بالضرورة السياسة الرسمية لوزارة الدفاع أو غيرها من الإدارات التابعة للحكومة الأمريكيَّة.

ليكرتي من سبع نقاط، يتراوح من سلوك من غير المُحتمل جداً أن يحدث إلى سلوك من المُحتمل جداً أن يحدث. واستخلصت منهات اختبار NPQ من نظام موراي Murray للحاجات (3)، ومقاييس مختلفة من أنموذج بحث الشخصيَّة (4)، وأنموذج العوامل الخمسة للشخصيَّة (5، 6). يقيس الاختبار (16) عاملاً مختلفاً (بالإضافة إلى مقياس الصدق): الإنجاز، والانتماء، والعدوان، والاستقلالية، والهيمنة، والتحمل، والاستعراض، والاندفاع، والرعاية، والنظام، واللعب، والإحساس، والاعتراف الاجتماعي، والمساعدة، والبحث عن الإثارة، والفهم (ومقياس الصدق بعنوان الانحراف). وتُمثل كل من هذه العوامل بثمانية رسوم توضيحية فريدة (والتي بمجموعها تشكل ما مجموعه 136 منبه اختبار). وقد وصفت الخصائص السيكومترية للاختبار وصدقه التجريبي في دراسة سابقة (2).

تألفت عينة المتقدمين للوظائف من (56) مواطناً عراقياً تقدموا لشغل وظيفة في الجيش الأميركي في العراق كمستشارين عسكريين عراقيين. وكان أغلب المتقدمين لديهم قدرة محدودة للغاية على التحدث باللغة الإنجليزية وكانوا جميعاً من الذكور البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين (25 و55) سنة. وكانت خلفياتهم التعليمية متفاوتة - بشكل كبير - من تسع سنوات من التعليم الرسمي إلى الأفراد الذين لديهم خبرة جامعية. وكان جميع المتقدمين قد تلقوا تعليمهم داخل العراق وقضوا أغلب حياتهم في وطنهم. كما تم جمع معلومات عن الخلفية الدينية لكل متقدم. وقد عرَّف الجميع أنفسهم بأنهم مسلمون؛ ولكن عندما سئلوا عن ممارسات إسلامية محددة، حدد كثيرون منهم أقوالهم بعناصر العقيدة الإسلامية التي يمارسونها بإخلاص (كالصلاة اليومية، والزكاة السنوية، والعطاء الخيري، والحج إلى مكة) كوسيلة لتوضيح مستوى تدينهم الشخصي. وكانت عينة المتقدمين للوظائف في هذه الدراسة ممثلة للسكان داخل العراق ككل من حيث الطائفة الإسلامية التي حددوها بأنفسهم (حوالي 60-70٪ من الشيعة و20-30٪ من السنة).

تعديل NPQ للاستعمال مع العرب العر اقيين

أظهرت الأبحاث السابقة اتساقاً عاماً في تفسير منهات NPQ عبر مجموعات ثقافيَّة مختلفة (7)؛ ومع ذلك، عند الاستعمال الأولي للأداة مع المستجيبين العراقيين، تم تحديد أنهم كانوا يفسرون صور الاختبار بطرق متباينة. لذلك، كان من الضروري تعديل التعليمات وتوفير موجه لفظي لكل رسم توضيحي. وقد جعل هذا التعديل من الضروري أن يزيد الطبيب النفسي الذي يطبق الاختبار من التفاعل المباشر مع المستجيب، مما أتاح فرصاً أكبر لبناء التفاهم وزاد من نظرة المسؤول إلى عملية تفكير كل مستجيب أثناء المقابلة. ومع ذلك، فإن تعديل الأداة يعني التوسط لفظياً فيما كان من المفترض أن يكون قياساً غير لفظي. وهذا يعني قبول المخاطر المترتبة على انتهاك معايير بناء وتطبيق الاختبار التقليدية (2، 8، 9). ويتطلب مثل هذا التعديل موافقة ناشر الاختبار (SIGMA Assessment Systems; Port Huron, MI) بالإضافة إلى التشاور مع عدد من الزملاء المحترفين. وقد كان الناشر كريماً ومرناً في المساعدة في هذا المشروع.

كانت الخطوة الأولى في تعديل الاختبار هي صياغة موجه لفظي لكل من الرسوم التوضيحية للاختبار البالغ عددها 136. وللقيام بذلك، طُلب دعم ثلاثة علماء نفس، ووجه كل منهم لإجراء الاختبار وكتابة أوصاف موجزة لمُنبهات الاختبار. مثلاً، إذا صورت مُنبهات الاختبار شخصاً يقفز بالمظلات، فقد كتب كل عالم نفس ما فسره على أنه الموجه الأكثر دقة للمُنبه: "هذه صورة لك تقفز من طائرة، وتقفز بمظلة". وبعد جمع المجموعات الثلاث من الاستجابات ومقايستها، جلس علماء النفس الثلاثة معاً لتحديد الموجه الذي يناسب بشكل عقلاني مقصد المُنبه. كما نظر في تشبع العوامل لكل بطاقة منبه لضمان تطبيق المعنى الصحيح على الموجه (في حالة المظلي كان العامل هو "البحث عن الإثارة "). وبعد هذه المرحلة الأولية من التعديل، تمت ترجمة NPQ إلى اللغة العربيَّة. واستُعمل ثلاثة مترجمين يتحدثون العربيَّة لترجمة كل موجه. كما استُعملت مجموعة متنوعة من قدرات المترجم والتدريب اللغوي لضمان تنفيذ الترجمة الأكثر قابلية للفهم. وشمل ذلك مترجماً حاصلاً على درجة الدكتوراه في اللغة العربيَّة من جامعة بارزة في الشرق الأوسط بالإضافة إلى ولادته ونشأته وتعليمه في بغداد. واختبرت ونقحت ترجمات متعددة لتحديد النسخة الأكثر ملاءمة للاستعمال مع مجموعة المتقدمين للوظائف.

الكفاية الثقافيَّة وعلم النفس العربي

في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول، شهدنا انفجاراً في الكتب والمقالات التي كُتبت في محاولة لزيادة الفهم الغربي للثقافة الشرق أوسطية والعربيَّة فضلاً عن الإيديولوجية الإسلامية والمعتقدات الدينية (0، 12). وقد زعمت كثير من هذه المصادر وجود "عقل عربي" أو إطار متماسك للشخصيَّة العربيَّة يشمل الأسلوب والدافعيَّة الاجتماعيَّة المتبادلة. ومع ذلك، قد يكون من الأدق أن نقول إنَّ غالبية العرب (في الشرق الأوسط) هم جزء من فسيفساء اجتماعيَّة ثقافيَّة ذات مجموعة متنوعة من التقاليد المعيارية والإيديولوجية والفرديَّة. وعلى الرغم من عدم وجود "شخصيَّة عربيَّة"، فقد برزت ثيمات مُشتركة عِدَّة خلال عملية التقييم هذه. وفيما يأتي توضيح لبعض أبرزها، وكثير منها متسق مع الأدبيات السابقة التي تصف تأثير الثقافة العربيَّة في تشكيل السلوك الفردي (10، 16).

الزمن: الأحادي مقابل التعددي

في المجتمع الغربي، يُنظر إلى الزمن بوصفه كياناً ملموساً، وتُرى الأحداث وكأنها تحدث في تسلسل زمني. والزمن هو الإطار الذي تُرى فيه علاقات السبب والنتيجة (مثلاً، الحدث الأول يسبب الحدث الثاني). ومعظم توجهنا هو الحاضر والمستقبل الذي نتنبأ به مسبقاً. وهذا على النقيض من معظم العالم العربي في الشرق الأوسط الذي يتسم توجهه الزمني بالتعددية الزمنية. فالزمن غير ملموس وسائل ومرن. والبنية ليست محددة أو جامدة كما هي في الغرب، وبالنتيجة فإنَّ الجداول الزمنية والمواعيد مؤقتة (غالباً ما تعتمد على "إن شاء الله"). وتتطور الأحداث وتتكشف بطريقة أقل قابلية للتنبؤ، وهناك توجه أكبر بكثير للحاضر والماضي (17، 18). والوعي بهذه الحقيقة له آثار عملية

للغاية على التقييم، وغالباً ما يؤثر على كيفية استجابة الأشخاص، خاصة عندما يتم إنشاء مُنبهات الاختبار باستعمال تسلسل الزمن كعنصر في علاقة السبب والنتيجة التي توضحها.

الهويَّة الذاتيَّة: الفرديَّة مقابل الجمعيَّة

إننا نقدر التعبير الفردي عن الذات، ونتحدث عن تحقيق الذات، ونتمسك بالإيمان بتقرير المصير أكثر من الأعراف الاجتماعيَّة الأخرى. والأمر الأكثر أهمية بالنسبة لنا كأميركيين هو حقوقنا الفرديَّة وإحساسنا بالمسؤولية الشخصيَّة. ومن الناحية النفسيَّة، نميل إلى مركز السيطرة الداخلي. وتتناقض هذه القيم بشكل حاد مع المقاربة الجمعيَّة الأكثر شيوعاً في الثقافة العربيَّة، إذ يشكل التوحُّد بالجماعة والتعاون داخل المجموعة أهمية أساسية. وتروج الثقافة العربيَّة لمركز السيطرة الخارجي، وتؤكد على أهمية حفظ ماء الوجه، وإظهار الاحترام والكرامة والحفاظ عليهما، والدفاع عن شرف الأسرة.

الذنب مقابل العار

"الاعتراف مفيد للروح" عبارة يتردد صداها في الغرب. وفي مجتمع قائم على الشعور بالذنب مع معايير سلوكية داخليَّة، فإنَّ هذا أمر منطقي. ومشاركة المعلومات هي وسيلة "لإخراج ما في صدر الفرد"، ويُشجع لكونه يُخفف الألم الانفعالي المرتبط بالشعور بالذنب. ومع ذلك، في ثقافة قائمة على العار، فإنَّ فعل الاعتراف بالانتهاك يدعو إلى العار والمشاعر السلبيَّة (وليس التقليل منها). والقيام بذلك يهدد مكانة الفرد في المجموعة والشرف الذي يعمل بجد لحمايته (18، 19). بدلاً من ذلك، تُستعمل استراتيجيات دفاعيَّة مختلفة من أجل الحفاظ على هذه العناصر، بما في ذلك الإنكار والتبرير وتشتت المسؤولية.

التواصل: السياق، والمباشرة، والموضوعيَّة

في الثقافة العربيَّة، يحدد المعنى بشكل كبير ضمن سياقه، وهو دائماً جزء من علاقة المتواصلين. وعلى النقيض من ذلك، يضع الجمهور الغربي قيمة أكبر على الكلمات، ويقع عبء المعنى على عاتق المرسل. إضافة إلى ذلك، تميل الاتصالات في الغرب إلى أن تكون أكثر مباشرة، وحيادية انفعالياً، ومبنية على الحقائق. وتُوضع القيمة على دقة وخصوصية الرسالة. وفي الثقافة العربيَّة، غالباً ما تكون الاتصالات غير مباشرة، وتستحضر العواطف، والصور، والخبرة المشتركة، وتستخدم تردداً أعلى بكثير من الاستعارة والرمزية. فالغربيين يقدرون الحجج المنطقية والموضوعيَّة والمبنية على التجارب. ويبذلون جهوداً لتجنب إقحام الانفعالات في عملية اتخاذ القرار، وكثيراً ما يُنظَر إلى الحجج الانفعاليَّة على أنها ضعيفة. وعلى النقيض من ذلك، تحترم الثقافة العربيَّة المزج الأكثر توازناً بين المنطق والجاذبية الانفعاليَّة. ومن بين كثير من المستجيبين العرب الذين تم تقييمهم خلال عملية التقييم هذه، كان من الواضح أنَّ التأثير والتكرار والمبالغة والرمزية كانت على نفس القدر من الأهمية.

الدروس المستفادة من الثقافات المختلفة

أدى استعمال NPQ إلى ظهور عدد من التحديات الثقافيَّة الفريدة. وقد تم تفصيل هذه الموضوعات حسب الثيمة ومجال التنبيه في القسم الآتي.

الإنجاز Achievement

تعتمد مُنبهات اختبار NPQ المُستعملة لالتقاط مفهوم الإنجاز - بشكل كبير - على الميل إلى تصوير الذات كمجتهدة ومسؤولة. إذ تصور الرسوم التوضيحية شخصيَّة محورية تظل مركزة على الهدف (تحلم بالإنجاز)، وتكون منتبهة وسط مجموعة من الأقران المشتتين، وتستعمل مدرساً خاصاً في منزلها، وتتسلق جبلاً، وتفوز بسباق جري من خلال بذل جهد كبير. ونظراً لطبيعة عينة البحث (متقدمو الوظائف)، ربما تم تضخيم خصائص الاستجابة بشكل مصطنع في اتجاه مرغوب اجتماعياً. وقد استحضر اثنان من المُنبهات الثمانية استجابات غير متوقعة. إذ تصور الفقرة (35) شخصيَّة محورية منخرطة في دراسة منضبطة بينما يطرق الأصدقاء الباب. وتميل هذه الصورة إلى جذب معيارين ثقافيين متنافسين: (1) الرغبة في أن يُنظر إليها على أنها مجتهدة ومنضبطة و(2) أن تكون مضيافة وسخية للضيوف. وتصور الفقرة (69) مدرساً أو معلماً خاصاً يعطي درساً. وقد أربك هذا الوصف كثير من المستجيبين لأنه كان يُنظر إليه على أنه غير طبيعي أن يعمل المعلم خارج المدرسة أو البيئة المدرسية.

الانتماء Affiliation

إن صور الانتماء في الاختبار تصور عادة شخصيَّة محورية محاطة بآخرين منخرطين في عدد من التفاعلات الاجتماعيَّة المختلفة (مثلاً، حفلة، حفل شواء، لقاء جار جديد، تحية الضيوف على الباب، وكون المرء عضواً في نادٍ). وبسبب التوجه الجمعي الشائع في الثقافة العربيَّة، كان المستجيبون يميلون إلى تقدير العلاقات الأسرية والصداقة. ويبدو أنَّ مفهوم الواسطة أو الوسيط الاجتماعي (نظام الشبكات الاجتماعيَّة والتأثير الاجتماعي) يلعب دوراً في أنماط الاستجابة. وإلى جانب الرغبة الأوسع في إظهار حسن الضيافة والكرم، استجاب معظم المشاركين بشكل إيجابي لهذه الرسوم التوضيحية. ومع ذلك، كانت هناك بعض الاستثناءات البارزة. إذ تصور الفقرة (2، انظر الشكل 1) رواد الحفلات وهم منخرطون في التدخين وشرب الخمر. وبالنسبة للعديد من المسلمين المتدينين، تم رفض هذه السلوكيات. ومن المرجح أن تكون مثل هذه الاستجابات قد تضخمت نظراً للغرض العام من مقابلتنا (طلب وظيفة). وتصور الفقرة (70) الشخص وهو يستقبل ضيوفه على الباب ويستلم معاطفهم وقبعاتهم. وبالنسبة للعديد من المستجيبين، بدا أخذ ملابس الضيف أمراً غير معتاد. وأشار معظمهم ببساطة إلى أنهم سيسمحون لضيوفهم بالعناية بقبعاتهم ومعاطفهم وليس من حقهم هم القيام بذلك.

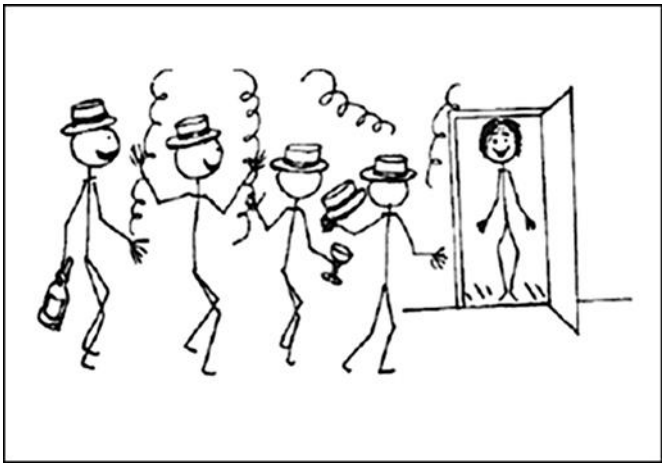

الشكل 1. منبه الانتماء.

العدوان Aggression

تتضمن المُنبهات الاختبارية التي تصور مشاهد السلوك العدواني: فقدان أعصابك، والدخول في جدال وشجار، والانزعاج، والدفع إلى مقدمة صف نقل الأمتعة، والصراخ على طفل صغير كسر كوباً. وكانت الاستجابات لهذه السلسلة من صور الاختبار مختلطة. وبدون استثناء، أشار المستجيبون إلى أنهم لن يتجادلوا مع ضابط شرطة، إذ عد كثيرون أن الرسم التوضيحي يصور نقطة تفتيش للشرطة العراقيَّة. وفي وقت هذا التقييم، كانت نقاط التفتيش التابعة للشرطة في جميع أنحاء البلاد أماكن خطيرة غالباً. وكان فهم حزام نقل الأمتعة في المطار أمراً صعباً بالنسبة للعديد منهم لأنهم لم يكن لديهم خبرة شخصيَّة تربطهم بهذا الموقف. وبمجرد تكثيف الترجمة إلى مجرد مسألة "كسر الصف" أصبح الحظر الشامل تجاه هذا السلوك واضحاً بين معظم المتقدمين. وأخيراً، تم قبول تصوير الأبوة القاسية (الصراخ على طفلك لكسر كوب عن طريق الخطأ) على أنه معياري. وفي كثير من الحالات، أشار المشاركون بفخر إلى أنهم لن يصرخوا ببساطة بل سيؤدبون جسدياً أيضاً (23).

الاستقلال Autonomy

إن العزلة الاجتماعيَّة تلقى صدى سلبياً لدى كثير من العرب. فقد رفض كثير من المستجيبين فكرة أن الفرد قد يختار أن يكون وحيداً وعدوا هذا السلوك غير طبيعي أو غير صحي. كما عُد سلوك التسكع (الموضح في الفقرة 4) خطيراً، وكان هناك اعتقاد شائع بين الأشخاص بأن مثل هذا السلوك قد يؤدي إلى الاختطاف وقطع الرأس. وتصور الفقرة (72) في الاستبيان رجلاً يمشي أمام الآخرين مرتدياً أزياء مميزة (في هذه الحالة زوج من أحذية رعاة البقر). ولم يشعر سوى عدد قليل من العراقيين بالراحة في القول بأنهم سيتصرفون بهذه الطريقة، واستشهد كثير من العراقيين بمثل عربي شعبي يقول: "كل ما تريد، والبس كما يريد الآخرون". وتعكس هذه الاستجابة الأخلاق

الاجتماعيَّة التي تتصرف بطرق تحافظ على مكانة المجموعة الجماعية وتقاوم فكرة التعبير الفردي الصريح.

الهيمنة Dominance

تتضمن الصور المستعملة لتوضيح الهيمنة داخل NPQ عدداً من مشاهد القيادة: رئيس فريق العمل، وتوجيه الأشخاص للخروج من مبنى محترق، والعمل كرقيب تدريب أو مدرب بينما يقوم الآخرون بتمارين الضغط، وقيادة سلسلة من المسيرات الاحتجاجية. وبشكل عام، كان تصور قيادة مسيرة احتجاجية يُنظر إليه بشكل سلبي. وبدا أن معظم الأشخاص يربطون مثل هذا السلوك بالتحدي العلني للحكومة، وكان هناك رفض فوري لدعم مثل هذا النشاط. وأثارت الفقرة (39) في NPQ استجابة فريدة وعالمية بنفس القدر (ولكن إيجابية). إذ تصور الصورة شخصيَّة مركزية تعمل كوسيط بين شخصين آخرين. وكان كل من سئلوا سريعين في التعريف بأنفسهم، وأوضح كل منهم أن مثل هذا السلوك، أي التصرف كـ"واسطة" أو وسيط اجتماعي، كان موضع تقدير كبير.

التَحمُّل Endurance

التقط بُعد التحمل من خلال صور مختلفة للمثابرة الجسدية والعقلية (مثلاً، تسلق التلال، والزراعة، وحفر الحفر، وتقطيع الأخشاب، والدراسة أو العمل حتى وقت متأخر من المساء). وقدم كثير من الأشخاص عبارات مطولة حول كيف أنهم لن يتعبوا أبداً ويستمرون في العمل على الرغم من استقالة جميع العمال الآخرين. وأشار كثير منهم إلى كونهم "أسد صلاح الدين"، كإشارة إلى بطل الإسلام في القرن الثاني عشر أثناء الحروب الصليبية. ومن الواضح أن هذا كان مثالاً على الاستعمال الماهر للرمزية والجاذبية الانفعاليَّة وبعض المبالغة من أجل توصيل قيمة ثقافيَّة قوية.

الاستعراض Exhibition

لاقت صور السلوك الاستعراضي تقييماً سلبياً. وكثيراً ما عُدت المواد التي تصور الشرب والرقص غير لائقة. كما قوبل التصرف على أنه "مهرج الفصل" بالرفض بوصفه يجلب العار على الفرد وأسرته.

الاندفاعيَّة Impulsivity

من بين صور السلوك الاندفاعي التي يصورها الاستبيان غير الرسمي، تبرز فقرتان حساستان ثقافياً بشكل خاص. الفقرة (9) تصور فرداً يمشي عبر الشارع على الرغم من تحذير معبر المشاة. ولا توجد معابر للمشاة في العراق، ويميل الحكم الفردي والقدرية إلى تحديد متى يمشي الفرد عبر حركة المرور ومتى لا يمشي. لذلك، كان من الضروري في ترجمة هذة الفقرة التأكيد على السلوك المخالف للقواعد. وتميل صور شخصيَّة نائمة يوقظها صديق مهتم بلعب الورق (على الرغم من الوقت المتأخر) إلى إثارة التوتر بين الحاجة إلى إظهار حسن الضيافة تجاه الضيف ومشاعر التعب (الرغبة في البقاء في السرير).

الرعاية Nurturance

تميل سلوكيات الرعاية إلى أن يُنظر إليها عالمياً على أنها إيجابية. فقد تم قبول رعاية الرضيع، والاهتمام بحاجات كبار السن، والمعاقين، والمصابين. إضافة إلى ذلك، فإن إحضار الطعام للذين يعملون بجد أو قيادة الأطفال في نزهة أو رحلة سيراً على الأقدام يُنظر إليه على أنه سلوكيات مرغوبة، وكان هناك انجذاب قوي للتماهي مع كل صورة. وكان التحذير الوحيد من هذا هو البطاقة (27، انظر الشكل 2)، والتي تصور شخصيَّة بالغة تمشي جنباً إلى جنب مع فتاتين صغيرتين. إذ كان جميع المستجيبين لدينا من الرجال البالغين وأوضح معظمهم أنه سيكون من غير المناسب لهم الانخراط في هذا النشاط ما لم تكن الفتيات من أقاربهم.

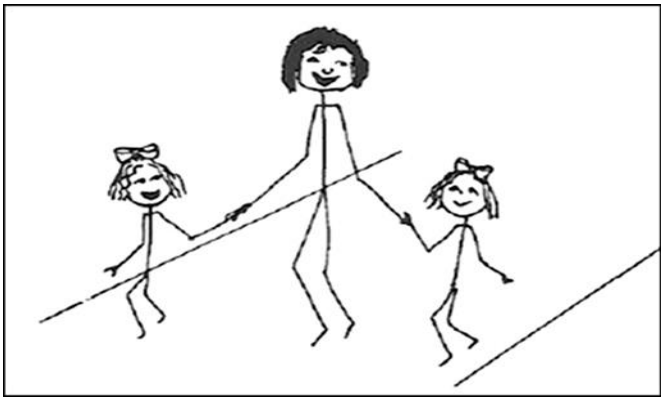

الشكل 2. حافز الرعاية.

النظام Order

كان من المعتاد أن ينظر المتقدمون إلى سلوكيات الترتيب المختلفة المصورة في استمارة طلب التوظيف غير الرسمية بوصفها أنشطة تنظيمية صحية، وليست سلوكيات مهووسة أو قهرية. وكان الاستثناءان هما الفقرتان (96 و130)، وهما صورتان تصوران الشخصيَّة المركزية وهي تلتقط قمامة شخص آخر وتقوم بغسل الملابس. وقد عُد كلا النشاطين عملاً شاقاً وغير مرغوب فيه. ومن بين كثير من الرجال العراقيين البالغين، يُنظر إلى غسل الملابس بوصفه مهمة نسائية وليست مناسبة للرجال.

اللعب Play

تتضمن كثير من الصور الموضحة في الاستبيان غير الرسمي رياضات غير متاحة بسهولة في العراق (مثلاً، الغولف، والتنس، وتنس الطاولة). وتوضح صور أخرى سلوكيات المقالب في مقابل أنشطة اللعب المحايدة. وقد تم استقبال رش شخص ما في وجهه بالماء باستعمال زهرة خدعة، ونفخ بوق في أذن شخص ما أثناء نومه، ورمي فطيرة في وجه شخص ما بشكل سلبي. وقد ابتسم كثير من المستجيبين العراقيين في اعتراف، لكن جميعهم تقريباً سارعوا إلى رفض هذه الأنشطة باعتبارها غير لائقة.

الإحساس Sentience

قيست الأنشطة التي تثير الحواس على مقياس NPQ من خلال سلسلة من الصور الممتعة: الجلوس على الشاطئ، والاستماع إلى الموسيقى، ومشاهدة الفن في المتحف، واستنشاق رائحة الزهور أو طهي الطعام. وتصور الفقرة (30، انظر الشكل 3) فرداً يستمتع برائحة الزهور. وفي البداية، كان المستجيبون يميلون إلى طرح كثير من الأسئلة حول سبب استنشاق الرجل للزهور ورفضوا هذه الصورة. ومع ذلك، بمجرد اقتراح أنهم قد يشترونها لصديقتهم أو زوجتهم، فهم معظم الرجال المعنى على الفور ووصفوا المشهد بأنه "شيء جميل". وواجه معظمهم صعوبة في تقدير تصوير الأعمال الفنية والمتاحف، بحجة أن مثل هذه الأشياء لم تكن موجودة في العراق.

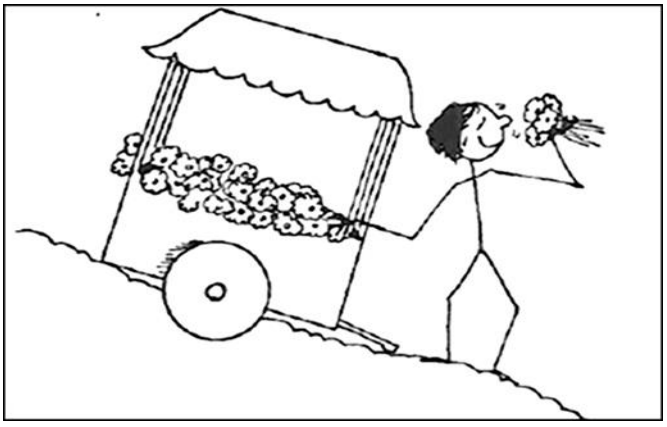

الشكل 3. منبه الإحساس.

الاعتراف الاجتماعي Social Recognition

تميل الرسوم التوضيحية للاعتراف الاجتماعي إلى تصوير الشخصيَّة الرئيسية بعد إنجاز مهمة، مثل التخرج، أو الفوز بمسابقة أو كأس، أو الظهور في الصحيفة، أو إثارة إعجاب أقرانهم بسيارة فاخرة أو ساعة يد باهظة الثمن. وذكر معظم المستجيبين أنه إذا فازوا بمسابقة أو أنجزوا شيئاً مهماً، فيجب أن يعرف أصدقاؤهم وعائلاتهم بذلك، وأن من حقهم المطالبة بمكافآت الاعتراف الاجتماعي.

المُساعدة Succorance

إن البحث عن الدعم الانفعالي ومشاركة الإخفاقات الشخصيَّة مع الآخرين موضوع حساس بين الرجال العرب. وتنص الأعراف الاجتماعيَّة على أن مثل هذا السلوك غير مناسب خارج الأسرة الممتدة. والقيام بذلك من شأنه أن يجلب العار للفرد وأسرته. ونتيجة لهذا، رفض المتقدمون في البداية قبول الصور المرسومة أو التعرف عليها. ومع ذلك، بمجرد تنفيذ الترجمة المناسبة (بما في ذلك بيان أن الفرد الآخر يمكن أن يكون صديقاً)، تم رفع الحظر المفروض على البحث عن الدعم الانفعالي. وكان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو الفقرة (83، انظر الشكل 4) الذي يصور جلسة علاج نفسي. فالتحدث مع "دكتور نفسي" لم يكن من المقبول. وهذا يتفق مع فهمنا العام للثقافة العربيَّة والوصمة المرتبطة بالمرض العقلي (17، 18، 23).

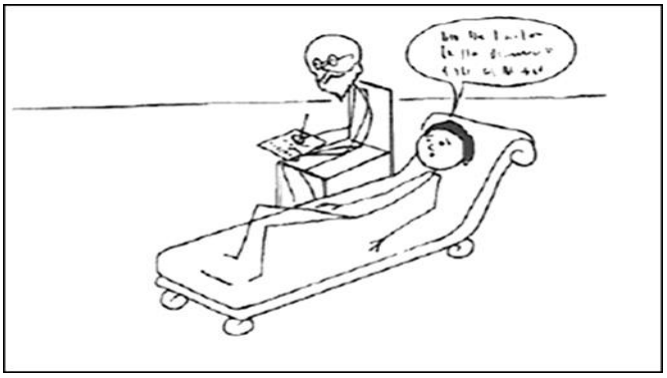

الشكل 4. منبه المساعدة.

البحث عن الإثارة seeking-Thrill

قيم سلوك البحث عن الإثارة أو المخاطرة في اختبار NPQ من خلال مجموعة متنوعة من الأنشطة عالية المخاطر (القفز بالمظلات، الطيران الشراعي، تسلق الجبال، التزلج على الألواح مع حركة المرور). وكان من الصعب ترجمة بعض هذه الصور إلى حياة المواطن العراقي العادي. ونظراً لمتطلبات الخدمة العسكرية الإلزامية في العراق في الماضي، كان لدى كثير من المتقدمين خبرة عسكرية سابقة، وبالتالي، تم إدراك فكرة القفز بالمظلات بشكل إيجابي. ورفض الطيران الشراعي حتى بين الذين كانوا مصممين على اهتمامهم بالقفز بالمظلات. ورفض كثير من المستجيبين تصديق أن "رجل يطير مثل طائرة ورقية" كان ممكناً. ولا توجد ألواح تزلج أو أماكن للتزلج في العراق، والطرق بشكل عام لا تدعم التزلج. ومع ذلك، في هذه الصورة تم استبدال دراجة بلوح تزلج، وتم الاحتفاظ بالمعنى. الدراجات شائعة في العراق، وبالتالي، كان من السهل فهم الصورة التوضيحية بمجرد ترجمتها.

الفهم Understanding

قيم مفهوم الفضول الفكري والدافع للتعلم من خلال صور مختلفة تصور مشاهد من البحث العلمي والدراسة في المدرسة والمكتبة والملاحظة الطبيعية. وكلما ارتفع مستوى التعليم بين المتقدمين لدينا، زاد تطابقهم مع هذه السلوكيات. ومع ذلك، كان من الصعب على العراقيين معالجة بعض الصور، وكانت هناك مقاومة مستمرة في الاستجابة لهذه المجالات. ويصور الرسم التوضيحي (33، انظر الشكل 5) فرداً منخرطاً في خلط المواد الكيميائية في أحد المختبرات. ورفضت هذه الصورة من قبل معظمهم؛ ومع ذلك، بعد التحقيق اتضح أن كثير كانوا يفسرون الصورة على أنها شخص يعمل في مصنع قنابل أو مختبر للعبوات الناسفة المرتجلة. ويصور الرسم التوضيحي (118) متحفاً للتاريخ الطبيعي به ديناصورات. وأشار بعض المستجيبين إلى أن العراق كان لديه ذات يوم متحف للديناصورات ولكنه أزيل قبل سنوات عديدة من الحرب. وحاول كثير من المتقدمين إقناع المؤلف بأن الديناصورات لم تكن موجودة أبداً وأنها دعاية غربية.

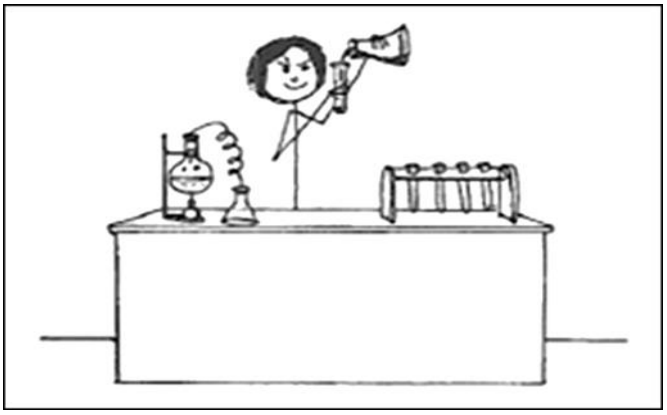

الشكل 5. منبه الفهم.

مقياس الصدق (الانحراف Deviance)

تنقسم أنواع السلوك المنحرف الموضحة في NPQ إلى فئتين، تلك التي تشكل أنشطة غير قانونية وتلك التي تنتهك ببساطة المعايير الاجتماعيَّة. وقد رفض المتقدمون الرسوم التوضيحية التي تصور سلوكاً غير قانوني بشكل عام. ونظراً لطبيعة التقييم، فقد كان من غير المحتمل أن يؤيد أي من هؤلاء المستجيبين مثل هذا السلوك. وتشمل هذه الرسوم التوضيحية شخصيات منخرطة في حرق الكتب، ونشل الجيوب، ورمي حجر على نافذة، وسرقة المتاجر، واقتحام منزل بمسدس كلص. وتصور المجموعة الثانية من الصور مشاهد أقل إثارة للجدال، بما في ذلك التدخين في منطقة خالية من التدخين، والفشل في القيام بالعمل في الفصل الدراسي أثناء وجود طلاب أكثر اجتهاداً، ورفض مساعدة الآخرين في دفع سيارة متوقفة. وعادةً ما كان العنصر الانحرافي الوحيد الذي تم تأييده هو رفض المساعدة في دفع سيارة شخص آخر. ويبدو أن هذا يعكس بعض الازدراء الثقافي والطبقي للعمل اليدوي.

باختصار، ظهر نمط عام للشخصيَّة والدافعيَّة والأسلوب الاجتماعي في عينة المتقدمين للوظائف العراقيين الذين تم تقييمهم باستعمال استبيان التقييم غير التنافسي (انظر الشكل 6). إذ يميل هؤلاء المتقدمون إلى تأييد الفقرات الموجودة في استبيان التقييم غير التنافسي بطريقة تشير إلى أنهم يتمتعون بدوافع إنجاز عالية وأنهم على استعداد للعمل الجاد لإنجاز المهام الموكلة إليهم. ويميلون إلى الاستمتاع بالتواجد في موقف مهيمن (اجتماعياً وشخصياً) ولكنهم ليسوا عدوانيين بشكل مفرط. ويقدرون الانتماء إلى الآخرين ويسعون إلى إقامة علاقات عمل دافئة وودية والاستمتاع بها. إضافة إلى ذلك، فهم يرحبون بفرصة مساعدة الآخرين المحتاجين. ويميل المتقدمون إلى أن يكونوا فضوليين فكرياً ولديهم تقدير للجماليات والأنشطة التي تثير الحواس. كما يفضلون العمل في بيئة تقدر التنظيم والبنية وتكافئ المتفوقين بالتقدير من خلال التقدير الاجتماعي.

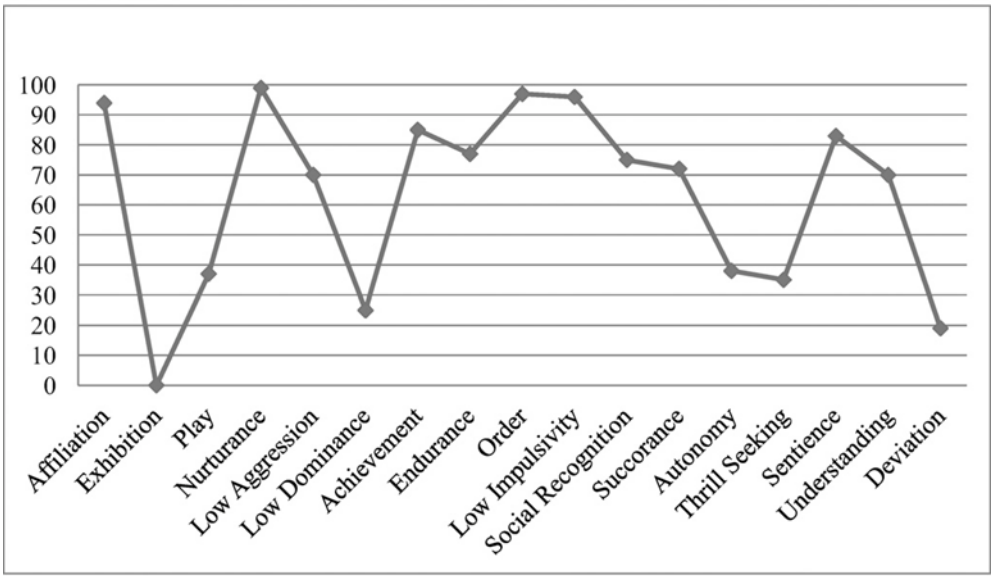

الشكل 6. NPQ (متوسطات الذكور العراقيين، 56).

خاتمة

كان هناك عدد من العقبات التي كان لابد من التغلب عليها في إنشاء هذه العينة المعيارية. أولاً، أجريت عملية التقييم في بلد متنازع عليه مزقته الحرب، إذ انهار الاقتصاد، وكان المتقدمون (في كثير من الحالات) يائسين من العمل. وأجريت المقابلات والاختبارات في "أماكن ميدانية" مختلفة بين كثير من المواقع القتالية المختلفة والمرافق الثابتة. وكان المتقدمون قلقين بشأن سلامتهم، إذا تم اكتشاف أمرهم لتطوعهم للعمل مع الأميركيين، وفي بعض الحالات تعرضت حياتهم لتهديدات لمجرد التقدم للوظيفة. لذلك، فإن ظروف عدم الكشف عن الهويَّة والأمن والموضوعات اللوجستية الإضافية جعلت عملية التقييم أكثر تعقيداً وصعوبة. ولأن معظم هؤلاء المتقدمين لم يتحدثوا الإنجليزية، كان استعمال المترجمين المدربين جيداً مفتاحاً للنجاح. وبدون القدرة على التفاعل مع المستجيبين، كان من المستحيل توضيح الإجابات بشكل كافٍ والرد على المخاوف وتسهيل بناء التفاهم.

إن تقييم الشخصيَّة والأبعاد ذات الصلة في البيئات متعددة الثقافات أمر صعب. ويظل من غير الواضح إلى أي مدى نقيس الفروق الفرديَّة الحقيقية (السمات) في مقابل الفروق الجماعية (التأثير الثقافي والاجتماعي). ونفترض أن الأمر عبارة عن مزيج من العاملين. ونتيجة لهذا، لا يزال هناك بعض الجدل حول أفضل طريقة لدمج النماذج التقليدية القائمة على السمات (24) والمنظورات الاجتماعيَّة الثقافيَّة (25، 26). وعلى الرغم من وجود أدلة دامغة على وجود فروق فرديَّة بين مجموعات ثقافيَّة متباينة، إلا أن هناك أدلة قوية بنفس القدر على أن الثقافة تؤثر بشكل كبير على تصور الفرد لنفسه وديناميات العلاقات الشخصيَّة المختلفة (27). وكانت

الاختلافات بين الثقافات الفرديَّة، كالموجودة في الغرب، بمثابة مجموعة مقايسة شائعة للثقافات الأكثر جمعية، كالموجودة بين الدول العربيَّة في الشرق الأوسط (25، 28، 29).

لم يتمكن المؤلف من جمع معلومات بشأن النتائج المتعلقة بالأداء، وبالنتيجة، لا توجد طريقة لتقييم الخصائص التنبؤية لمقياس NPQ في عينة المتقدمين للوظائف هذه. وعلى الرغم من عدم وجود جمع منهجي رسمي لمثل هذه البيانات، فقد تم تقييم فائدة المعلومات التي المُجمعة بشكل غير رسمي. وفي كل حالة، قدمت ملاحظات حول خصائص شخصيَّة المتقدمين إلى وكيل التوظيف والمشرف على العمل. وهناك أدلة قصصية (ملاحظات المشرف غير الرسمية) تشير إلى أن المعلومات الناتجة عن أبعاد مقياس NPQ والمقابلة المصاحبة كانت مفيدة في مساعدة المشرفين الأمريكيين في إدارتهم وتفاعلاتهم مع نظرائهم والعمال العرب. وبالتأكيد، ستكون المقاييس الأكثر رسمية المتعلقة بالأداء مفيدة في المستقبل في قياس القدرات التنبؤية لأبعاد مقياس NPQ المختلفة.

وقد سلطت هذه المقالة الضوء على كثير من التحديات والقيود عبر الثقافات في استعمال اختبار NPQ لتقييم الشخصيَّة والدافعية ضمن عينة عراقيَّة عربيَّة؛ ومع ذلك، وجد المؤلف أن هذه الأداة هي واحدة من أكثر الأدوات فائدة في العمل مع هذه الفئة من السكان. وقد كانت هناك جهود سابقة لتقييم المتقدمين للوظائف في العراق باستخدام ترجمة عربيَّة لـ R-PI-NEO (نموذج ذو خمسة عوامل للشخصيَّة يُستعمل على نطاق واسع في برامج التقييم والاختيار الغربية) بالإضافة إلى ترجمات 2-MMPI (مخزون مينيسوتا متعدد المراحل للشخصيَّة، الطبعة الثانية)، والذي تم تصميمه للاستعمال مع الحالات السريريَّة كوسيلة لتحديد الأمراض النفسيَّة المحتملة. كما تم محاولة تطبيق مقاييس معرفية مع المتقدمين للوظائف العراقيين. وتعد مصفوفات رافن Raven أحد الأمثلة على ذلك. إذ تُعد - على نطاق واسع - واحدة من أفضل الأدوات لتقييم القدرة المعرفية عبر الثقافات استناداً إلى حد كبير على تصميمها غير اللفظي. وهناك حدود واضحة لكل هذه الأساليب وصعوبات في كل من الترجمة الصحيحة لأسئلة الاختبار أو المُنبهات وكذلك التحديات التي تواجه التفسير الصحيح لاستجابات المتقدمين نظراً لندرة البيانات المعيارية ذات الصلة للمقايسة أو المرجع. ويحاول اختبار NPQ سد هذه القيود من خلال تنسيقه غير اللفظي ومجموعته المرجعية المعيارية عبر الثقافات. ومع ذلك، وكما رأينا من عينة صغيرة من المتقدمين للوظائف العراقيين، فإن أنماط استجابتهم كمجموعة تختلف بشكل كبير عن المعايير عبر الثقافات في NPQ. ومن الجدير بالذكر أن غالبية العينات المدرجة في المجموعة المعيارية لـ NPQ هي أوروبية الأصل مع وجود جزء ضئيل فقط خارج هذه المجموعة العرقية المحظورة غربياً (مثلاً، إسرائيل وهونج كونج هي الاستثناء).

على الرغم من وجود بعض القيود، فإن NPQ يوفر منصة ممتازة لجمع البيانات النوعية إلى جانب عناصره الأكثر كمية. وبالتحديد، نظراً لأن التطبيق يتطلب تفاعلاً مباشراً مع الشخص والترجمة تتطلب تحقيقات متابعة، فإن NPQ يسهل بناء التفاهم بالإضافة إلى توفير نظرة ثاقبة

لعمليات التفكير واتخاذ القرار لدى المستجيبين. وعادةً ما تكون تحقيقات المتابعة مطلوبة، وتعمل على توسيع فهم الفاحص لنية المستجيبين وإدراكهم فيما يتعلق بكل منبه اختبار. لذلك، على الرغم من التحديات الفريدة التي تمت معالجتها، ويوصي المؤلف باستعمال NPQ مع السكان العرب في تقييم التأثيرات الشخصيَّة والدافعيَّة المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أنه بدون تعاون ودعم مطور NPQ (أنظمة تقييم SIGMA) لما كان المشروع ممكناً أبداً. ويوصى بأن يتضمن العمل المستقبلي مع NPQ في البيئات الشرق أوسطية التعاون المبكر مع مطور الاختبار من أجل التغلب على موضوعات أخلاقية أو قانونية مرتبطة بتعديل الاختبار. وسيفيد هذا التعاون أيضاً في الاستمرار بتوسيع مجموعة المرجع المعيارية الخاصة به، وجعل الأداة ذات صلة متزايدة بمختلف السكان الإثنيين في الشرق الأوسط.

وكما أظهرت التحقيقات السابقة، فإن الكفاية الثقافيَّة مع السكان العرب تنطوي على معرفة عملية بالثقافة والقيم والسلوك (18). إضافة إلى ذلك، وفقاً لقانون أخلاقيات الجمعية الأمريكيَّة للطب النفسي، فإن الاعتراف بالقيم الثقافيَّة للفرد وفهمها أمر مطلوب من أجل العمل بشكل فعال وأخلاقي مع هؤلاء السكان (8). لذلك، نُشجع المزيد من البحث في التحديات عبر الثقافيَّة مع المجموعات العراقيَّة والعربيَّة في الشرق الأوسط. ويجب أن يظل علماء النفس الذين يعملون مع مثل هؤلاء السكان على دراية ومعرفة بتأثير الثقافة والأيديولوجية على الاستجابة للاختبار وعناصر التقييم ذات الصلة.

المراجع

1. Paunonen SV, Ashton MC, Jackson DN: Nonverbal assessment of the big five personality factors. Eur J Pers 2001; 15: 3–18.
2. Paunonen SV, Jackson DN, Keinonen M: The structured nonverbal assessment of personality. J Pers 1990; 58: 481–502.
3. Henry AM: Explorations in Personality, New York, Oxford University Press, 1938.
4. Jackson DN: Personality Research Form manual, Ed 3. Port Huron, MI, Sigma Assessment Systems, 1984.
5. Costa PT, McCrae RR: From catalog to classification: Murray's needs and the five-factor model. J Pers Soc Psychol 1988; 55: 258–65.
6. McCrae RR, Costa PT: Updating Norman's "adequate taxonomy": intelligence and personality dimensions in natural language and in question- naires. J Pers Soc Psychol 1985; 49: 710–21.

7. Paunonen SV, Zeidner M, Engvik HA, Oosterveld P, Maliphant R: The nonverbal assessment of personality in five cultures. J Cross Cult Psychol 2000; 31: 220–39.
8. American Psychological Association: Ethical principles of psychologists and code of conduct. Washington, DC, Author, 2002, amended June 1, 2010. Available at http://www.apa.org/ethics/code/index.aspx; accessed July 1, 2011.
9. Paunonen SV, Jackson DN, Trzebinski J, Forsterling F: Personality structure across cultures: a multimethod evaluation. J Pers Soc Psychol 1992; 62: 447–56.
10. Lewis B: The Arabs in History. New York, Oxford University, 2002.
11. Nydell MK: Understanding Arabs: A Guide for Westerners, Ed 3. Yarmouth, ME, Intercultural Press, 2002.
12. Lawrence TE: Seven Pillars of Wisdom. New York, Doubleday, 1926.
13. Lawrence TE: Revolt in the Desert. London, Jonathan Cape, 1927.
14. Maxwell G: A Reed Shaken by the Wind: Travels Among the Marsh Arabs of Iraq. London, Eland, 1994.
15. Patai R: The Arab Mind. New York, Macmillan, 1973.
16. Thesiger W: The Marsh Arabs. England, Penguin, 1964.
17. Al-Krenawi A, Graham JR: Culturally sensitive social work practice with Arab clients in mental health settings. Health Soc Work 2000; 25: 9–23.
18. Haboush KL: Working with Arab American families: culturally competent practice for school psychologists. Psychol Sch 2007; 44: 183–98.
19. Bierbrauer G: Reactions to violation of normative standards: a cross- cultural analysis of shame and guilt. Int J Psychol 1992; 27: 181–94.
20. Dwairy M, Van Sickle T.D: Western psychotherapy in traditional Arabic societies. Clin Psychol Rev 1996; 16: 231–49.
21. Oyserman D: The lens of personhood: viewing the self and others in a multicultural society. J Pers Soc Psychol 1993; 65: 993–1009.
22. Dwairy M: Addressing the repressed needs of the Arabic client. Cult Divers Ment Health 1997; 3: 1–12.
23. Shechtman Z, Goldberg A, Cariani R: Arab and Israeli counseling trainees: a comparison of ethnically homogeneous and heterogeneous groups. Group Dyn Theory Res Pract 2008; 12: 85–95.

24. McCrae RR, Costa PT: Toward a new generation of personality theories: theoretical contexts for the five-factor model. In: The Five-Factor Model of Personality: Theoretical Perspectives, pp 51–87. Edited by Wiggins JS, New York, Guilford, 1996.
25. Church TA: Culture and personality: toward an integrated cultural trait psychology. J Pers 2000; 68: 651–703.
26. Triandis H: Individualism and Collectivism. Boulder, CO, Westview Press, 1995.
27. Marcus HR, Kitayama S: Culture and the self: implications for cognition, emotion, and motivation. Psychol Rev 1991; 98: 224–53.
28. Al-Zahrani SSA, Kaplowitz SA: Attributional biases in individualistic and collectivistic cultures: a comparison of Americans with Saudis. Soc Psychol Q 1993; 56: 223–33.
29. El-Sheikh M, Klaczynski PA: Cultural variability in stress and control: an investigation of Egyptian middle-class, countryside, and inner-city girls. J Cross Cult Psychol 1993; 24: 81– 98.

مَقالات مُهيمنة

شخصيَّة الفَرد العراقي

بحثٌ في نفسيَّة الشعب العراقي على ضوء عِلم الاجتماع الحديث[1]

علي الوردي

1951

البروفيسور الدكتور **علي حسين الوردي** (1913-1995)، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من University of Texas في الولايات المتحدة الأميركية. أستاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد. من أهم كُتبه: وعاظ السلاطين، مهزلة العقل البشري، أسطورة الأدب الرفيع، دراسة في طبيعة المُجتمع العراقي، لمحات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث.

لست أدعى بأن هذه المحاضرة بحث قد استوفى شروطه العلمية. وربما صح القول: بأنها أشبه بالمقالة الأدبية منها بالبحث العلمي. وعذري في ذلك: إنها محاضرة كتبت لكي تلقى في حفل عام ولم يكن الغرض منها أول الأمر أن تطبع أو تنشر على القراء بهذا الشكل الحاضر. إنها قد كتبت إذن على أساس الاسترسال الفكري وتداعى الخواطر. فهي لا تحتوي على فصول منظمة أو حلقات متتابعة كل حلقة تؤدي ما يليها على حسب ما يستوجبه التسلسل المنطقي. وربما تاه القارئ في طيات ما فيها من أفكار شتى لا يجمعها نظام موحد. وعلى أي حال، فأن القارئ قد يستبين، بعد انتهائه من قراءة المحاضرة، بأنها تنقسم إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول منها أريد به بحث الشخصيَّة البشرية بوجه عام؛ أما القسم الثاني فقد اختص ببحث شخصيَّة الفرد العراقي. ولسوف يجد القارئ أن القسم الأول منها مطول وقد لا يخلو من خروج عن الموضوع. أن هذا أمر لا اعتذر عنه ولعلي قصدته قصداً وعزمت عليه فقد رأيت إنني غير قادر على دراسة الشخصيَّة العراقيَّة ما لم أدرس قبل ذلك الشخصيَّة البشرية بشيء كثير من التفصيل. وإضافة إلى ذلك فان موضوع الشخصيَّة بوجه عام لم يبحث في اللغة العربية بحثاً وافياً. فان اغلب من بحثوا فيه أو ترجموا عنه كانوا من المختصين بعلم النفس. ومعنى هذا أن الشخصيَّة لم تبحث إلا من ناحيتها الفردية حيث لم يعن

[1] مُحاضرة أُلقيت في قاعة كليَّة الملكة عالية، مساء 2 نيسان 1951، ثم صدرت في كُتيب عن مطبعة الرابطة في بغداد، 1951.

بالناحية الاجتماعيَّة فيها إلا قليلاً. هذا وينبغي أن لا ننسى بان للشخصيَّة مفهوماً في علم النفس يختلف عن مفهومها في علم الاجتماع أو علم الحضارة. فعلم النفس ينظر إلى الإنسان كفرد قائم بذاته، ولذا فهو يدرس شخصيَّة الإنسان من حيث كونها مجموعة الصفات الخاصة التي تميز أي فرد عن الآخر. وهذا مفهوم لا يخلو من صواب، ولكن علماء الاجتماع يضيفون إلى ذلك بان الشخصيَّة، في كثير من وجوهها، ممثلة للمجتمع؛ وهم اليوم يكادون يجمعوا على الفرد والمجتمع ما هما إلا وجهين لحقيقة واحدة، أو كما قال (كولي): أن الفرد والمجتمع توأمان يولدن معاً. فشخصيَّة الإنسان إذن تسبك في قوالب يصنعها المجتمع. ولذا نرى أبناء المجتمع الواحد متشابهين في كثير من صفاتهم الشخصيَّة. انهم يتفاوتون عادة، في بعض دقائق الصفات العامة، تفاوتاً يجعل لكل فرد منهم شخصيته الخاصة به ولكنهم رغم ذلك يتشابهون في الخطوط الرئيسية لتلك الصفات. لعلني استطعت في القسم الأول من المحاضرة، أن اعرض على القارئ هذه الناحية من الشخصيَّة وان أظهر كيف أن الفرد ما هو في حقيقته إلا صنيعة من صنائع المجتمع الذي يعيش فيه. لقد أهملت في هذا القسم، إذن، الناحية الفردية من الشخصيَّة وركزت انتباهي على الناحية الاجتماعيَّة. ولا أعني بأني قد أصبت في ذلك كل الإصابة. إنما قصدت أن ألفت نظر القارئ العربي إلى ناحية لم يكن يلفت إليها من قبل التفاتاً كافياً.

وعند انتقالي إلى دراسة شخصيَّة الفرد العراقي جابهتني صعوبة كبرى، وهي اكتشاف ما في المجتمع العراقي من خصائص ومميزات تجعله ينتج في أبنائه نموذجاً معيناً من الشخصيَّة لا يشاركه فيه أبناء المجتمعات الأخرى. لقد حاول كثير من الباحثين، عراقيين وأجانب، أن يكتشفوا خصائص هذا المجتمع، وقد جاء كل منهم برأي في هذا السبيل يخالف ما جاء به الآخرون. لقد حاولوا، كالأطباء، أن يكتشفوا داء هذا المريض، ولكنهم، مع الأسف، لم يكونوا متفقين على الطريقة يفحصون بها أعراض الداء. لقد كانوا أدباء أو مؤرخين أو سواحاً أو مستشرقين، لكن قليلا منهم من حاول أن يدرس الداء على ضوء علم النفس أو علم الاجتماع أو علم الحضارة. لقد كانوا كمثل من يحاول فحص مريض وهو لا يعرف من علم الطب شيئاً.

إن هذه المحاضرة، رغم ما فيها من نقص بارز في الناحية العلمية، هي محاولة مفردة في سبيل فحص المجتمع العراقي وكيف تنمو فيه شخصيَّة الفرد على ضوء علم الاجتماع الحديث. ولقد كابدت في سبيل إعدادها آلاما لا يستهان بها، إذ لم أجد في طريقي الذي حاولت السير فيه علامة ترشدني وكأني بذلك أشق طريقاً جديداً لم تطأه قدم من قبل. إنها على كل حال محاولة مبدأية أهيب بالقارئ أن يتشدد في نقدها وفي النظر إليها نظرة الشاك المستريب، وربما كنت غير مغال إذا قلت بأنها أول محاول في هذا السبيل على هذه الشاكلة. ولست اعني بهذا إنها محاولة قيمة بالقبول من الوجهة العلمية. فمشكلة الإنسان انه لا يستطيع أن يصل إلى الصواب رأساً؛ ومن الممكن القول بان الخطأ طريق الصواب والذي اقصده إذن من هذه المحاولة هو تحفيز غيري على دراسة هذا الموضوع الهام وإثارة بعض مفكرينا لكي ينزلوا قليلاً من أبراجهم العاجية فيتغلغلوا في المجتمع

العراقي باحثين منقبين، حيث لا يستنكفون من ملامسة ادرانه ولا يستحقرون ما فيه من سفه أو تسفل.

الشخصيَّة

سيداتي سادتي: يجدر بنا قبل أن ندرس شخصيَّة الفرد العراقي أن ندرس مفهوم الشخصيَّة بوجه عام. فللشخصيَّة مفهوم لدى العامة يختلف عن مفهومها لدى العلماء فقد تعود الناس خطأ أن يقولوا عن أحدهم بان له شخصيَّة وان آخر انه لا شخصيَّة له كأن الشخصيَّة في عرفهم كالجمال مثلا موجود عند بعض الناس ومفقود لدى الآخرين. الواقع أن كل منا له شخصيته الخاصة به. ولا يخلو أحد منا من شخصيَّة. إنما الفرق بين بعض الناس وبعضهم الآخر هو في قوة الشخصيَّة وضعفها وليس في وجودها وعدمها. وإننا في هذا المساء لا نقصد أن نبحث في موضوع الشخصيَّة من حيث قوتها أو ضعفها، فهذا أمر لعلنا نخصص له يوما آخر نبحثه فيه أن بحثنا يدور الآن عن ماهية الشخصيَّة بصورة عامة وعن خصائص الشخصيَّة بصورة خاصة. وقد يسأل أحدكم فيقول: ما هو هذا الشيء الذي نسميه بالشخصيَّة، وإذا كان كل منا له شخصيته الخاصة به فأين هي إذن يا ترى؟ وما هو مصدرها ومنشؤها وكيف نستطيع أن نتحسس بها في أنفسنا وندرك إنها موجودة فينا حقا؟

سألني مرة أحد أصدقائي وهو يهمس في أذني كأنه كان يخشى أن يسمعها أحد: "ويحكى يا أخي: إني اسمع كثيرا عن الشخصيَّة وأتظاهر غالبا بأني أفهمها خوفا من الفضيحة ولكني في الواقع لا افهم عنها شيئا فهل لك أن تعطيني بعض الفكرة عنها حتى أستطيع أن أخوض مع الناس إذا جاء البحث فيها أو أدلى دلوي في الإدلاء عنها". سيداتي سادتي، وجه إلي الصديق هذا السؤال في وقت لم أكن أنا اعرف عن الشخصيَّة أكثر مما يعرف، وقد حاولت على كل حال أن اقدم له بعض التعاريف المألوفة في الشخصيَّة، فلم يفهمني أو بالأحرى لم أكن أنا افهم ما كنت أقول، وبقينا ساعة من الزمن نتجادل من غير جدوى حتى انتهى الأمر بي إلى أن اعترف له بجهلي المطبق في هذا الموضوع ثم نمت مستريحا. هذه القصة تعطينا صورة مصغرة لما عليه اغلب مثقفينا وطلابنا من جهل في موضوع الشخصيَّة، وأرجو أن أوفق الأمر في بحث موضوع الشخصيَّة معكم بصورة أوضح مما وفقت بها آنذاك مع الصديق العزيز.

ليس من السهل علينا أن نحدد الشخصيَّة أو نعرفها تعريفا جامعا مانعا فهي كالكهرباء أو الأثير أو المغناطيس لا تعرف إلا بآثارها[1]. ومن الصعب تحليل الشخصيَّة إلى عناصرها الأولية، فهي إذا حللت وفصلت عناصرها بعضها عن بعض فقدت ارتباطها العضوي وقيمتها الكلية، إنها إذن كالمركب الكيماوي يحتوي على صفات خاصة به تختلف عن صفات العناصر المكونة له كل الاختلاف. وعلى كل حال يمكن تعريف الشخصيَّة بإيجاز فيقال بأنها المجموعة المنظمة من الأفكار

[1] انظر محمد عطية الابراشي، الشخصيَّة، ص: 9.

والسجايا والميول والعادات التي يتميز بها شخص ما عن غيره[1]. يقول مورى وكلوكهوهن أن الشخصيَّة البشرية تكوين حركي ومحاولة مستمرة في سبيل التوفيق بين رغبات الإنسان الطبيعية وقواعد المجتمع المفروضة عليه[2].

سيداتي سادتي: أن الإنسان ولد وقد ورث ميولا أو اندفاعات بهيمية غير مهذبة. فتوضع هذه الاندفاعات العارمة تحت تأثير القيم الحضاريَّة والقيود الاجتماعيَّة حيث يبدأ الطفل ساعيا في سبيل التوفيق بين ما يشتهي من حاجات آنية وما يفرضه عليه المجتمع من إصلاحات و اعتبارات وقيم. إنها صراع متواصل بين قوتين متعاكستين: قوة بهيمية لا تفهم قيدا ولا تدرك معنى وقوة أخرى اجتماعيَّة تحاول أن تسيطر على تلك القوة الغاشمة وتسبكها في قوالب حضاريَّة مقبولة. أن الشخصيَّة كما يقول فرويد نزاع بين ذاتين بين الذات السفلى والذات العليا. فمن الناس من ينجح في المصالحة والتوفيق بين هاتين القوتين المتنازعتين فيصبح إذن شخصا سويا ومنهم من يفشل فيصبح مجنونا أو مجرما أو منطويا على نفسه أو مستهترا أو معتديا حقودا.

ومن الملاحظ أن رجال الدين ورجال الفكر قديما أحسوا بهذه الحقيقة واعتبروا النفس الإنسانية ميدانا لنزاع مرير بين هدى الله ونزغات الشيطان، أو كما قال الفلاسفة بين وحي العقل واندفاع العاطفة. أجل لقد أدرك القدماء هذه الحقيقة بشأن الشخصيَّة ولكن فشلوا رغم ذلك في دراسة الشخصيَّة دراسة واقعية. فقد كان دأبهم الموعظة والإرشاد وان ينصحوا الإنسان بأن يكون عاقلا أو خيرا من غير أن يقفوا لحظة يبحثون فيها عن السبب الذي جعل كثيرا من الناس منجرفين مع تيار العاطفة متنكبين عن طريق العقل، أو بعبارة أخرى ى (متبعين لأوامر الشيطان تاركين أوامر الرحمن). يحكى أن أعرابياً مر ذات يوم بمكتبة مملوءة بالكتب فهتف قائلا إن اعرف جميع ما في هذه المكتبة وخلاصة ما فيها: (يا أيها الإنسان كن خيراً!)، أو كما نطق هو بلهجته الأعرابية: يا ابن آدم صير خوش ادمي).

أن كلمة هذا الأعرابي، والحق يقال، تنطبق كل الانطباق على ما كان القدماء يكتبون فيه ويخطبون. لقد أخفقوا حقاً في العش أخفقوا حقاً في العثور على الحقيقة الكبرى فيما يخص الشخصيَّة البشرية وهي أن أوامر الله ما هي في حقيقتها إلا أوامر المجتمع وتقاليده ومثله العليا، وان هذه التقاليد والمثل لا يكاد يضعف سلطانها في النفس الإنسانية حتى نرى الإنسان ينجرف وراء شهواته البهيمية قدما لا يلوي على شيء. فالمشكلة إذن ليست هي مشكلة نزاع بين العقل والعاطفة كما كان القدماء يعتقدون إنما هي في الواقع مشكلة التكتل والتفكك في النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان. فإذا تفكك المجتمع نتيجة تحركه واتصاله بغيره من المجتمعات الأخرى ضعف سلطان المثل العليا الخاصة به وقل لذلك إيمان الأفراد بها فانساقوا إذن وراء ما يشتهون رغم

[1] K. Young, *Personality*, p.3.

[2] Kluckhohn & Murray, *Personality*, p.27.

الخطب والمواعظ. لقد كان القدماء بالإضافة إلى ذلك يعتقدون بأن الإنسان مخير فيما يعمل كل الخيار، أي انه يستطيع أن يركب شخصيَّة ويصنعها كما يشاء أو أن يصبها بالقالب الذي يريد فهو قادر على زعمهم أن يجمع في نفسه جميع الخصال الحسنة وينفي عنها جميع الخصال السيئة كأن الشخصيَّة قطعة من الشمع يكيفها الإنسان حسب ما يريد، غير دارين بأن الشخصيَّة تنشأ وتتنوع وتنضج حسب قواعد يصعب المحيد عنها، وإنها قد تسير في الطريق المرسوم لها حسب تفاعل الطبيعة والمجتمع سواء أخطب الواعظون أم لم يخطبوا أو نصح المفكرون أم لم ينصحوا.

أن استقامة الشخصيَّة لا تقاس بالمقاييس المنطقية المطلقة التي كان يتخيلها الحكماء. إنها بالأحرى نسبية، فإذا ربى الإنسان في مجتمع معين واقتبس منه قيمه وتقاليده فمن السخف أن نطلب منه الإصغاء إلى نصائح الحكماء التي تخالف ما تعود عليه. أن من دواعي الفخار لنا حقاً أن نجد أن الحضارة الإسلامية قد أنتجت مفكراً يختلف في هذا الصدد عن غيره من القدماء، هو المفكر العربي المشهور عبد الرحمن بن خلدون فقد حاول هذا المفكر أن يدرس شخصيَّة الإنسان، لا على أساس الموعظة والإرشاد كدأب الناس قبله بل على أساس الحقيقة الراهنة التي لا محيص عنها. وجد ابن خلدون أن البدو كانوا موسومين في ذلك العهد بالتخريب وبالنفرة من العلم والصناعة، فقام مدافعاً عنهم بأسلوب يقرب من أسلوب علماء الاجتماع الحديث؛ يقول ابن خلدون أن البدوى بطل شجاع وفاتح باسل وهو أبي للضيم وحامي للجار، ومثل هذه الصفات لا تتلاءم هي وصفات طلب العلم أو الصبر على الصناعة وفنون العمران. وفي رأيه أن الشخصيَّة الإنسانية على أنماط شتى فان هي كانت من نمط معين صعب عليها أن تكون من النمط الآخر. وعلى هذا استنتج ابن خلدون أن طلب العلم والبراعة الصناعية صفة الأمة المغلوبة الخائعة ذلك لأنها صفة تستدعي الخضوع والصبر والعمل الكادح. وهذه مزايا لا تتفق مع مزايا الإباء والبطولة والنجدة التي اتصف بها البدوي. فالإنسان في نظر ابن خلدون لا يستطيع أن يكون محاربا باسلا وطالبا للعلم في نفس الوقت، وكذلك لا يقدر أن يكون بطلا أبيا وصانعا ماهرا في أن واحد[1]. وكذلك أثبت ابن خلدون بان العلوم والفنون لا تنشأ إلا في المجتمع المتفكك الذي ينشأ فيه بنفس الوقت الميل إلى الإجرام والسفه والخلاعة. فهو يرى بأن المجتمع البدوي الخالي من العلم والصناعة خال أيضا من مقتضيات التفسخ الشخصي وأسباب الرذيلة. فالبدوي، في نظرة، اسلم فطرة وأقرب إلى

[1] أن الاستنتاج الذي جاء به ابن خلدون يمكن تطبيقه على الحضارة التي كانت سائدة في عصر ابن خلدون حيث كان من الممكن تصنيف الناس إلى صنفين متعاكسين غالب ومغلوب صاحب سيف وصاحب مهنة، أو كما قال (فبلن): غازي ومنتج أما اليوم، فقد اصبح هذا التصنيف غير ممكن التطبيق بالنسبة للحضارة الغربية الراهنة، إذ أن السيف والمهنة قد اتحدا أو بعبارة أخرى أصبح الغلب والإنتاج مترادفين، ولا يمكن للامة أن تكون غالبة في المعترك الدولي إلا إذا كانت متفوقة في الميدان الصناعي والعلمي، وهذا عكس ما كان يجرى في العصور القديمة والوسطى، لأن صاحب السيف كان يأبي أن يكون صانعا أو عالما وقد كان يسمى الصناعة (مهنة) أي شيئا ممتهنا ومحتقرا (انظر ابن خلدون، *المقدمة*، ص:544).

روح التدين والفضيلة من المدني. وكأن مجتمع المدينة الذي يشجع النبغاء وأصحاب الفنون والعلوم يشجع أيضا أصحاب الجريمة والتهتك وسوء الأخلاق[1].

سيداتي سادتي: هذه النظرية، رغم ضعفها الظاهر بالنسبة للحضارة الحديثة تحتوى على دقة نظر في موضوع الشخصيَّة بالنسبة للحضارة القديمة وهى تعتبر ضربة قوية ضد التفكير القديم الذي كان يرى الإنسان قادرا على تكوين شخصيَّة كما يهوى ويجمع فيها من الفضائل ما يشاء. كانت نظرية ابن خلدون هذه كالومضة الخاطفة تبزع في حلك الظلام ثم تنطفئ سريعا، حيث كانت سابقة لأوانها بعدة قرون وما كاد صاحبها يموت حتى نسى العالم موضوع الشخصيَّة كما نسى اسم ابن خلدون وقد ظل المفكرون بعد ابن خلدون كما كانوا قبلة قابعين في أبراجهم العاجية وقد بحت أصواتهم من خطب الوعظ ومؤلفات الإرشاد. ولم يلتفت العالم إلى موضوع الشخصيَّة من جديد إلا في عصر النهضة الأوربية. إذ قد حصل إذ ذاك رد فعل شديد ضد التفكير القديم وضد مصطلحات القرون الوسطى جميعا. فبعد ما كان القدماء مثلاً يرون بأن الإنسان حر في صنع شخصيته، اصبح مفكرو النهضة يرون الشخصيَّة كالآلة الميكانيكية التي لا إرادة فيها ولا حرية لها. إذ هي في نظرهم أداة طيعة بيد أخلاط البدن الأربعة أي الدم والبلغم والصفراء والسوداء[2]. فإذا زاد أحد هذه الأخلاط عن حده في البدن أصبحت الشخصيَّة مطبوعة بطابع ذلك الخيط الزائد فالشخصيَّة الصفراوية في نظرهم معاندة سريعة الغضب قوية الإرادة، بينما الشخصيَّة البلغمية هادئة يغلب عليها الكسل وقلة الاكتراث. أما الشخصيَّة الدموية فهي منبسطة ومتفائلة واثقة بنفسها بعكس الشخصيَّة السوداوية الذي يغلب عليها الوسواس والحزن والانكماش عن الناس[3].

لا نكران بأن نظرية الأخلاط هذه لم تبتكر في عصر النهضة فهي بالأحرى كانت معروفة منذ أيام الإغريق القدماء، ولكنها كانت مستعملة في المجال الطبي وحده فاخذ مفكرو عصر النهضة يطبقونها في المجال الاجتماعي أيضا. وينبغي أن نذكر: إنها اليوم لا تؤخذ بعين الاعتبار في الدوائر العلمية إذ تعتبر إنها مستندة على أساس مغلوط ولكنها مع ذلك كانت ذات أهمية كبيرة في حينها إذ هي وجهت الأنظار في موضوع الشخصيَّة نحو ناحية كان القدماء قد غفلوا عنها وهي ناحية تصنيف الشخصيَّة على أساس واقع غير متأثر بالوعظ أو بالدعوة للمثل العليا. وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت للوجود قضية الغدد الصماء. وهذه النظرية تشبه في ظاهرها نظرية الأخلاط القديمة ولكنها تستند في أساسها على بحوث علمية لا تقبل الشك. وعلى أي حال فقد تطرف بعض العلماء في تبيان اثر الغدد في تكوين الشخصيَّة وتحمسوا لها بحين أصبحت الغدد الصماء تسمى بناء على

[1] انظر ابن خلدون، *المقدمة*، ص: 121 وغيرها.

[2] W.E. Sargent, *Teach yourself psychology*, p.9.

[3] انظر الدكتور محمود حب الله، *الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية*، ص: 35 وبعدها.

ذلك (غدد الشخصيَّة)[1]. ولقد مر على العلماء عهد كانوا فيه لا يكادون يلاحظون ظاهرة شخصيَّة في أحد الناس حتى يسرعوا إلى تفسيرها بزيادة إفراز في إحدى الغدد الصماء أو نقصه. فإذا رأوا، على سبيل المثال، شخصا ذكيا ونشيطا عزوا ذلك إلى زيادة في الغدة النخامية الموجودة في اسفل المخ؛ وإذا رأوا امرأة مسترجلة تحب تقليد الرجال في ملابسها أو أعمالها أو ميولها الجنسية قالوا بأن ذلك راجع إلى زيادة في إفراز لحاء غدة الأدرنالين الواقعة فوق الكليتين؛ وإذا شاهدوا شخصا سريع الغضب متحفزا للقتال في اكثر الأحيان نسبوه إلى زيادة الإفراز في قلب الغدة الأدرنالية؛ وإذا سمعوا عن رجل انه شبق شديد الشهوة قالوا انه ضحية التضخم في الغدة التناسلية، وكذلك إذا رأوا رجلا دائم التهيج والانفعال عزوا ذلك إلى نقص في الغدد الصغيرة الواقعة تحت الغدة الدرقية. أما الغدة الدرقية فيسبب نقصها في زعمهم الخمول والكسل وضعف الحيوية، إلى غير ذلك من أقاويل[2].

أن هذا الاتجاه في تفسير الفروق الشخصيَّة على أساس الغدد الصماء غلو أصبح علماء النفس الاجتماعي لا يستسيغونه. فلا نكران لديهم أن للعوامل البيولوجية من غدد وغيرها دوراً كبيراً في تكوين الشخصيَّة البشرية ولكنه ليس بالدور الحاسم لان هذه العوامل البيولوجية كثيرا ما تتفاعل مع عوامل المحيط الاجتماعي وتتنوع بأنواعه فكثيرا ما نجد شخصا قد ورث في تكوينه البيولوجي عوامل تدعوه إلى الغضب وسرعة الاعتداء مثلا ولكنه ولد في جماعة لا تحبذ هذه الصفة فيه ولذا تراه قد حول طبيعته البيولوجية إلى مجرى آخر غير مجرى الاعتداء والأذى، وقد يصبح بتأثير بيئته الاجتماعيَّة خانعا بكاء يحب أن يؤذيه الغير بدلا من أن يؤذى هو الغير. وكذلك قد تجد شخصا قد ملك ذكاء مفرطا وهو عائش في مجتمع لا يقدر الذكاء إنما يقدر الضخامة البدنية وشدة البأس، ولهذا فهو قد يصبح خاملا لا ينتج علما ولا يفكر بفلسفة، إنما ينزوي عن الناس ويندب حظه. وقد يصاب أحد الناس بالصرع أو بنوع خفيف من الجنون فيكون في بعض المجتمعات قديسا وفي البعض الآخر محجورا عليه في مستشفى الأمراض النفسيَّة[3].

إننا هنا نستطيع أن نشبه العوامل البيولوجية بالمواد الخام والعوامل الاجتماعيَّة بالمعامل التي تصنع من هذه المواد الخام بضائع شتى؛ فشخصيَّة كل بضاعة إذن ليست نتيجة المواد الخام وحدها ولا نتيجة نوع المعمل فقط، إنها بالأحرى نتيجة كلا العاملين بعد تفاعلها قليلا أو كثيرا. يذكر موتران على سبيل المثال: أن نقص إفراز الفص الأمامي من الغدة النخامية يؤدي بالشخص إلى أن يكون قزماً، ومن الملاحظ أحيانا أن الأقزام يميلون إلى حسن الهندام والتباهي وحب الفتنة؛ هذا ولكن ليس من الصواب أن يقال: بأن نقص الإفراز في الغدة النخامية هو السبب المباشر في التباهي وحب الفتنة، إنما الأصح أن يقال: بأن تأثير البيئة الاجتماعيَّة على خلق القزم هو الذي أدي

---

[1] انظر دكتور صبري جرجيس، *مشكلة السلوك السيكوباتي*، ص: 196.

[2] انظر روبرت ودروث، *علم النفس*، ترجمة عبد الحميد كاظم، ص: 218 وبعدها.

[3] R Linton, *The Study of Man*, ch. 31.

به إلى ذلك، ولو انه نشأ في بيئة أكثر عطفا لكان الأرجح أن يكون على خلق آخر[1]. وعلى كل حال، لقد اختلف العلماء حينا من الدهر في مسألة أيهما أهم في تكوين الشخصيَّة البشرية: الوراثة أم المحيط، أو بعبارة أخرى: العوامل البيولوجية أم العوامل الاجتماعيَّة. لقد مال العلماء أول الأمر نحو التأكيد على العوامل البيولوجية أما اليوم فقد اصبحوا يعيرون اهتماما كبيرا للعوامل الاجتماعيَّة، ويعتبرون الشخصيَّة، كما ذكرنا آنفا، نتيجة للتفاعل المستمر بين الدوافع الطبيعية العارمة في الإنسان من ناحية والقواعد التي يفرضها المجتمع عليه من ناحية أخرى. ولا تظنوا أيها السادة أن سر الشخصيَّة قد اكتشف نهائيا أو أن العلماء قد توصلوا بالضبط إلى اكتناه العوامل التي تؤثر فيها. فلا يزال جزء كبير من الشخصيَّة غامضا. يقول تيرل في كتابه (شخصيَّة الإنسان أن هناك في أعماق النفس البشرية قوى خارقة مبدعة تتحدى نطاق الزمان والمكان ولا يمكن تفسير كنهها بما نعلم اليوم من قوانين الطبيعة.

يقول تيرل: انظر إلى الراقصة البارعة عندما تقوم بحركاتها المتناسقة المتلاحقة حيث تقوم كل عضلة بحركة متقنة في وقت معين لا تعارض به حركات العضلات الأخرى، ولا تزيد في جهدها الذي تبذله عن مقدار معين كافة للمساهمة بحركات الرقص على شكل بديع وإذا سألت الراقصة: كيف تقوم بهذا العمل المدهش أجابتك إنها هـ نفسها لا تدري إنها قد مارست الرقص وتعودت عليه ثم أطلقت بعد ذلك لتلك القوة الخفية في نفسها العنان[2]. وقل مثل هذا عن الشاعر أو المخترع أو النبي أو الموسيقي أو العالم. فكل واحد من هؤلاء وغيرهم تنبعث من أعماق نفسه قوى لا يعرف مأتاها تماماً فتسيره من حيث يدري فتسيره من حيث يدري أو لا يدري كيف نستطيع أن نفسر مثلا سيمفونيات بتهوفن أو نظريات نيوتن أو اختراعات اديسون أو روايات شكسبير. هل كانت هذه الروائع الخالدة نتيجة لحسابات دقيقة أو عوامل معينة أو جهود واعية وحدها[3]. وهل يمكننا مثلا أن نفسر نبوة محمد مثلا بما يقول العلماء اليوم عن تفاعل الوراثة والمحيط في تكوين الشخصيَّة. بماذا نفسر مثلا مقدرة بعض المنومين تنويما مغناطيسياً على اكتشاف بعض المغيبات وكيف نستطيع أن نفسر عمل شخص إذ يطير في الهواء بين نافذة وأخرى أو يدعو جمادا فيأتي إليه. وأنا شخصياً قد رأيت رجلا تعرض عليه أرقام عديدة للجمع، وبلحظة واحدة يعطيك حاصل جمعها مضبوطا. كثيرا ما نحاول أن نفسر هذه الظواهر الخارقة بإعطائها أسماء معينة ثم نستريح كأننا قد حللنا المشكلة وكشفنا عن السر، فنقول مثلا عن ظاهرة من الظواهر الخارقة إنها تنويم مغناطيسي أو إنها سحر أو إنها عبقرية أو إنها نبوة إلى آخر ما هنالك من أسماء نقولها ولا نفهم لها معنى. أجل: أن جزءا كبيرا من الشخصيَّة البشرية لا يزال سرا غامضا، ونحن مع اعترافنا بهذا الجزء الغامض

[1] Mottran, *The Physical Basis of Personality*, p 57.

[2] Tyrrell, *Personality of Man*, p. 25.

[3] Sorokin, *The Crisis of our age*, ch. 30.

نستمر في بحثنا عن الشخصيَّة من جانبها الواضح المعلوم وهو الجانب الذي يمكن دراسته ومعرفة العوامل المؤثرة فيه. فلو غضضنا النظر عما في بعض الناس من قوة مبدعة خفية لوجدنا أن الشخصيَّة كما قلنا ما هي إلا تفاعل مستمر بين العوامل البيولوجية والعوامل الاجتماعيَّة.

سيداتي سادتي: وهنا يجب أن لا ننسى بان الشخصيَّة ميزة خاصة بالإنسان وحده فالحيوان ليس له شخصيَّة وكذلك الطفل لا يملك شخصيَّة عندما يولد إنما تنمو شخصيته شيئا فشيئا كلما كبر في السن. لقد اخرج منذ عدة سنوات أحد العلماء المعنيين بدراسة الحيوانات كتابا بعنوان "شخصيَّة الحيوانات"[1]. ولا ريب أن هذا العنوان فيه شيء من الخطأ إذ ليس للحيوان كما قلنا شخصيَّة، وقد تبدو من بعض الحيوانات كالكلب أو الحصان أو القرد بعض العلامات التي تدل على وجود شخصيَّة ولكنا لو تغلغلنا في دراسة هذه العلامات لوجدناها استجابات مكيفة أشبه ما تكون باستجابات الآلة المعقدة منها باستجابات الشخص الشاعر بذاته. ونحن في الواقع نسقط شخصيتنا على الحيوان عندما نلمح فيه علائم تدل على الذكاء أو الوجدان، أي إننا نفسر حركاته بنفس التفسير الذي نفسر به حركاتنا وبهذا نعزو إليه شخصيَّة ليست فيه، وهو منها برئ كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب. الشخصيَّة أيها السادة صفة خاصة بالإنسان وحده ولعل في بعض الحيوانات العليا شيئا من بوادر الشخصيَّة ومبادئ تكوينها، ولكن الإنسان وحده ملك تلك المزية النادرة التي جعلته ينتج لنا هاتيك الألوان العجيبة من الحضارات وروائع التفكير. يقول الدكتور يوسف مراد في هذا الصدد: "الشخصيَّة بمعناها الكامل تقتضي وجود الشعور بالذات، وإذا افترضنا أن لبعض الحيوانات المقدرة على الشعور بالذات فإن هناك شرطا آخر يرجح عدم وجودها في الحيوانات وهو عوقان الحيوان إلى تحقيق شخصيَّة مثالية يتصورها كغرض أسمى"[2]. ومما يجدر ذكره هنا أن الشخصيَّة ليست موهبة طبيعية في الإنسان يرثها كاملة في جملة ما يرث من آبائه وأجداده. إنها في الواقع اكتسابية تنشأ في المجتمع، ولولا المجتمع لما نشأت الشخصيَّة. ولو ربي الإنسان في الحيوانات منذ طفولته لما نمت فيه شخصيَّة ولما نشأ شعور فيه شعور بالذات.

ولقد ثبت أيضا أن الشخصيَّة مركب قلق من الهين أن يتفكك والممكن أن ينقسم ويتعدد. وكثيرا ما عثر الباحثون على أفراد من الناس لهم شخصيتان أو أكثر. وقد استطاع الدكتور برنس بطريقة تشبه التنويم المغناطيسي أن يجعل في إحدى الفتيات شخصيتين مختلفتين تعمل بإحداهما تارة ثم تعمل بالأخرى تارة أخرى، وهي إذ تعمل بإحدى شخصيتها تنسى شخصيتها الأخرى[3]. يرى الدكتور سارجنت العالم النفسي المعاصر انه شاهد بنفسه امرأة لها شخصيتان قد ذهبت تودع زوجها في محطة القطار بشخصيتها الاعتيادية، ولم تشعر بنفسها بعد ذلك إلا وهي في

[1] H. Fox, *The Personality of Animals*.

[2] يوسف مراد، *مبادئ علم النفس* العام، ص 339.

[3] انظر محمد عطية الإبراشي، *الشخصيَّة*، ص: 226 – 227.

مدينة أخرى تعيش بشخصيَّة أخرى وتحيى حياة العزوبة غير مدركة بأنها هي هي تلك الزوجة التي ودعت زوجها في محطة القطار[1]. وإننا إذا أردنا أن نفهم هذه الظاهرة العجيبة، ظاهرة تعدد الشخصيَّة أو انقسامها، علينا قبل كل شيء أن نتعمق قليلا لكي نصل إلى مركز الشخصيَّة أو قاعدتها التي تنشأ حولها وتستند عليها. يقول العلماء أن مركز الشخصيَّة هو الشعور بالذات أو ما يسمى أحيانا بالنفس. ونحن لا نقصد بالنفس هذا المعنى المتداول لدى الناس عن الروح، فالروح غير النفس، وقد اخطأ كثير من الكتاب في خلطهم بينها. أن الروح أيها السادة ظاهرة ميتافيزيقية أو بيولوجية لا نعرف عنها شيئا، أما النفس فهي ذلك الشعور الذي يجعلك تقول (أنا) أو تشعر بذات مميزة عن الذوات الأخرى المحيطة بك.

ما هي النفس، وما هو الشعور (بالانا)؟ قد يجد رجل الشارع هذا السؤال تافها أو سخيفا، فهو يحس بنفسه ويقول (أنا) عشرات المرات كل يوم وكثيرا ما يقاسي ويكابد في سبيل تأكيد هذه (الأنا) وإنمائها والافتخار بها. فإذا سألته ما هي؟ حك رأسه حائرا أو ابتسم منك ساخرا. أما الفلاسفة فقد ظلوا عدة قرون يبحثون في هذه (الأنا)، ما هي وكيف تنشأ في الإنسان. ويحكى عن أحد مشاهير الحمقى يدعى (هبنقة) أن جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف فسئل عن ذلك فقال لأعرف بها نفسي ولئلا أضل. فبات ذات ليلة وأخذ أخوه قلادته فتقلدها فلما أصبح صاحبنا هبنقه ورأى القلادة في عنق اخيه قال يا اخي انت انا فما انا إذن؟[2]. تنقل هذه القصة في الكتب الفكاهية والأدبية ويقال عن صاحبنا انه معتوه أو أحمق، كأن الشك في (الأنا) هو من علامات الحمق، فإذا كان الأمر كذلك فان كثيرا من الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع يصبحون إذ ذاك حمقى!

لقد كان الفلاسفة يبحثون في النفس منذ فجر التاريخ الفكري ولكنهم كانوا في الغالب لا يختلفون في الجوهر عن مفهوم العامة للنفس والواقع أن أول قنبلة أثيرت في موضوع النفس كانت الفكرة التي جاء بها (هيوم) فيلسوف الشك المشهور فقد حاول هذا الفيلسوف أن يثبت بأن النفس لا وجود لها ككيان مستقل بذاته، إنما هي في زعمه عبارة عن توالي الأفكار والاختبارات حيث يعطي هذا التوالي شعوراً بوجود شيء هو غير موجود في الحقيقة[3]. ومنذ أيام (هيوم) حتى اليوم اخذ الفلاسفة يضربون يمينا ويسارا في البحث عن ماهية النفس وكيف تنشأ وتنمو في الإنسان دون الحيوان. وعلى أي حال فان من أحدث الآراء العلمية في موضوع النفس هو ما جاء به المرحوم جارلس كوى أستاذ علم الاجتماع في جامعة ميشجن سابقا وخلاصة ما يقوله كولي في ها الصدد: إن النفس مرأة المجتمع، أو بعبارة أخرى نفسك صدى ما يعتقده الغير فيك وما يعطونك من دور في الحياة الاجتماعيَّة. فأنت من أنت؟ أنت تشعر بذاتك وتقول (أنا) طبق ما يتصور الناس عنك، أو

[1] Sargent, op. Cit., p 68.

[2] انظر يوسف مراد، نفس المصدر، ص 337.

[3] Joad, *Guide to Philosophy*, p. 230 et seq.

بالأحرى ما تحس أنت من تصور الناس فيك. وقد عرض الأستاذ دنيسن نظرية كولي عرضا رائعا، حيث قال بان أنواعا شتى من السلوك البشري يمكنك أن تنتجه في الإنسان إذا أوحيت له صورة معينة عن نفسه. وجاء بمثل رجلين أحداهما يوحى إليه بطريقة من الطرق أنه نبيل روماني والآخر انه عبد روماني. فان الذي يتصور نفسه نبيلا يأتي بأعمال تشبه ما كان نبلاء الرومان يقومون بها ومنها اعتقاده بأن العبد يجب أن يقتل إذا عصـ أوامر سيده والعبد بدوره يعتقد أن من الجرائم التي تستوجب القتل الثورة على سيده أو عصيان أوامره، فهو إذن يتصور نفسه كأنه متاع يباع ويشرى وملك لسيده النبيل[1]. لقد أجرى أحد العلماء تجربة استعان فيها بالتنويم المغناطيسي حيث أوحى لنائم أن ذاته أو ما يسمى في علم التحليل النفسي بالـ (Ego) موجودة في تمثال من الورق المقوى وضع أمامه. فقد اخذ صاحبنا النائم يعامل التمثال كأنه ذاته قد انطوت فيه حقا، وإذا به يغار عليه ويغضب إذا أهين ويتألم إذا صفع ويهتز إذا مدح بقصيدة رنانة ليست هذه الحادثة عجيبة أيها السادة فكل منا مثل هذا الرجل، ولكن بشكل مخفف. وكثيرا ما يوحى إلى أحدنا في حياته الاعتيادية أن شيئا ما أو شخصا معينا أصبح جزءا من نفسه كالولد مثلا أو العشيرة أو العلم أو العقيدة أو البلد أو ما إلى ذلك. وإذا به يثور ويتوثب غضبا كلما جابهه أحد الناس بشتيمة موجهة نحو ذلك الشيء أو الشخص الذي اعتبره جزءاً لازباً من نفسه. ومن السهولة نعثر على شخص حاضر بيننا الآن يغضب لكلمة بريئة تقال له لا لسبب إلا الآن هذه الكلمة أصبحت جزءا من ذاته على وجه من الوجوه. والحقيقة يا سادتي إننا جميعا في جميع شؤون حياتنا واقعين تحت تأثير يشبه تأثير التنويم المغناطيسي، ولنسميه بتأثير التنويم الاجتماعي. فالطفل عندما يفتح عينيه للحياة وهو صغير يبدأ منومه الكبير، أي المجتمع، بالإيحاء إليه بأنه فلان ابن فلان وانه جزء لا يتجزأ من عائلة وطبقة معينة وان الواجب عليه أن يفعل كذا ويقول كذا. وبدأ فهو ينشأ وهو كالمنوم ينظر إلى نفسه كما ينظر الناس إليه ويقوم بما ينبغي أن يقوم به حسب ما أوحت إليه الجماعة التي يعيش فيها. ونحن لو درسنا التنويم المغناطيسي دراسة علمية لوجدناه يشبه أحد بعض الشبه التنويم الاجتماعي: فالمنوم المغناطيسي يحاول تنويم الناس بأن يقول له مكررا بعد أن يركز نظره في نقطة ثابتة أمامه: (أنت ستنام.. أخذت عضلاتك بالارتخاء.. بدأ جسمك بالتخدير تدريجيا.. وامتلأت عيونك بالدموع.. لقد أصبحت جفونك ثقيلة.. أصبحت انقل.. الرؤيا غير واضحة.. الجسم متخذر اكثر.. الآن أصبحت الأجفان ثقيلة.. جدا.. وغلبتك الرغبة في النعاس.. أخذت أجفانك بالانطباق.. الآن انطبقت أجفانك... انطبقت تماما وأخذت بالالتصاق.. التصقت أكثر.. ولا يمكنك فتحها إلا حينما أقول لك ذلك.. أن لا تستطيع الآن فتحها لا تستطيع أبدا.. لا تتمكن من فتحها إلا حينما أقول لك ذلك.. أنت الآن نائم نوما مغناطيسيا مريحا.. أنت مرتاح وسعيد.. تعمق في النوم. تعمق

[1] Landis, op. Cit, p.66.

أكثر.. أنك سعيد جداً.. تعمق في النوم.. تعمق)[1]. هكذا ينوم الإنسان تنويما مغناطيسيا بالتلقين والإيحاء والتكرار، فإذا نام استطعت أن توحي إليه بكل شيء أو أن تأمره فيطيعك فيما سوف يعمل بعد يقظته. فما الفرق إذن بين هذا التنويم المغناطيسي وذلك التنويم الاجتماعي؟! أن المنوم المغناطيسي يستطيع أن يجري تجارب مضحكة على النائمين. فهو مثلا يستطيع أن يوحي لهم بأنهم إذا استيقظوا أصبحوا غنما، ثم يوحي لأحد منهم بأنه الراعي وان عليه أن يسوقهم بكل حذر وتؤده. فإذا استيقظ هؤلاء شعروا حقا بأنهم غنم واخذوا يمشون على أربع ويصيحون (باع)، وأخذ الراعي يسوقهم برفق كما أوحى إليه، ولو انه لقن بأن يسوقهم بالقسوة لما قصر في ذلك أبدا.

يقال أن أحد رجال الدين المتزمتين نوم ذات مرة وأوحى أثناء النوم أنه إذا سمع دق الساعة بعد استيقاظه فانه يجب أن يلقى عند ذاك خطبة رنانة في مدح الكفر والزندقة. فلما استيقظ هذا الرجل المتزمت جلس كعادته يتحدث ولكنه لم يكن يسمع دقة الساعة حتى قلم ناهضا واخذ يلقي خطابا حماسيا في مدح الكفر كما أوحى إليه أثناء النوم. وبعد انتهائه من إلقاء كلمته سأله أحد الحاضرين عن علة ما شوهد فيه من تناقض فأخذ صاحبنا المسكين يأتي بالحجج والبراهين القاطعة انه لم يناقض نفسه وانه ما عمل هو الصواب وأنه لم يقصد إلا الخير وربما أيد قوله كعادته ينتف من الحديث وما تيسر من آي القرآن الكريم. لا تسخروا من صاحبنا هذا أيها السيدات والسادة، فكلنا مثله ولكن أسلوب التنويم مختلف. أن تسعة أعشار ما نعمل وما نقول وما نفكر وما نشعر، كما يقول (لاندس)، منذ استيقاظنا في الصباح حتى رجوعنا إلى فراش النوم في المساء يجري طبق ما الينا المجتمع به من قواعد وقيم وآداب وعادات[2]. نقوم بكل ذلك ونحن نعتقد بأننا مخيرون فيما نعمل وإننا أردنا ذلك وقصدنا إليه وفكرنا فيه قبل البدء به إلى آخر ما إلى هنالك من أوهام الواقع إننا نفعل ذلك بناء على ما أوحى به إلينا المنوم الأكبر، أي المجتمع، ثم نأخذ بعدئذ كذلك التدين المسكين نبحث عن المعاذير ومختلف أنواع التبرير والتسويغ، لكي نظهر أمام الناس كأننا لم نناقض أنفسنا. يقول النبي محمد: (الناس نيام إذا ماتوا استيقظوا)[3]. فنحن ما دمنا في هذه الحياة نعيش في مجتمع، فان جل تفكيرنا وأعمالنا جارية على أساس الإيحاء الاجتماعي الذي نتلقفه منذ أيام طفولتنا الأولى فينغرز في أعماق عقولنا الباطنة، ونسير على حسبه من حيث ندري أو لا ندري؛ حتى إذا رأينا عادة تختلف عن عاداتن أو عملا يختلف عما تعودنا عليه أخذنا العجب وشرعنا نسخر ونضحك كأننا وحدنا في هذه الدنيا أبرياء من الغفلة، مع إننا كلنا حقا في غفلة، أو كما قال النبي محمد: كلنا نيام نستيقظ عند الموت. وقد يحلو للبعض أن يقول:متفكها ومن يدري، فلعلنا نغط بعد الموت في نوم آخر!

---

[1] انظر شاكر الخفاجي، *كيف تكون منوما مغناطيسيا ناجحا*، ص 25-27.

[2] Landis, op. Cit, p.66.

[3] الغزالي، *المنقذ من الضلال*، ص: 75.

قلنا آنفا بان النفس مرآة الغير، حيث ينعكس على صفحاتها شعور الجماعة المحيطة بها وليس يعني هذا القول بان هذه المرأة صافية أو مضبوطة، إنما هي في الواقع مرأة تحتوي على كثير من العقد والتشوهات والالتواءات. فقد يكون أحد الأطفال ذا عاهة أو يكون نحيلا واقعا تحت رحمة أقرانه الأطفال ومعرضا لاستهانتهم وإيذائهم فان مرآة نفسه تتكون من آنذاك وفيها عقدة عميقة من الصعب عليه أن يزيلها عند الكبر. فقد تظهر في هذا الطفل مواهب عبقرية تجعله محترما ومشهورا بين الناس في كبره ولكن عقدة النقص التي نشأت في نفسه منذ الطفولة تمنعه من الإحساس بهذه المنزلة الاجتماعيَّة التي نالها إذ هو يظل يستصغر نفسه ويراها موضع الاستهانة والسخرية. كان باستور مثلا فيه عرج قليل ونحول، ولعله كان يشعر منذ طفولته بنقص في نفسه. وبعد اكتشافه للميكروب وانتشار اسمه العالم ظل هو يشعر بنقصه، حتى أنه دخل مرة في محفل كبير عقد للاحتفال به وعندما سمع الهتاف والتصفيق اثر دخوله القاعة تلفت نحو صديق له كان بجانبه متسائلا: لماذا هذا التصفيق؟ أدخل وليّ العهد؟ فقد كان يظن أن التصفيق كان نتيجة دخول ولي العهد. والعجيب أن هناك بعض الناس من إذا سمع بتصفيق لولى العهد ظن أن تصفيق له، والجنون فنون كما تعلمون.

ولقد وجد أن أهم عامل في تكوين الشخصيَّة هي الجماعة الأولية التي ينشأ فيها الطفل لأول عهده بالحياة. وأعني بالجماعة الأولية تلك الجماعة التي تتألف من أفراد العائلة والجيران ورفقاء طفولة وأقران المدرسة. فهذه الجماعة في الغالب تصب شخصيَّة الطفل في قالب يصعب عليها بعد ذلك أن تبدله أو تغيره. فالطفل إذ يفتح عينه للحياة يجد انه قد أعطي منزلة، عالية أو واطئة من قبل أولئك الذين يحيطون به فهم يصدرون عليه حكماً حسناً أو قبيحاً ويظلون يكررون عليه هذا الحكم، بحيث يأخذ الطفل يتصور نفسه طبقاً لما تتصوره الجماعة المحيطة عنه. وعلى هذا تبدأ شخصيَّة الطفل بالنمو تراكماً على هذه النواة المركزية نواة النفس الناشئة.

ولنأت بمثلين محسوسين على ذلك نراهما في كثير من الشخصيات التي تلقاها كل يوم. فهذا طفل قد نشأ في بيت ثراء وشهرة وقد وهب شيئا من صباحة الوجه وحسن القامة مضافا إلى جمال الملابس وحسن الهندام. فتراه إذن محفوفا بالاحترام بين أقرانه وأبناء جيرته علاوة على حب والديه له وتدليلهما إياه. فهو مسموع الكلمة رفيع الصوت كثير الأصدقاء والأعوان، لا يكاد ينازعه أحد حتى يتهافت الناس إلى مساعدته والوقوف إلى جانبه، سواء أكان ظالما أو مظلوما انه ينشأ إذن وهو واثق بنفسه يأتي بالكلام على عواهنه ويعتقد انه أتى بالوحي المبين لأنه تعود أن يجد من الناس قبولا لكل ما يأتي به حقا أو باطلا وشخصيَّة هذا الطفل ستكون في الغالب منبسطة متفائلة صافية الأديم ليس فيها ما يدعوها إلى الكفاح أو الكدح المتواصل. وبعكس هذه الشخصيَّة شخصيَّة ذلك الدميم الكادح الذي ينشأ في بيت فقير فتراه مضطهدا لا يكاد ينطق بكلمة حتى ترى الاحتقار باديا على الوجوه، أنه قد يصبح منطويا يطلب الشهرة من طريق غير طريق الأصدقاء والعشراء. ومن هذا النوع ينبغ النابغون، وكذلك قد يخرج منه المجرمون أو الجبناء أو أصحاب الحقد والتعليم

والبلاهة. وقد يصادف أن يجد هذا الطفل المضطهد نوعين من التقدير في جماعته الأولية. فقد يجد أن أبويه رحمة واحتراما ومن أقرانه استصغارا واحتقارا، ولذا فقد ينشأ في نفسه نزاع عميق يؤدي به أحيانا، إذا كان موهوبا بالذكاء والحكمة، إلى عبقرية تتطاطاً لها الرؤوس.

وجد بعض الباحثين أن المجرمين في بعض البلاد تكثر فيهم دمامة الوجه أو العاهة، فاستنتجوا من ذلك أن المعية الدميم يميل بطبعه إلى الإجرام لأنه على زعمهم، يمثل نكسة بيولوجية نحو الطبيعة الحيوانية الأولى أن هذا الاستنتاج مغلوط من أساسه. فليس هناك مجرم حدث فيه الميل إلى الإجرام طبيعة الإجرام اكتسابي في اغلب الأحيان، وسببه اجتماعي. أن الدميم ليس مجرماً بالطبيعة كما يقول بعض المترفين، إنما هو قد وصفه المجتمع منذ طفولته بالإجرام من اجل دمامته المكروهة، فنشأ مجرماً ؛ أي أن المجتمع كره هذا الطفل الدميم وحكم عليه بالسجن لأقل سبب وعامله بخشونة وظلمه وأذاه فاصبح مضطراً على الجريمة سائراً في سبيلها أراد ذلك أم كره. فلو اقترفت جريمة وكان حضر اقترافها شخصان، أحدهما جميل والآخر دميم، فان الشرطة عادة تكون أميل وأسرع إلى إلقاء القبض على الدميم منها على الجميل ؛ وإذا جيء بالاثنين إلى المحكمة، فان الحاكم عادة يكون أميل إلى إدانة الدميم والإفراج عن الجميل، فإذا أدين الدميم وذهب إلى السجن، تعود هناك أفانين الجريمة حيث يتلقنها من زملائه في السجن وهكذا يتخرج من السجن أستاذاً في الجريمة أو حاملاً لشهادة الدكتوراه فيها ؛ وإذا أراد يتوب لم يتب الناس عنه، فهم يطالبونه عادة بشهادة حسن السلوك في أي عمل شريف يريد أن يعمل به أنه مضطر إذن على أن يكون مجرماً. لقد وسمه المجتمع بطابع الجريمة، فهو لا يتصور نفسه إلا كما يتصوره المجتمع، وتجده لذلك يبحث عن أقران له يماثلونه في المصير؛ فيؤلفون عصابة منظمة تتعاطى الإجرام وتتخذه حرفة لها. وفي جو العصابة هذه يكتشف المجرم نفسه مرة أخرى، إذ هو يخلق فيها من جديد بنفس جديدة لها كرامتها ومنزلتها في مجتمع العصابة الصغير، وذلك بعد أن فقد الكرامة التي بخل المجتمع الكبير بها هكذا يصنع المجتمع بيده قاتليه! أن هذا هو ما يجري فعلاً بين الزنوج في المجتمع الأمريكي، فقد وجد بالإحصاء أن نسبة الإجرام بين الزنوج أعلى كثيراً مما هي بين البيض. أن هذا لا يعني بأن الزنجي ميال بطبعه إلى الجريمة. الواقع أن الزنجي اصبح ميالاً إلى الإجرام لان المجتمع كرهه واحتقره، وأسرع إلى عقابه أو إيداعه في السجن لأقل حادث. فاصبح السجن إذن غير معيب في نظره بعد أن تعود عليه وكثر ترداده فيه انه مسوق إلى الإجرام مدفوع عليه، من أجل لونه الأسود أو انفه الأفطس أو شفاهه الغليظه. وكذلك قل عن الفقير. فلا نكران بأن الفقر نفسه من أكبر العوامل في الإجرام، ولكن ضعف الفقير إزاء الغني، وقلة ناصريه في دوائر الحكومة، عامل آخر يؤدي به إلى السجن سراعاً ويسمه بطابع الجريمة. فلا يكاد الفقير يقترف جنحة بسيطة حتى ترى الحكومة قائمة قاعدة، وقد اخذ منها الحماس لحفظ الأمن مأخذاً عظيما؛ بينما هي تتغاضى، وتتمطى، إذا اقترف الغني جريمة شنعاء، وقد يذهب الغني إلى بيته مبرء ناصع الجبين، بينما يودع

الفقير ظلمات السجون. يقول الغني بأن الفقير اصبح فقيراً لأنه شرير، وما درى انه اصبح شريراً لأنه فقير.

سيداتي سادتي، وعلى أي حال يمكن الاستنتاج بشيء من اليقين بأن النفس البشرية، وما يتكون حولها من شخصيَّة هي صنيعة الجماعة أو صورة منعكسة عنها. وهنا قد يسأل سائل فيقول: إذا كانت النفس صنيعة الجماعة، فما المانع إذن أن يكون للإنسان عدة نفوس على عدد الجماعات التي ينتمي إليها؟ أن هذا السؤال يؤدي بنا، والحق يقال، إلى موضوع في غاية الأهمية. يقول ويليام جيمس بأن الإنسان عادة له عدة نفوس لا نفس واحدة[1]. فأنت حينما تلاقي جماعة ما اتخذت إزاءها نفساً تختلف عن النفس تتخذها إزاء جماعة أخرى. ومن المضحك حقاً أن نجد الإنسان حينما يخلع عن جسمه بدلة من الملابس ليلبس بدلة أخرى مكانها، سيما إذا أراد الحضور في حفل أو جماعة معينة، تراه قد تقمص مع البدلة الجديدة نفساً أخرى جديدة. فهو إذا حضر الحفل تراه يتحرك ويتفوه على نمط يختلف عن النمط الذي كان عليه قبل سويعة في جماعة أخرى. فهو تراه الآن مثلا جادا وقورا وطنيا، مقاطعا لكل ما هو ضار بالوطن، ثائراً على كل من يستهين بحقوق البلاد، بينما قد كان قبل سويعة شخصاً غير هذا الذي نراه الآن هازلاً مستخفاً يضحك على الوطن ومن فيه. وكثيراً ما نرى من بين اصدقائنا من يتغير تماماً في جميع حركاته وسكناته حالماً يشاهد امرأة أو زمرة من النساء على مقربة منه. ونستطيع القول انه يتغير آنذاك حتى في منطقه وأسلوب تفكيره فهو ربما كان عدو المرأة إذا كان بعيداً عنها ولكنه يصبح على مقربة منها من أكبر المدافعين عنها والداعين إلى إعطاء حقوقها كاملة غير منقوصة. وكثيراً ما نرى الناس يناقضون أنفسهم ولا يشعرون بذلك، فإذا تحرينا السبب وجدنا أنهم قد يقولون قولاً أثناء تقمصهم لنفس معينة من نفوسهم العديدة، فإذا تحولوا إلى نفس أخرى تراهم قد اندفعوا إلى القول بما يناقض قولهم الأول وهم لا يشعرون. إن كلاً منا يشعر بلا ريب بما يرى في نفسه وطريقة تفكيره من تحول كبير: يحدث حالما ينتقل صباحاً من بيته إلى دائرة عمله، وينتقل مساء من بيته إلى النادي أو المقهى. فهو في بيته غيره هـ في الدائرة وهو غيره في المقهى، يسير على هذا اعتياداً غير مدرك لما يطرأ عليه من تناقض قد يضحك الثكلى. والإنسان عادة لا يستغرب من نفسه هذا التحول والتناقض، ولكنه يستغرب كل الاستغراب إذا لاحظ شيئا من ذلك في غيره. فهو قد يستغرب إذا سمع مثلاً بان موسوليني ذلك الدكتاتور الذي كان يسير إيطاليا بيد من نار وحديد، كان يسيره في البيت أصغر أولاده بيد من طين وعجين! وكذلك يندهش الإنسان إذا سمع بان جباراً من جبابرة التاريخ كان في البيت آلة طيعة بيد زوجته تلعب به كما تشاء كالطفل. الإنسان إذن ليس كما كان المفكرون القدماء يتصورنه من حيث كونه حيواناً عاقلاً يسير على ضوء ما يميله عليه المنطق، وما يؤدي به التفكير المستقيم.

[1] W. James, *Psychology*, p.179.

يقول ملز، أستاذ علم الاجتماع في جامعة كولومبيا، بان التفكير ما هو إلا حديث صامت بين الإنسان وشخص آخر يتخيله أمامه. وهذا الشخص الذي يتحدث الإنسان إليه في تفكيره قد يمثل الجماعة التي ينتمي الإنسان إليها، أو بعبارة أخرى يمثل النفس التي يتقمصها الإنسان أثناء التفكير فأنت لا تستطيع أن تكتب أو تخطب أو تتخيل شخصاً حقيقياً أو وهمياً واقفاً أمامك يستحسن ما تفكر به أو يستقبحه. فأنت إذن تقول عن بعض الأفكار التي ترد في خاطرك إنها حسنة أو معقولة، وتقول عن أخرى إنها غير حسنة أو غير معقولة؛ ودليلك في كل هذا هو ذلك الرقيب الذي يمثل الجماعة أو هو بالأحرى نفسك التي تصور شعور الجماعة. ولهذا يمكننا أن نستنتج بأن المنطق البشري ليس مطلقاً ولا عاماً فهو منطق نسبي، وكل جماعة لها منطقها الذي تعودت عليه، وأنت إذن تفكر حسب ذلك المنطق الذي اصطلحت عليه جماعتك التي تنتمي إليها. وعلى هذا فان التناقض في تفكير الإنسان كتعدد النفس أمر لا يمكن نكرانه أو لعله أمر لا محيص عنه في كثير من الأحيان. أن معايير التفكير وقوانينه، في الواقع، تؤخذ من مصطلحات المجتمع وتبنى على أساس قيمه وتقاليده. ومن الصعب جداً أن تقنع امرأ على رأي يخالف ما تعود عليه من مصطلحات اجتماعيَّة. انظر مثلاً إلى رجل قد نشأ بين جماعة محافظة تؤمن بالحجاب الشديد وتعتبره دليلاً على عفة المرأة وعلى شرفها. فهذا الرجل قد ارتبط في عقله مفهوم الحجاب بمفهوم الشرف، وتركزت في أعماق نفسه قاعدة منطقية لا تقبل الشك مؤداها أن المرأة التي لا تتشدد حجابها لا عفة لها ولا شرف في عائلتها. ومهما حاولت أن تقنع هذا الرجل بأنه لا صلة منطقية هنالك بين العفة والحجاب أنكر ذلك واتهمك بالمكابرة وجمود التفكير أو ضعف الخلق. انه يقيس الأمور ويميز بين المعقول وغير المعقول على أساس القواعد التي تلقنها في مجتمعه، ولن يستطيع الجدل المنطقي الذي تأتي به أن يقنع هذا الرجل بخلاف ما تعود عليه. ولعله قد يوافق على رأيك تأدباً أو خوفاً ولكنه يظل باقياً على رأيه القديم لا يحيد عنه حتى تتغير تلك القواعد الكامنة في أعماق نفسه. وهذا أمر لا يتم إلا إذا اتصل هذا الرجل بجماعة أخرى واتخذ له نفساً جديدة تعكس شعورها وتترنم بأغنيتها.

إن العقل البشري، أيها السادة كآلة الراديو، فأنت لا تستطيع أن تستمع إلى محطة من المحطات إلا إذا أدرت مفتاح الراديو نحو موجة تلك المحطة وإدارة المفتاح كما تعلمون ما هو إلا تقصير وتطويل للسلك الخاص المستلم للأمواج لكي يكون مساوياً بسعته اللاسلكية لسلك المحطة المرسلة على هذا المنوال تماماً يعمل العقل البشري، فهو لا يصغي إلى جدل أو يفهمه أو يقع به إلا إذا كان الجدل مستنداً على نفس القواعد المنطقية المتغلغلة في أعماق نفسه. فرجال الدين كثيرا ما تراهم يتجادلون إذ يريد كل ذي فرقة منهم أن يقنع الآخرين بأن فرقته وحدها هي الناجية من بين الفرق الأخرى مضت على هذا آلاف السنين من غير جدوى انهم لا يعلمون بان ما هو حسن في نظر فرقة من الفرق قد لا يكون حسناً في نظر الفرقة الأخرى، وان كل جماعة لها أسلوب في التفكير قد لا يستسيغ البراهين التي تأتي بها جماعة أخرى. وكثيراً ما يحارب الناس بعضهم بعضاً، ويعتدي

بعضهم على بعض، وهم مرتاحو الضمير كأن ما قاموا به من ظلم تجاه غيرهم ليس إلا جهاداً في سبيل الله أو تأييدا لجانب الحق، كما يدعون. وكثيراً ما نرى شخصاً شديد الأذى لغيره، سفاكاً معتدياً على الناس من غير أن يشعر بشيء من وخز الضمير في كثير الأحيان؛ بينما هو، في أحيان أخرى، يشعر بالألم الممض ويتقلب على فراشه إذا سمع توجع كلب اوانين مريض. فالضمير بهذا المعنى، كالعقل من حيث انه صنيعة المجتمع ونتاج إيحاءه. فالرجل الطيب الرؤوف في جماعته قد يكون من اشد الناس ظلماً واعتداء ضد جماعة أخرى.

سيداتي سادتي، بهذا ننتهي من بحث الشخصيَّة البشرية بوجه عام ومنه نستخلص بأن شخصيَّة الإنسان، بما فيها من نفس وعقل وضمير وعين وغير ذلك، ليست في الغالب الا صنيعة من صنائع المجتمع الذي تنشأ فيه. ومن الممكن القول بان الشخصيَّة صورة مصغرة للمجتمع، أو كما قال دوسن و كينز، ممثلة للحضارة التي تنشأ فيها[1]. ولهذا السبب نجد الأفراد الذين ينشأون في مجتمع معين يتشابهون في بعض الخصائص التي تميزهم عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى. وإننا رغم ما نلاحظ بين أفراد المجتمع الواحد من تباين وتفاوت نراهم مشتركين في صفة عامة تجعلهم يختلفون عن غيرهم بفوارق شخصيَّة واضحة. فطن إلى ذلك المفكرون منذ قديم الزمان[2]، ولا تزال الأبحاث مستمرة حتى الآن في سبيل اكتشاف ما يميز الانكليزي مثلا عن الفرنسي، والألماني عن الإيطالي، والمكسيكي عن الأمريكي... الخ ولست أعني بهذا أن الفرد يأخذ كل مميزاته الشخصيَّة من المجتمع التي يعيش فيه، فهناك أعماق كل شخصيَّة جزء دفين لا يمكن أن يخضع لقواعد المجتمع أو يستجيب لإيحائه أن هذا الجزء هو السبب الذي جعل كل فرد من الأفراد يختلف عن غيره في تكوين شخصيته رغم منشأه في نفس المجتمع الذي ينشأ فيه غيره. وهذا هو ما أدى ببعض الباحثين أمثال البورت وسترن، إلى أن يطلقوا على الشخصيَّة سمة الخصومية (Peculiarity) أو الصفة التي لا يشترك بها معها أحد[3]. يقول (ميد)، أستاذ الفلسفة في جامعة شيكاغو سابقا، أن في كل إنسان نفسين تصطرعان، وهو يطلق عليها لفظتي me (إياي) و I (أنا)؛ أو بعابرة أخرى النفس الاجتماعيَّة و النفس الطبيعية[4]. وعلى هذا يمكن القول بان كل إنسان يرغب من ناحية، أن يخضع

---

[1] Dawson & Gettiys, *Introduction to Sociology*, p16.

[2] عدد الجاحظ مزايا كل أمة في عصره فقال: ميزة أهل الصين الصناعة واليونان يعرفون العلل ولا يباشرون العمل، وميزتهم الحكم الآداب والعرب... وجهوا قواهم إلى قول الشعر، وبلاغة المنطق، وتشقيق اللغة، وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر، وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم، والاستدلال بالإثارة وتعرف الأنوار، والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب، والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس، وإحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا في ذلك الغاية. وميزة آل ساسان في الملك والسياسة والأتراك: في الحروب.... والزنوج اطبع الخلق على الرقص والضرب بالطبل... واشتهر الهنود بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب... (انظر أحمد أمين، *ضحى الإسلام*، ج 1 ص 6-7).

[3] K. Young, *Personality*, p.291.

[4] Mead, *Mind, Self & Society*, p. 173.

لقواعد المجتمع ؛ ويرغب، من ناحية أخرى، أن يثور عليها. فالإنسان إذن ليس اجتماعياً بالطبع كما قال ارسطو. إنما هو في الواقع اجتماعي وغير اجتماعي في آن واحد انه يملك في شخصيته عنصر الخضوع وعنصر الثورة معاً. فهو يخضع لقواعد مجتمعة بإحدى نفسيَّة، ويتمرد عليها بالنفس الأخرى[1].

ونحن إذ نتحول الآن نحو دراسة شخصيَّة الفرد العراقي ونحاول أن نعين خصائصها ومزاياها، لا نعني أن كل فرد في العراق متصف حتماً بتلك الخصائص العامة. فكثير من الأفراد يميلون إلى التمرد على ما تعودوا عليه في مجتمعهم من قواعد ومألوفات. وطالما وجدنا أناسا ينشأون على نقيض ما ينشأ عليه أكثرية المواطنين لهم. أن ما نحاول أن ندرس الآن هو ما في المجتمع العراقي من خصائص تجعله ينتج نمطاً خاصاً من الشخصيَّة في كثير من أعضائه. وإننا سوف لا نعير أهمية كبيرة، إذن، لما يظهر هنا وهناك من الشذوذ في بعض الأفراد الذين يحاولون أن يتساوموا أو يتنزلوا عما عليه أكثرية الناس المحيطين بهم.

شخصيَّة الفرد العراقي

سيداتي سادتي، أن المجتمع العراقي له، كأي مجتمع آخر، بعض الخصائص التي تميزه عن غيره والتي تؤثر بدورها في تكوين شخصيَّة الأفراد المنتمين إليه. واكبر صعوبة واجهتني في أعداد هذا البحث هي اكتشاف هاتيك الخصائص الاجتماعيَّة وكيفية تأثيرها على تكوين الشخصيَّة العراقيَّة. أجل لقد وصلت بعد دراسة مضنية إلى بعض النتائج، ولكني اعترف، مع ذلك، بأني لست مطمئنا كل الاطمئنان من صحة هذه النتائج. وجل ما اتمناه أن تكون هذه الكلمة حافزا لغيري من الباحثين العراقيين في أن يستمروا في متابعة هذا البحث عساهم يتوصلون إلى نتائج حاسمة فيه وبذلك يمكن كشف النقاب عن سر من أسرار مجتمعنا الذي ننوء اليوم بعبته ومشاكله العديدة.

إننا في هذه المرحلة العصيبة التي نمر بها اليوم ينبغي علينا أن نفهم نفسيَّة الشعب العراقي وكيف تنشأ شخصيَّة الفرد فيه وذلك لكي نعرف كيف نسوسه أولا كيف نسير به قدما في مجالات الحياة الجديدة. ثانيا: وأني في الحقيقة لا أرى من النافع لبلدنا أن نغض الطرف عن عيوبنا أو نحاول التبجح دائما بما فينا من محاسن فكل أمة لها عيوبها وليس هناك فرد أو أمة وصلت درجة الكمال في كل شيء والاجدر بنا في هذا الطور الحرج من أطوار تاريخنا أن نركز انتباهنا على عيوننا وأدوائنا لكي نستطيع إصلاحها بدلا من الانشغال بذكر حسناتنا حيث لا ننتفع من ذلك غير الغرور المذموم.

لقد لاحظت بعد دراسة طويلة بأن شخصيَّة الفرد العراقي فيها شيء من الازدواج، وأني وأن كنت غير واثق، كما قلت آنفا من نتيجة هذه الدراسة، ولكني أجد كثيراً من القرائن تؤيدني فيما اذهب إليه. وقد يندهش بعضكم من هذا القول حيث انه لا يحس عيانا بهذا الازدواج الذي أعزه

[1] K. Young, *Social Psychology*,. p.136.

إليه. والواقع أن كثيراً منا فيه هذا الازدواج الشخصي قليلاً أو كثيراً، ولكننا نشأنا فيه، وتعودنا عليه بحيث أصبح مألوفاً لدينا، وهو يبدوا لنا كأنه طبيعي لا شية فيه. وأني لا أنكر بأن ازدواج الشخصيَّة ظاهرة عامة توجد بشكل مخفف في كل إنسان حيث وجد الإنسان؛ ولكني أؤكد لكم بأن الازدواج فينا مركز ومتغلغل في أعماق نفوسنا أن العراقي، سامحه الله اكثر من غيره هياماً بالمثل العليا ودعوة إليها في خطاباته وكتاباته ولكنه في نفس الوقت من أكثر الناس انحرافاً عن هذه المثل في واقع حياته.

زارنا من أحد الأقطار العربية كاتب، ذات يوم، وكان الوقت رمضان فعجب من شدة تمسكنا بمظاهر الصوم من ناحية ومن كثرة المفطرين بيننا من ناحية أخرى. وربما لا نغالي إذا قلنا بأن المسلم العراقي من أشد الناس غضباً على من يفطر علناً وهو من أكثرهم إفطارا!... وكذلك يمكن القول بأن الفرد العراقي من أكثر الناس حباً للوطن وتحمساً لخدمة العلم، بينما هو في الواقع مستعد للتملص من خدمة العلم إذا أن الأوان[1]. انه اقل الناس تمسكاً بالدين وأكثرهم انغماساً بين المذاهب الدينية. فتراه ملحداً من ناحية وطائفياً من ناحية أخرى. وقد يلتهب العراقي حماسة إذا انتقد غيره فيما يخص المبادئ السامية أو رعاية العدل والعفو والرحمة، ولكننا نراه من أسرع الناس إلى الاعتداء على غيره، ضرباً ولكماً، حالما يرى الظروف مناسبة. انه بهذا ليس منافقاً أو مرائياً كما يحب البعض أن يسميه بذلك. بل هو في الواقع ذو شخصيتين، وهو إذ يعمل بإحدى شخصيتيه، ينسى ما فعل آنفا بالشخصيَّة الأخرى. فهو، إذ يدعو إلى المثل العليا أو المبادئ السامية، مخلص فيما يقول، جاد فيما يدعى. أما إذا بدر منه بعدئذ عكس ذلك، فمرده إلى ظهور نفس أخرى فيه لا تدري ماذا قالت النفس الأولى وماذا فعلت انه قد يدعو، مثلاً، إلى مقاطعة البضائع الصهيونية، في مجالس الوقار ومحافل التحذلق؛ ولكنه إذا دخل إلى السوق، يريد شراء بضاعة من البضائع، تراه قد نسى ما قال، واندفع مشترياً أي بضاعة تقع في يديه وعليها سمة الجودة والرخص، متغاضياً عن السؤال فيما إذا كانت صهيونية أم غير صهيونية. حدث مرة أن

[1] لقد أدهشني حقاً ما وجد في الولايات المتحدة من حرص ورغبة بين الشبان على التطوع في الجيش أثناء الحرب، هذا مع العلم أن كل أمريكي له الحق قانوناً أن يرفض التجنيد من غير ضير عليه أو حراجة. وطيلة مكوثي في الولايات المتحدة لم اسمع أحداً يتفوه بدعوى حب الوطن أو وجوب التضحية في سبيله انهم ينسون الوطن في أقوالهم. ويخدمونه في أعمالهم. أما في العراق، فلعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن كلا منا له شخصيتان: شخصيَّة يتحدث بها أحاديثه العريضة ودعاويه الطويلة، وشخصيَّة أخرى يسلك بها حسب ما يمليه الواقع عليه ناسياً هاتيك الأحاديث والدعاوي. يقول بعض المحللين النفسانيين: أن الذي يؤكد على شيء في قوله غالباً ما يكون ضعيف الثقة به في حقيقة أمره، فالأناني يتحدث عن الغيرية، وقليل المال يتحدث عن ماله في كل مناسبة، والشاعر بالنقص قد يتكبر، والحسود قد يترنم بطيبة القلب وينتقد غيره على حسده أن كبت بعض الدوافع النفسيَّة والتظاهر بعكسها يؤدي أحياناً إلى ازدواج الشخصيَّة فالعقل الباطن إذا احتبست فيه شهوات ورغبات يحملنا المجتمع على إنكارها، تطغى بنا أحياناً فننسى شخصيتنا المعتادة ونبرز في شخصيَّة أخرى للتنفيس (انظر سلامة موسى، *عقلي وعقلك*، ص 57).

أقيمت حفلة كبرى في بغداد للدعوة إلى مقاطعة البضاعة الأجنبية؛ وقد خطب فيها الخطباء خطباً رنانة وأنشد الشعراء قصائد عامرة. وقد لوحظ آنذاك أن اغلب الخطباء والشعراء كانوا يلبسون أقمشة أجنبية، والعياذ بالله! وهكذا نستطيع أن نأتي بأمثلة عديدة تؤيد ما قلناه عن ازدواج شخصيَّة الفرد العراقي. وللبحث في أسباب هذا الازدواج يجدر أن نوجه انتباهنا في هذا الموضوع إلى نواح ثلاث: (1) الناحية الحضاريَّة (2) الناحية الاجتماعيَّة (3) الناحية النفسيَّة.

1 الناحية الحضاريَّة

ولنبدأ أولاً بالناحية الحضاريَّة. أن من غرائب الصدف حقاً أن نجد العراق وقعاً اكثر من أي بلد آخر تقريباً على هامش البداوة والمدنية معاً. فهو قد كان مهداً لمدنية تعتبر اليوم من أقدم المدنيات البشرية؛ وقد قيل في المأثورات الدينية ان ادم عليه السلام كان مسكنه جنوب العراق[1]. هذا من ناحية ثم نجد الناحية الأخرى انه واقع على حافة صحراء تعج بالبدو وتمد الأقطار المجاورة بأمواج متوالية منهم حيناً بعد حين. أن هناك والحق يقال صحاري عديدة منتشرة في نواحي الأرض، ولكن هذه الصحراء المتاخمة للعراق تميزت بصفة خاصة، هي صفة الجفاف المتزايد على مدى القرون. فقد كانت هذه الصحراء في العصور القديمة كثيرة الماء وافرة الخير، ولذا كثر سكانها آنذاك ولكن العوامل الجيولوجية بعد انسحاب العصر الجليدي الرابع أدت إلى أن يقل المطر في هذه الصحراء تدريجياً[2]، مما اضطر ساكنيها على الهجرة إلى البلاد المجاورة. وقد تلقى العراق من هذه الموجات البدوية أكبر نصيب، إذا خصب ممرع في مدينة زراعية جذابة وليس فيها ماء يمنع البدو من النفوذ إليه من جبل أو بحر أو غير ذلك[3]. ومن المحتمل جداً بأن العراق كان مهداً لأول دولة في التاريخ؛ فمنشأ الدولة بصورة عامة، كما يقول اوبنهايمر، هو هجوم البدو على سكان القرى وسيطرتهم عليها ولذا يمكن القول بان العراق كان من أوائل الأقطار في العالم التي نشأت فيها طبقتان طبقة حاكمة وطبقة محكومة، أو بعابرة أخرى: غالبة ومغلوبة.

---

[1] أن كثيراً من المأثورات الدينية اصبح لها قيمة علمية في الأبحاث الاجتماعيَّة؛ ونحن هنا لا يهمنا من قصة آدم كونه خلق من طين أو أن الملائكة صلت عليه إلا إبليس أبى واستكبر؛ فهذه أمور قد نعود لبحثها في فرصة أخرى؛ إنما الذي يهمنا الآن هو ما ذكرت المأثورات الدينية عن آدم من انه علم الناس الزراعة أو أن صنعته كانت الزراعة، فقد روى عن النبي محمد افضل الكسب الزراعة، فإنها صنعة أبيكم (آدم) (عبد القادر المغربي، *الأخلاق والواجبات*، ص84). وفي هذا إشارة لا تخفى على أن الزراعة بدأت في العراق وكذلك بدأت به المدينة على اعتبار أن قيام المدنية كان مرادفاً لقيام الزراعة. ومن الممكن القول أيضا بان آدم لم يكن أبا البشر جميعاً بأنواعهم العديدة، فهناك أنواع من البشر سبقوا آدم، كما أشار ابن خلدون في تاريخه أن آدم بالأحرى، هو أبو البشر المتمدنين الذين امتهنوا الزراعة؛ وهو حسب المأثورات الدينية، قد كان ساكناً في جنوب العراق حيث بزغت أنوار المدينة الأولى في فجر التاريخ.

[2] Jamali, *The New Iraq*, p.17.

[3] H. G. Wells, *Outline of History*, p.162-164.

أن هذه الحقيقة الحضاريَّة تؤدي بنا إلى نتيجة عظيمة الاهمية؛ حيث نجد في العراق، منذ بدء المدينة الأولى، طبقتين أو حضارتين تتصارعان: حضارة بدوية محاربة من ناحية وحضارة زراعية خاضعة من ناحية أخرى. فنشأ في العراق بناءً على ذلك، نظامان للقيم: نظام يؤمن بالقوة والبسالة وتسود فيها قيم الاباء والشجاعة والكبرياء وما إلى ذلك من صفات المحارب الفاتح؛ وبجانبه نظام آخر يؤمن بالكدح والصبر ويمارس أداء الضريبة والخضوع والتباكي. أن هذا الصراع الحضاري، أو ما يسمى في علم الانثربولوجي (Clash of Cultures)، قد أثر في شخصيَّة الفرد العراقي تأثيراً بليغاً. فالفرد العراقي اصبح مضطراً أن يقتبس نوعين من القيم الاجتماعيَّة، أو يقلد طبقتين من الناس طبقة البدوي الغالب وطبقة الفلاح المغلوب فهو تارة يؤمن بالغلبة ويتباهى بها أو يحاول أن يظهر قوته على غيره، وهو تارة أخرى يئن من سوء حظه ويشتكي من ظلم الناس له. ففي بعض الأحيان تراه يقتل شاربه ويرفع عقيرته قائلاً: (أنا أبو جاسم، والمصطفى لأسقط سبع دول). وتراه في أحيان أخرى يغني مكتئباً: (شيفيد السعي لو نام البخت والحظ... أنا من أقولن آه وأتذكر أيامي... ظلام ما عندكم رحم، ياللي ظلمتوني وين المروة، كلبي تجوه...).

استمعوا إلى أغانينا تروها تعج بالشكوى والتألم. ومما يحكي في هذا الصدد أن أحد الطلاب العراقيين الذين يدرسون في أمريكا ذهب مرة لزيارة صديق له عراقي أيضاً؛ فلم يجده في البيت، فجلس مع أم البيت يتحدث عنه، فقالت السيدة تصف العراقي الساكن في بيتها بأنه فتى طيب ولكنه لا يكاد يدخل الحمام حتى يشرع بالبكاء. يقول صاحبنا فعجبت من هذا القول وبقيت انتظر صديقي حتى أتى، فسألته عن سبب بكائه في الحمام فقال: لا.. لم ابك في الحمام، إنما كنت اغني بوذية عراقيَّة فقط لا غير. وفي الواقع أن أغانينا كلها بكاء ونحيب. فالعراقي يبكي في أغانيه ويشتم في حديثه هو يتألم إذا غنا، ولكنه لا يكاد يلمح ظروفاً مساعدة حتى يهجم معتدياً أو يشتم مغاضباً. ولعلنا لا نخطأ إذا قلنا أن العراقي يكون خاضعاً (مازوكيا) عند مواجهة ما هو أقوى منه. بينما يكون هو غضوبا (ساديا) إذا واجه ضعيفا.

أعود فأقول أن هذه ظاهرة موجود في كل نفس بشرية، ولكنها النفس العراقيَّة أقوى وأوضح لان قيم البداوة والزراعة قد ازدوجتا في العراق منذ أقدم العصور ولا تزال تصطرع في أنفسنا حتى اليوم[1]. هذا ولقد ازداد هذا الازدواج وتأسس تأسيساً اجتماعياً في العهد العباسي عندما أصبحت بغداد عاصمة الإمبراطورية الإسلامية. فلقد نشأت في العراق آنذاك اغلب العلوم الإسلامية وترجم المنطق اليوناني. ولو رجعنا نحو أولئك المفكرين الذين ساهموا في هذه الحركة العلمية الجبارة لوجدنا جلهم من أبناء الطبقة المغلوبة، إذ كانوا حضراً في الغالب ولم يكن فيهم من أبناء البداوة إلا

[1] أن من دلائل هذا الاصطراع بين قيم البداوة والمدنية في العراق هو ما نشاهده من ازدواج في القانون، فليس هناك في الدنيا مجتمع حديث يسيطر فيه قانونان قانون عشائري وقانون مدني والعراقي مترنح بين هذين القانونين لا يدري أين يتوجه انه يرقص رقصة عشائرية ويغني أغاني مدنية، وخلاصة الأمر: نشاز!

قليلاً. ومعنى ذلك أن تفكيرنا قد اصطبغ منذ ذلك الحين بصبغة المثالية الزاهدة الخاضعة. أما أعمالنا فبقيت تحت تأثير القيم البدوية لأنها كانت القيم السائدة فعلاً في الطبقات العليا. وبهذا أصبحنا نعيش في عالمين متناقضين عالم الفكر المثالي من ناحية وعالم الفعل الواقعي من ناحية أخرى. فأصبح أحدنا يجادل على أساس المنطق الأرسطاطاليس والمثالية الدينية بينما هو في الواقع من أبناء هذه الدنيا غضوباً حقوداً.

ومن العجيب حقا أن نرى بين مثقفينا ورجال الدين فينا من يكون ازدواج الشخصيَّة فيه واضح: فهو تارة يحدثك عن المثل العليا وينتقد من يخالفها، وتارة يعتدي أو يهدد بالاعتداء لأي سبب يحفز إلى الغضب تافه أو جليل، ضاربا عرض الحائط بتلك المثل التي تحمس في سبيلها قبل ساعة. ومن غرائب الصدف أن المجتمع العراقي كان في صدر الإسلام موطنا لعدد كبير من أقطاب التفكير الديني وأعلام المنطق والفلسفة ففيه عاش كثير من صحابة الرسول[1]، وفيه نشأت فرقة المعتزلة وفيه ظهر كثير من أقطاب التصوف وائمة الإسلام. فهؤلاء الإعلام الأخيار طبعوا التفكير العراقي بالنمط المثالي وجعلوا الشعائر السائدة في العراق تنشد احترام الواجب وتمج الأخلاق الفاضلة. ولذا اصبح الفرد العراقي متعودا أن يخطب ويكتب في حدود ما يستوجبه الدين أو يقتضيه المنطق من أفكار سامية وبراهين دامغة؛ ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يغير من طراز حياته اليومية شيئا، ولذلك صار مقتمصا شخصيتين أو ذاتين مختلفين ذاتا يفكر بها وذاتا أخرى يعمل بها. وما أبعد ما بين هاتين الذاتين!

أيها السادة لقد اشتهر العراقيون في صدر الإسلام بأنهم أهل شقاق ونفاق وقد حاول بعض المفكرين القدماء، كالجاحظ مثلا[2]، أن يضروا هذه الظاهرة الاجتماعيَّة في العراق: أي لماذا كان العراقيون أهل شقاق ونفاق؟ ولماذا كانوا يشجعون بعض الزعماء على الثورة ثم يتخلون عنهم ساعة الضيق؟ حاول المفكرون القدماء أن يفسروا هذه الظاهرة فلم يفلحوا، ونحن اليوم إذ نحاول تفسيرها على ضوء علم الاجتماع الحديث نجدها واضحة لا تحتاج إلى تفسير عسير. فالعراقي في حياته الواقعية لا يختلف عن غيره من الناس إذ هو منجرف في تيار الحياة يطلب الشهرة ويبغى الشهرة ويرجو الضمان. لا فرق في ذلك بينه وبين غيره من الناس. الفرق موجود في تفكيره المثالي فقط، فهو يفكر بمبادئ لا يستطيع تطبقها ويدعو إلى أهداف لا يقدر على الوصول إليها، ولذا تجده يقول للزعماء انهضوا فأني معكم، ثم إذا نهضوا وجد في نهضتهم مخافة فقبع في بيته يشكو من تصاريف الزمان. ومن هذا قيل أن حماسة العراقيين كنار الحلفاء لا تكاد تلتهب حتى تخمد؛

---

[1] انظر حسين البراقي، *تاريخ الكوفة*، ص 384 - 398.

[2] يقول الجاحظ في هذا الصدد أن العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء هي إنهم أهل نظر وذووا فطن ثاقبة، ومع النظر والفطنة يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء واظهار عيوب الأمراء... وما زال العراق موصوفا بقلة الطاعة وبالشقاق على أولى الرئاسة (الجاحظ، *البيان والتبيين*، ج2، ص94).

تلتهب مع المثال وتخمد مع الواقع. ولعلنا غير مخطئين إذا قلنا بأن هذه النزعة (الحلفائية) تنتشأ في كل مجتمع ديني تسيطر فيه مبادئ الدين وتبث منه تعاليمه. ومن الملاحظ أن كل مدينة يكثر فيها رجال الدين ينتشر فيها ايضا ازدواج الشخصيَّة على درجة كبيرة. ذلك لان الإنسان في هذا المجتمع مضطر أن يكون دينياً في ناحية من حياته ودنيوياً في ناحية أخرى. ورجل الدين عادة يحترف بث التعليم الدينية، فهو يبثها قولاً ويقبض على ذلك أجراً؛ ولكن هذا الأجر يدفعه في الغالب أناس بعيدون عن تعاليم الدين في أعمالهم. ورجل الدين يضطر إذن أن يجاري هؤلاء فعلاً ويناقضهم قولاً، وكثيراً ما يقع في مأزق حرجة للغاية نتيجة هذا التناقض. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو درسنا المجتمع العراقي في العهد العثماني الذي ناء بعبئه أهل العراق عدة قرون لوجدنا من صور التصادم الحضاري ونزاع شيئاً عجباً. فقد كانت الحكومة المركزية آنذاك ضعيفة كل الضعف سيما في العهد الأخير منه، فهي كانت لا تستطيع أن تحمي مظلوماً أو تردع ظالماً، وكان دأبها جباية الضرائب وانماءها على حساب الضعيف والمسكين. وقد أدت هذه الحالة إلى انتشار الأساليب العشائرية في سبيل حماية الأرواح وضبط الأمن. ومما يؤثر عن ذلك العهد المتأخر أن كثيراً من المدن العراقيَّة حاولت أن تنظم نفسها على أساس عشائري فتنتخب شيوخاً لها وتطالب بالثأر وما إلى ذلك من أساليب عشائرية. وقد دعى هذا الوضع إلى انتشار القيم البدوية في المجتمع العراقي بشكل فضيع فأصبح الفرد العراقي شديد التمجيد للقوة كثير التباهي بها متعصبا لمدينته أو محلته كما يتعصب البدوي لقبيلته في الصحراء. ويقال أن كثيرا من رؤساء المدن كانوا يحاولون أن يكونوا لصوصاً يسطون على الدور ليلا أو قتلة سفاكين ذلك لكي يقال عنهم (أنهم رجال ليل) فيجلبوا لأنفسهم بذلك المكانة اللائقة في المجتمع وأني اعرف شخصيا رئيسا من رؤساء العهد القديم كان غنيا وافر الغني ومع ذلك كان يتنكر ليلا فيذهب إلى السطو وأعمال البطولة الليلية، وبدا كأن الناس يحترمونه ويخافونه. وعلى كل حال فان انتشار هذه القيم البدوية في المجتمع العراقي قد أضاف إلى ازدواج الشخصيَّة عنصرا جديدا. فان هذا البطل الذي يسطو على الدور ليلا كان مضطرا أن يستجيب للمثل الدينية في النهار. وقد تراه نهارا يلبس الوقار والفضيلة ويذهب إلى المسجد متعبدا راجيا من الله أن يدخله الجنة، ناسيا أعماله الليلية وما جنته يداه فيها، كأن ما يعمل في الليل لا دخل له بأعمال النهار.

2 الناحية الاجتماعيَّة

سيداتي سادتي: بعد هذا التحليل الحضاري الذي تابعناه في التأريخ متسلسلا منذ أيام السومريين فالعباسيين فالعثمانيين، نتحول نحو التحليل الاجتماعي؛ وهنا أيضا نجد عاملا آخر يؤدي إلى الازدواج في شخصيَّة الفرد العراقي. قلنا أن أهم عامل في تكوين الشخصيَّة البشرية بصورة عامة هو ما يسميه علماء الاجتماع بالجماعة الأولية؛ وهي في الحقيقة البودقة التي تنصهر فيها شخصيَّة الفرد وتصب في قوالبها النهائية. ولنأت الآن إلى فحص هذه الجماعة الأولية كما نراها في العراق وندرس أثرها في تكوين الشخصيَّة العراقيَّة. أني بعد دراسة طويلة للجماعة الأولية في العراق لاحظت

فيها ظاهرة غريبة قلما نرى مثلاً لها في البلاد الأخرى. وهي ظاهرة لا نفطن نحن لوجودها عادة لأننا قد تعودنا عليها واعتبرناها طبيعية، أما الأجنبي فقد يلمح آثارها بوضوح. وقد يلاحظ الباحث في العائلة العراقيَّة ظاهرة يمكن أن نطلق عليها بظاهرة (التجزء)، واقصد (بالتجزء) هو ما نلاحظ من انقسام في أسلوب الحياة بين الرجل والمرأة والطفل، فإذا علمنا بأن العائلة مكونة في جوهرها من عناصر ثلاثة الرجل والمرأة والطفل وجدنا بان كل واحد من هذه العناصر الثلاثة قد اخذ جانباً أو مجالاً من الحياة يختلف عن جانب الآخر. فالمرأة مجالها البيت لا ينبغي أن تحيد عنه والرجل مجاله في أوقات فراغه المقهى، بينما ذهب الطفل إلى الزقاق يتسكع فيه مع أقرانه.

قل أن نجد في هذه الدنيا مجتمعاً تجزأت فيه العائلة مثل هذا التجزء البليغ العراق مشهور بمقاهيه وهي على كثرة عددها تخص بالرجال. ففي أصغر قرية كما في أكبر مدينة في العراق تجد المقاهي منتشرة انتشاراً فضيعاً. ولعل هذه الظاهرة سببها حجاب المرأة أولاً وتعالي الرجل على المكوث معها في البيت ثانياً. فقد نشأت عندنا قيم تجعل من المرأة جنساً اقل منزلة من الرجل واضعف عقلاً بحيث يشعر الرجل إزائها بالتعالي والكبرياء. فإذا علم الناس برجل يكثر من المكوث في بيته مع امرأته وأولاده اتهم بالتخنث. ولدينا من الأمثال السائرة عدد لا بأس به يدل على انتشار هذه القيم الاجتماعيَّة بيننا. ولعل هذه القيم قد جاءتنا من البداوة، فالمجتمع البدوي كما قلنا مجتمع غزو وحرب، والرجل وحده هو الذي يقوم بمهمة الحرب والنضال ؛ أما المرأة فتعتبر مهمتها أخفض درجة من مهمة الرجل ولذا ينظر إليها بعين الاستصغار والمهانة والبدو يطلقون على من يكثر من مجالسة النساء لقب "زير النساء" وهو لقب يصعب على البدوي تحمله. أنه إذن مضطر أن يقضي اغلب أوقاته في ديوان الشيخ ليتحدث هناك مع أقرانه أحاديث البطولة وأقاصيص الغزو والشجاعة.

ولقد اقتبسنا هذه العادة من البداوة حيث تحول ديوان الصحراء إلى مقهى في المدينة وبذا أصبح الرجل لا يكاد يلقف طعامه في بيته حتى يخطف عباءته ويذهب إلى المقهى، وهو إذن لا يرى إلا ساعات الطعام والمنام وهي ساعات غير مجدية. أما المرأة فقد تعودت أن تقبع في بيتها وان تعتقد بفضل ذلك وبدلالته على العفة والشرف، فهي قد لقنت منذ الطفولة على أن تكون محجبة لا تخرج من البيت إلا عند الضرورة القصوى. وأنا اعرف مدينة عراقيَّة يفخر أهلها بان نساءهم لا يشاهدون في الشوارع إلا نادراً؛ فإذا اضطرت إحداهن على الخروج حاولت أن تتجنب الطرق المزدحمة لكي لا يرى هيكلها المحجب على أية حال.

ولهذا تجد البيت العراقي قد اصبح عالماً قائماً بذاته له قيمه الخاصة به وقواعده التي تختلف عن قواعد العالم الرجالي تماماً. وهذا بلا ريب يساعد على نمو الازدواج في شخصيتي الرجل والمرأة معاً. إذ أن كلا منهما قد يتأثر بقيم الجنس الآخر بصوره شعورية أو لا شعورية بالإضافة إلى قيمه الخاصة بجنسه، وبدا ينشأ في شخصيته نظامان متناقضان من القيم. وقد نلاحظ في رجالنا ونسائنا كثيراً من المتناقضات التي يمكننا أن نعزوها إلى هذا الانفصال الشديد بين عالم المرأة وعالم الرجل. وبالإضافة إلى ذلك نجد أن هذا الانفصال يؤدي في كثير من الأحيان إلى الانحراف الجنسي.

فقد ثبت علمياً بان الانحراف الجنسي في الغالب اكتسابي، يسببه انفصال المرأة عن الرجل كما هو الحال في الجنود الذين يظلون في ميدان الحرب مدة طويلة بعيدين عن النساء، وكذلك في البحارة والسجناء وغيرهم من لا يتصل بالمرأة إلا قليلاً[1]. وفي العراق نجد الانحراف الجنسي منتشراً بسبب هذا الانفصال الفظيع بين الرجل والمرأة، ولهذا نجد اغلب أغانينا تخاطب الحبيب بلفظ المذكر - الأمر الذي يندر أن نلاحظه في البلاد الأخرى. واغلب أشعارنا الغزلية نؤاسية أي هائمة بنفس الحب الذي هام به المنكوب أو نواس. ولسوء حظنا أن العراق كان مهد الحجاب لأول انتشاره في الحاضرة الإسلامية وكذلك كان مهبط الوحي على أبي نواس. هذا ولا يخفى أيها السادة أن المنحرف جنسياً يزداد فيه دواء ازدواج الشخصيَّة، فهو شخص يضمر غير ما يظهر، وهو إذن مضطر أن يتظاهر أمام الناس بغير ما في قرارة نفسه، ولذا تجد له شخصيتين، شخصيَّة يتظاهر بها أمام الناس وشخصيَّة أخرى يسعى بها وراء لذاته المنحرفة.

وبعد بحثنا في وضع الرجل والمرأة نرجع إلى العنصر الثالث وهو الطفل، فنراه يلعب في الزقاق وتنمو شخصيته فيه. لقد لاحظ علماء الاجتماع في أمريكا أن عصابات الإجرام المشهورة في شيكاغو وغيرها من المدن الكبيرة سببها قلة العناية بالأطفال في بعض الأحياء الفقيرة هنا لك. فقد وجد بان اكثر أفراد العصابات نشأوا في أحياء فقيرة حيث تكون الدور ضيقة ومزدحمة بسكانها إذ يضطر الأطفال على الخروج إلى الأزقة يلعبون فيها ويؤلفون الزمر المحلية التي هي في الحقيقة خمائر لنمو العصابات الكبيرة فيما بعد. والغريب أن أطفالنا في العراق يخرجون إلى اللعب في الأزقة سواء أكانت بيوتهم ضيقة أم واسعة، فبيوتنا بنيت لتصلح لحياة الحجاب، فهي متكاتفة على نفسها مستورة من جميع نواحيها، وليه فيها من الأشجار والأزهار إلا قليلاً. فالطفل إذن مضطر أن يخرج إلى الزقاق ينشد فيه اللعب والمرح، وقد تحدوه في ذلك أمه لأنها تريد أن تتفرغ إلى أعمالها البيتية من ناحية والى قبول زائراتها من ناحية أخرى. وهكذا يجد الطفل العراقي مجالاً رحيباً في الأزقة، فيؤلف فيها مع أقرانه وأبناء جيرته ما يشبه العصابات. فإذا كانت روح العصابة في أمريكا تنمو في الأحياء الفقيرة من المدن الكبرى فقط، فإنها في العراق تنمو في القرى والمدن معاً وفي الأحياء الفقيرة والغنية على السواء.

وإننا لا نذيع سراً إذا قلنا بان القيم التي تسود بين الأطفال في الأزقة كثيراً ما تشبه سنة الغابة، فهي قيم تدور حول القوة وحول استعمالها في كل سبيل أن الأطفال في الزقاق، حيث لا يشرف عليهم مشرف من الكبار، تنمو فيهم قيم التفاخر بالقوة والتباهي بها وحب السيطرة وشدة العصبية المحلية. أن مدار التباهي في الزقاق ينحصر في الاستقطاب الذي يعبر عنه بكلمتي القوي والضعيف) أو بعبارة عامية: بلفظتي (السبع والمخنث). فكل طفل يحاول أن يشتهر بصفة القوة ويبعد عن نفسه شبه الضعف. أنه لا يريد أن يوصم بوصمة التخنث فهو بطل يحاول أن يظهر

[1] Elliott & Merrill, *Social & Disorganization*, p. 197.

بطولته بالاعتداء على غيره ممن هو اضعف منه بدنا أو أقل أعوانا. وكذلك تنمو في نفس الطفل العصبية المحلية، فهو متعصب لأبناء محلته، وعدو لأبناء غيرها. وقد تتحول هذه العصبية المحلية عند الكبير إلى عصبية عشائرية أو بلدية أو طائفية أو دينية أو ما أشبه وهكذا ينشأ العراقي وهو شديد التعصب لدينه مثلا بينما هو لا يعرف من واجبات الدين شيئا.

ولكن هذه النزعة الزقاقية في الطفل العراقي سرعان ما تختفي في الكبير تحت ستار من الوقار المصطنع. فالطفل العراقي لا يؤلف في كبره عصابة كما يفعل في أمريكا. لان الروح العصابية فيه تختفي، حيث تكمن في عقله الباطن ويشرع الطفل آنذاك بالتظاهر بمظاهر الأدب أو الدين أو الخلق الفاضل. نحن نعود أطفالنا منذ صغرهم على أن يتظاهروا بالوقار والرزانة أمام الكبار[1]. وبذا تنشأ فيهم شخصيتان شخصيَّة للزقاق، وأخرى للظهور أمام الناس فالأبوان في العراق كثيرا ما يؤنبان طفلهما إذا بدرت منه بوادر لا تليق بمعشر الكبار، فهو إذن يحاول أن يكون عاقلا خلوقا ساكنا إذا ذهب مع أبيه إلى المقهى، ولكنه لا يكاد يرجع إلى الزقاق حتى تراه قد خلع عنه ذلك القناع المصطنع الذي تقنع به في صحبة أبيه. فإذا كبر هذا الطفل، دأب على أن يقول ما لا يفعل، وان يتحمس لما لا يعتقد به وأن يعظ غيره بغير ما يعظ به نفسه. فهو قد يصبح نقادا من الطراز الأول، مشاغبا يكتشف عيوب الناس من غير أن يكتشف عيبه، لا يرضى عن أي شيء يأتي به غيره مهما كانت درجة قربه من الكمال عظيمة.

2 الناحية النفسيَّة

سيداتي سادتي: وفي هذه النقطة نتحول من العامل الاجتماعي في تكوين شخصيَّة الفرد العراقي إلى العامل النفسي، وهذان العاملان الاجتماعي والنفسي، لا ينفصلان في الواقع. إذ أن كل ظاهرة اجتماعيَّة لها جانب نفسي، كما أن كل ظاهرة نفسيَّة لها جانب اجتماعي. يقول بعض علماء التحليل النفسي: "أن كثيراً من الشقاء الذي ينهش في نفوس بعض الأفراد، ينشأ من انهم رسموا لأنفسهم مستوى شاهقاً رفيعاً... إذا ارتقى أحدهم إلى منصب فلا يزال يرى انه في مركز اقل بكثير مما هو جدير به ؛ وكلما غمرته نعمة شعر بأنه أحق بما يفوقها درجات انه لا يستطيع أن يتذوق طعاماً للسعادة والرضا، بل انه ليشع الشقاء على غيره، وينشر البؤس والتعاسة بينهم بانتقاده المستمر لسلوكهم وتصرفاتهم مهما كانوا على خلق كريم. وقد يصبح هذا الشخص عصابياً.. دائم السخط على المجتمع، لا يجد فيه الفضيلة التي يهواها ويتعشقها ويعبدها، دون أن يمارسها في الغالب؛ نافراً من الناس، لأنه يشعر بأنهم أقل منه شأناً بكثير، وأحط من أن يمتزج بهم ؛ أنانياً يعمل على أن يحقق رغباته الخاصة، إذ يراها ارفع الرغبات وأسماها، وأجدرها بالتحقيق دون سواها. ويرى نفسه

[1] متي عقراوي، *العراق الحديث*، ص248.

في ذاته المثلى اعلم وافضل وأرقى من في الوجود، بينما هو قد يكون في ذاته الواقعية اجهل وارذل وأحط من في الوجود"[1].

يفسر الباحثون هذه الظاهرة النفسيَّة في بعض الأفراد على إنها امتداد لنوع المعاملة التي عاملهم بها والداهم عندما كانوا أطفالاً صغاراً "فبعض الوالدين يتطلبان من الطفل الصغير الكمال في كل شيء، في أعماله وسلوكه وكلامه، ويحاسبانه على كل هفوة تصدر عنه حساباً عسيراً. وينظران إليه كما لو كان راشداً متفهماً مكتمل العقل ناضج القوى"[2]. وأني اعتقد بان هذه التربية المتشددة المتزمتة تكثر في العراق؛ ونظرة واحدة إلى أسلوب التربية في الكتاتيب المحلية التي كانت، ولا تزال، منتشرة في أرجاء العراق تكفي لتأييد هذا القول. فالوالد يأتي بطفله إلى أحد الكتاتيب ويقول الشيخه: "هذا ولدي، خذه إليك فأدبه اللحم لك والعظم لي". ويبدأ الشيخ يفرض على الطفل فروضه المتعددة. فالطفل يجب أن ينكب على قراءته وكتابته، منكساً رأسه، قاطعاً أنفاسه، لا يلتفت يمنة ويسرة؛ ومن نجح في هذا فهو طفل عاقل أديب، أما من اخفق فالويل له. والطفل إذن مضطر أن يكظم غيضه ويكبت عواطفه مدة الدراسة حتى إذا خرج بعد انقضاء المدة، ذهب ثائراً متمرداً، يعتدي على هذا ويضر ذلك، ويخطف تلك. يجد في ذلك بعض التنفيس عما ألم به من كبت طويل.

وعلى هذا المنوال ينشأ الطفل وقد نمت فيه شخصيتان شخصيَّة مؤدبة خاضعة، وشخصيَّة ثائرة معتدية والملاحظ أن مدارسنا الحديثة لا تزال تحتوي على بقايا من تلك الروح القديمة روح التزمت والكبت والإشادة بوقار العلم وأدب الدراسة. وكثيراً ما يطالب التلميذ في هذه المدارس بأن يحترم مدرسه غاية الاحترام وأن يكون له عبداً على حسب المبدأ القائل: (من علمني حرفاً صيرني عبدا). وهكذا يتعود الطفل، أمام المدرس على عادات تختلف عن تلك التي يتعودها إذا خرج من المدرسة واكتنفته جدران الزقاق. وينبغي هنا أن نتذكر ما قلنا آنفاً عن الشخصيَّة بأنها محاولة من الإنسان للتوازن بين رغباته الطبيعية العارمة، وقواعد المجتمع التي يتبناها ضميره. والتوازن بين هاتين القوتين المتعاكستين صعب كل الصعوبة؛ وكثيراً ما يفشل الإنسان في نوال هذا التوازن أو في ضبطه مدة طويلة. وهذا هو ما دعى أصحاب التربية الحديثة إلى القول بتسهيل القواعد المفروضة على الطفل وإعطاء المجال لرغباته الطبيعية فـ أن تتحرر وتترعرع ضمن حدود معينة. أن شدة التربية والتزمت في التأديب كثيراً ما يؤدي إلى نمو خليقة الرياء والنفاق فيه حيث "ينشأ الطفل مرائياً منافقاً، يقول ما لا يعنى ويعنى غير ما يقول؛ ويمارس ما لا يؤمن به، ويؤمن بما لا يمارسه"[3].

---

[1] محمد كامل النحاس، *سيكولوجية الضمير*، ص 38 - 39.

[2] نفس المصدر، ص 38.

[3] نفس المصدر، ص54.

يمكن تشبيه الرغبات الطبيعية في الإنسان بالنهر الجارف، فهو إذا عرقل سيره ووضعت العقبات في سبيله، طغى على ما جاوره من الأرض وأهلك الحرث والنسل[1]. وهذا لا يعني إننا ينبغي أن نترك الطفل حرا، فيما يعمل طبق رغباته الطبيعية، تمام الحرية. الرغبات الطبيعية بالأحرى، يمكن السيطرة عليها والاستفادة من طاقتها الكامنة، كما يستفاد من تيار النهر الجارف، إنما الضروري أن نتفهم طبيعة هذه الرغبات وقوانين سيرها وقوة تيارها بحيث نستطيع أن نجاريها من ناحية ونسيطر عليها من ناحية أخرى. لقد ظن والدونا أنهم يقدرون على شبك شخصياتنا كما يشاؤون، فأخذوا يحاولون تقييدها بما صنعوا من فروض وقواعد هي أشبه بالعقبات التي توضع في طريق النهر بالسدود والخزانات والمرافق النافعة الأخرى. ولهذا اخذ الطفل العراقي يرزح تحت عبء هذه العقبات المفروضة عليه ويحاول أن يتمرد عليها عن طريق الانحراف والمراوغة. فهو إذن يتظاهر باحترام المثل العليا التي لقنه إياها مدرسوه وأولياء أمره، ولكنه يراوغ عنها فعلا ويختلق لنفسه شتى المعاذير والتبريرات في سبيل التنكب عنها أنه يخدع نفسه قبل أن يخدع الآخرين.

سيداتي سادتي: وعلاوة على هذا التزمت التربوي، نجد عاملاً آخر يعمل في نفس الطفل ويؤدي إلى عين النتيجة: هو عامل انفصال الرجل المرأة. فالطفل عندما يبلغ الحلم يرى المرأة قد حجبت عنه انه مشتاق إليها راغب فيها ولكن التقاليد فرضت عليه التظاهر بعكس ما يبطن. انه مضطر أن يكبت ميوله الجنسية العنيفة، ثم يدعي انه عفيف لا يميل إلى المرأة ولا يحب التقرب منها أن هذا يؤدي، كما قلنا، إلى شيوع الانحراف الجنسي ؛ وهو يؤدي أيضاً إلى ظاهرة أخرى من الممكن تسميتها بالانحراف النفسي يقول فرويد واتباعه من علماء التحليل النفس أن الإنسان إذا احب شيئاً حباً شديداً وكبت هذا الحب في عقله الباطن، فانه قد يلجأ في سبيل التنفيس عن هذا الكبت إلى الشغب وشدة الانتقاد والاعتراض ضد نفس الشيء الذي يحبه. انظر إلى سلوكنا حين نتعصب ضد أشياء أو نستعرض أشياء نكرهها ولا ننفك نشنع عليها، فان أخيب الظن إننا في عقلنا الباطن نحس ميلاً مكبوتاً نحو هذه الأشياء نفسها كما يقول برنارد هارت[2]. ويمكن الاستنتاج بأن الذي ينتقد غيره انتقاداً عاطفياً لاذعاً، إنما هو ينفس بذلك عن عاطفة مكبوتة؛ وكثيراً ما يذم أحدنا شيئاً يراه في غيره فإذا حللنا نفسه وجدناه انه يحب ذلك الشيء حباً جماً، بيد انه عجز عن نواله فيشرع عن ذلك بانتقاد من ناله وبالتهجم عليه تنفيسا عن حرمانه المكبوت[3]. يقول ويلز أن أولئك الذين يصخبون ضد الاستحمام المختلط على الشواطئ أو يعارضون في اتخاذ النساء ملابس لا تتفق مع الحياء على زعمهم، قلما يكونون من الحكماء الذين استطاعوا أن يضبطوا رغباتهم في

[1] الغريب أن أنهارنا كنفوسنا تغطي على ما حولها في كثير من كثير من الأحيان.

[2] انظر سلامة موسى، *عقلي وعقلك*، ص: 57.

[3] انظر كامل النحاس، نفس المصدر، ص71.

تعقل. وهم في العادة بعض أولئك الذين كبتوا غرائزهم العنيفة وكأنهم على إحساس غامض بان هذه الدوافع العارمة توشك أن تجمح بهم وتقذفهم في مهاوى خلقية سحيقة[1].

إن مشكلة الكبت، والحق يقال، مشكلة عويصة يعاني الفرد العراقي منها ما يعاني، وتتعقد شخصيته بسببها تعقدا لا يستهان به. إن العراقي مشهور بكثرة انتقاده لغيره. تقول سيدة أمريكية زارت العراق ذات يوم بأن العراقي بارع في اكتشاف العيوب في غيره وماهر في عرضها على المستمع شيئا فشيئا. والحقيقة أن كلا منا ينتقد غيره، وكل منا ينسب خراب الوطن إلى الآخرين ناسيا انه هو مساهم في هذا الخراب العام قليلا أو كثيرا. والغريب أن موظفي الحكومة ينتقدون الحكومة كأن الحكومة مؤلفة من غيرهم. وكل فرد من الناس ينتقد الناس كأنه ليس من الناس. والواقع أن كلاً منا مبتل بنفس الداء الذي يراه في غيره. فالموظف الصغير ينتقد الموظف الكبير على تأثره بالوساطة مثلاً بينما هو نفسه يتأثر بها أيضاً - ولكن على نطاق أضيق. يسرع في انجاز معاملة تعود لصديق، أو لحامل بطاقة من صديق، ثم يرفع صوته بعد ذلك في ذم الواسطات وشرح أضرارها. وقل مثل هذا عن عامة الناس، فرجل الشارع يشتكي عادة من ما يجده في الناس من كذب ونميمة وغش وغيبة ولكنه ينسى أنه هو أيضاً يكذب وينم ويغش ويغتاب أنه ينجرف مع التيار ثم يشتكي منه. أن هذه الظاهرة النفسيَّة المنتشرة في العراق يمكن تفسيرها بمـا في عقولنا الباطنة من دوافع مكبوتة تحاول التنفيس: فالدافع الجنسي مكبوت لشدة الحجاب، ودافع القوة مكبوت لسيادة الاستعباد في العراق منذ مئات السنين، ودافع الحياة مكبوت لما توالى في العراق من مجاعات وأوبئة وحروب وفيضانات[2]. وبدا أصبحت في نفوسنا عقد جمة أو كوامن مكبوتة تحاول الظهور تحت قناع الانتقاد أو الشغب أو شدة الاعتراض. فالمنتقد منا لا يهمه أي شخص ينتقده. هو يريد أن ينفه عن مكبوتات نفسه، فيوجه الضربات هنا وهناك. هدفه في الضرب وليس في المضروب. وهذه الظاهرة تؤدي بلا ريب إلى زيادة الازدواج في الشخصيَّة لان الانتقاد يأخذ غالباً صورة الحجة المنطقية والبرهان المثالي والعراقي إذن ينتقد بأسلوب ويسلك بأسلوب يناقض نفسه ولا يدري. أنه يهاجمك ويشتمك لأنك في زعمه قد حدث عن بعض المثل العليا، ثم تراه عند الاستطاعة يقوم بنفس العمل الذي يشتمك عليه، وهو مرتاح الضمير كأنه لم يعمل شيئاً.

سيداتي سادتي: وقبل أن ننتهي من بحث العامل النفسي في تكوين الشخصيَّة العراقيَّة، يجدر بنا أن نتطرق إلى نقطة في غاية الأهمية هي ما للغة من اثر بليغ في هذا الأمر. فلقد ابتلينا، في العراق وفي كثير من البلاد العربية الأخرى، بهذا الفرق الكبير بين اللغة الدارجة واللغة الفصحى بين لغة الأعمال اليومية ولغة الكتابة والخطابة. وهذا عامل لا يمكن إغفاله في بحث الشخصيَّة

[1] ويلز، *علم الحياة*، ص: 911، مقتبسة من سلامة موسى، *عقلي وعقلك*،ص:57.

[2] يتفق كثير من الباحثين أن أهم الدوافع البشرية ثلاثة دافع الحياة ودافع الشهوة الجنسية ودافع القوة والشهرة والظاهر أن هذه الدوافع عليها شيء لا يستهان به من الكبت في العراق.

العراقيَّة وكيف نشأت ظاهرة الازدواج فيها. فلقد أجمع كثير من العلماء بأن اللغة لها أثر كبير في التفكير. ولقد ذهب بعضهم بأن التكلم والتفكير شيء واحد، حيث أن التفكير، حسب قولهم، ما هو إلا لغة صامتة. ولقد أجريت بعض التجارب على حنجرة الإنسان عند تفكيره فوجد إنها تهتز كأنها تنطق مما يدل على وجود علاقة وثقى بين التفكير واللغة[1]. ونحن قد تعودنا أن نتكلم بلغتين وكأننا بذلك نفكر على اسلوبين مختلفين. فنحن في حياتنا الاعتيادية نتكلم باللغة العامية الدارجة ولكننا لا نكاد نواجه حفلاً أو نكتب مقالاً نبدأ بالتحذلق باللغة الفصحى. وبهذا فنحن نتقمص شخصيتين ونفكر على نمطين. لقد أصبحت هذه عادة مالوفة لدينا بحيث لا نشعر بما نأتي به من التناقض فيها. اللغة الفصحى لغة البرج العاجي، لغة رفع الفاعل ونصب المفعول به وجر المضاف إليه. وهذه أمور لا تمس الحياة العملية مساساً كبيراً أن حياة الواقع، التي يحياها عامة الناس ويعانون فيها ما يعانون من مشاكل وادواء، لا تنتفع من كون الفاعل مرفوعاً أو المفعول به منصوباً. إنها تتطلب لغة علمية بسيطة، تؤدي المعنى من غير التباس أو غموض. أن اللغة الفصحى نشأت في محيط البداوة الذي تسود فيه قيم الحرب والحماسة، ثم ترعرعت من بعد ذلك في قصور الأمراء والمترفين. فهي لغة حماسة أولاً، ولغة بطر وقلة اشغال ثانياً. لقد رعى اللغة الفصحى واكتشف قواعدها العويصة أناس كانوا يريدون أن يتقربوا إلى الأمراء والملوك بمثل ما كان يتقرب به المغنون وبائعو الجواري. فلم يكن الأمير يهتم باللغة الفصحى في إدارة أعماله؛ إنما كان يتفرغ لها، بعد أن ينتهي من ظلم الناس أو العدل بينهم، كما كان يتفرغ لقصيدة رنانة في المديح أو أغنية مثيرة في الغزل. ولهذا السبب كان الأدب والشعر وغيرهما من أفانين اللغة الفصحى لا يهتم بها عادة عوام الناس. فهي كانت محصورة بين جدران بعض القصور الباذخة المملوءة بالجواري[2]. هذا كانت اللغة تنمو إذا شجعها الأمراء وتنافسوا في تحبيذها، وتخمد إذا ألتهى الأمراء عنها بملاه أخرى. ولقد رأينا مثلاً حسياً على هذا في حياة المرحوم الشيخ خزعل أمير المحمرة سابقاً فقد كان هذا الأمير، الساعي وراء اللذة بشتى صورها، مقصداً لكثير من الشعراء والخطباء والأدباء الذين كانوا يحسنون اللغة الفصحى ولا يجدون سوقاً لهم بين عامة الناس. فهؤلاء كانوا يهيئون القصائد الرنانة في مديح الشيخ، ويقدمون لها بديباجة مشهية من الغزل، ثم يشدون الرحال إلى المحمرة وقد كان في المحمرة آنذاك عالمان منفصلان عالم اللغة الفصحي التي كانت تزخر بتجميد المثل العليا والمبادئ السامية، وعالم اللغة السوقية التي كانت تزخر بمشاكل الحياة وبزفرات الأنين من ظلم الشيخ عفا الله عنه.

ونحن اليوم في العراق مبتلين بنفس هذه الظاهرة (الخزعلية): يخطب خطبائنا ويكتب كتابنا مقالات مملوءة بالرنين الشعري وزخارف النحو الذي هو أصعب نحو خلقه الله. وقليلا ما تجد في

---

[1] انظر ودوورث، *علم النفس*، ص 688 - 691.

[2] والغريب أن الجارية التي كانت تحسن اللغة الفصحى والأدب والشعر كانت تباع بثمن باهظ حيث كانت اقدر على الامتناع والمؤانسة.

هذا الرنين والبهرجة دراسة واقعية لمشاكلنا المتعددة. فالخطيب قد يهمه بالدرجة الأولى الإتيان بالألفاظ الرنانة ورفع الفاعل ونصب المفعول به اكثر مما يهتم بوصف الواقع وصفاً دقيقاً. ولا يعني هذا أن كاتب هذه السطور خالي من هذا الداء الذي نشتكي منه. فنظرة واحدة إلى أسلوب هذه المحاضرة وما فيها من تقيد بقواعد النحو والصرف يكفي للدلالة على إننا جميعاً في الهواء سوا. ولقد سمعت قبل أن ألقي هذه المحاضرة، أن أحد المحاضرين قبلي فشل في محاضرته لأنه لم يعن بقواعد النحو والصرف وأفانين اللغة الفصحى. فالمستمع العراقي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة، قد يستهجن خطبة إذا كانت غير رنانة، أي غير نحوية أو فصيحة، رغم ما فيها من فوائد علمية عظيمة. انه إذن داء عام توارثناه كما توارثنا غيره من أدوائنا الراهنة، وهو سبب كبير من أسباب ازدواج الشخصيَّة فينا. لقد كان مثل هذا الفرق بين اللغة الدارجة والفصحى في أوروبا في العصور الوسطى؛ وقد ثار الأوربيون على هذا الازدواج في بدء نهضتهم الحديثة، فوحدوا بين اللغتين تقريباً ولم يبق الآن من الفرق إلا جزء ضئيل هو ذلك الفرق الطبيعي بين لغة المثقفين ولغة العامة في كل زمان ومكان، وبهذا سلمت نفوسهم من الازدواج إلى حد كبير.

الخلاصة

والخلاصة أن الفرد العراقي مبتل بداء دفين هو داء الشخصيَّة المزدوجة. وقد يسأل سائل ما هو العلاج الذي ترتئيه لهذا الداء؟: إننا ما دمنا قد عرفنا الأسباب التي تؤدي إليه فقد اتضح إذن وصف العلاج له. لعلي لا اخطأ إذا حضرت العلاج بأنواعه الثلاثة: أولاً: إزالة الحجاب عن المرأة ورفع مستواها وإدخالها في عالم الرجل لكي تتوحد القيم ويتشابه الرجل والمرأة فيما يفهمان وما ينشدان من مثل وأهداف. ثانياً: تقليل هذا الفرق الكبير بين اللغة الدارجة واللغة الفصحى. تحدثوا كما تخطبون واخطبوا كما تتحدثون اتركوا ما ابتدع سيبويه ونفطويه، والحريري والهمذاني من لغو باطل وقيود لا فائدة منها. ثالثاً: هيأوا للأطفال ملاعب أو رياضاً حيث يتكيفون فيها للحياة الصالحة تحت إشراف مرشدين أكفاء. علموهم بأن القوة التي تحكم العالم اليوم ليست هي قوة فرد إزاء فرد أو سيف إزاء سيف. إنها قوة العلم والصناعة والنظام فمن فشل في هذه أن له أن يفشل في معترك الحياة رغم ادعائه بالحق وتظاهره بالمثل العليا. والسلام.

ذيل

لقد اعترض علي بعض من سمع المحاضرة باني لم أتعرض في بحثي للعوامل التي أدت إلى ازدواج الشخصيَّة في العراق، إلى العامل الجديد الذي بدا يعمل في المجتمع العراقي منذ تشكيل الدولة العراقيَّة حتى اليوم. لا نكران أن العامل هام وجدير بالبحث، ولكنه معقد لقرب عهدنا به، ولذا فان من الصعب بحثه بحثا وافيا في هذا المجال الضيق الذي لحسن نيه. ولعلني أوفق في يوم آخر إلى بحثه والإسهاب فيه. وقد يكفي الآن أن اذكر عنه نقطة واحدة في شيء من الاختصار. وربما كنت غير مخطئ إذا قلت ملخصا: أن ظروف العراق الاستثنائية، هي التي جابهته بغتة عند تشكيل دولته، خلقت فيه طبقة متحذلقة مغرورة طبقة (الافنديه). لا ريب بأن طبقة (الافنديه) كانت موجودة في

العهد العثماني، ولكنها كانت آنذاك قليلة العدد، متعالية على الشعب، وتعتبر نفسها من صنف آخر غير صنف العامة والسوقه، أما بعد تشكيل الدولة العراقيَّة، فقد بدأت طبقة (الافنديه) بالضخم على نطاق واسع، وأصبحت تستوعب أفرادا من أبناء العامة لم يكونوا يحلمون انهم في يوم من الأيام سيصبحون من الطبقة الحاكمة. أن هذا الصعود المفاجيء من أبناء العامة إلى مراتب الحكام والضباط، نفخ فيهم شعورا زائفا بالعظمة أو العبقرية أو المقدرة على المعجزات. فهذا مثلا ابن حمال أو بقال قد يصير بين عشية وضحاها ضابطا في الجيش يأخذ الجنود له التحية في الشوارع، أو موظفا يأمر وينهي في اناس كان يعتبرهم قبلا من العظماء، وإذا به يشعر انه اصبح اعظم العظماء. أن النجاح المفاجيء يؤدي عادة إلى الشعور بالمقدرة الخارقة وإلى البطر. ولهذا نجد أغنياء الحرب لا يحتملون، وأصحاب الشهادات في مجتمع جاهل لا حد لتحذلقهم وغرورهم. النجاح المتدرج الذي تكتف طريقة المصاعب هو الذي ينتج في الغالب العباقرة والعظماء الحقيقيين. ومن المؤسف حقا أن الدولة العراقيَّة عند تأسيسها لجأت اضطراراً إلى تعيين كثير من الموظفين الذين لا يستحقون، في بلاد أخرى، أن يكونوا كتاب عرائض. وقد مر على البلاد زمان لا يكاد يتخرج فيه الشاب من الدراسة المتوسطة أو الثانوية، حتى يجد مجاله في دوائر الحكومة رحيباً. فهو قد تعلم شيئا من الفباء العلوم، ثم رأى نفسه قد اصبح مسموع الكلمة، وبدا فهو لم ير مانعا يمنعه من الدعاوى العريضة ووضع الخطط لتشييد إمبراطورية أو إعادة مجد الأجداد. وكثيرا ما نجده يلجأ إلى اللغة الفصحى يتنطع بها عن آماله الإمبراطورية. وجدنا هذا واضحا في بعض ضباط الجيش العراقي الباسل قبيل الحرب العالمية الثانية. ولهذا السبب أصبح كثير من موظفينا يعيشون في الأبراج العاجية. فهم لا يهمهم أن يعاني الشعب من أدواء الجوع والمرض والجهل ما يعاني، لأنهم مشغولون بتزين شارع الرشيد حتى لا يتقزز منه السواح، وفي وضع الخطط لفتح العالم أن طبقة (الافنديه) عندنا يكثر فيهم ازدواج الشخصيَّة؛ فهم في الدائرة أو النادي فلاسفة طوبائيون، وفي غير ذلك أناس عاديون، مثلي ومثلك. وختاما أقول: إن هذا الازدواج الذي حاولت أن اكتشفه في شخصيه الفرد العراقي، على اختلاف طبقاته لظاهرة اجتماعيَّة تدعو إلى التأمل العميق. وأظن أننا سنظل حيارى في مجالات الحياة الجديدة، مترددين لا نعمل شيئا، إذا لم نلتفت إلى هذه الظاهرة ونعترف بوجودها، ونحاول معالجتها علاجا جديا. فما دامت هاتيك الهوة موجودة بين ما نعمل وما نفكر، وما دمنا ندعى شيئا ثم نفعل غيره، فإننا سوف نبقى سادرين فيما نحن اليوم فيه من قلق وارتباك لا حد لهما، هو داء لابد له من دواء!

القوقعيَّة والقَلق في الشخصيَّة العراقيَّة[1]

عبد الجليل الطاهر

1969

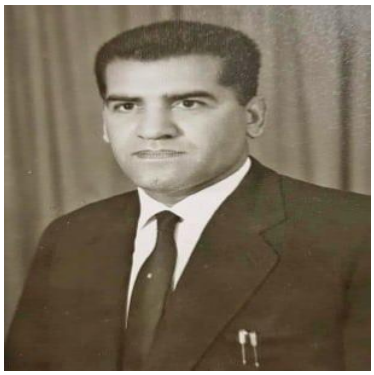

البروفيسور الدكتور **عبد الجليل الطاهر** (1917-1971)، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من University of Chicago في الولايات المتحدة الأميركية. أستاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد. من أهم كُتبه: أصنام المجتمع؛ بحث في التحيز والتعصب والنفاق الاجتماعي، مسيرة المجتمع: بحث في نظرية التقدم الاجتماعي، التفسير الاجتماعي للجريمة.

1 قبل أكثر من خمسة عشر عاماً أعلنت على غلاف كتابي (المشكلات الاجتماعية في حضارة متبدلة، مطبعة الحكمة، بغداد، 1953) عن عزمي على اصدار دراسة نفسية اجتماعية لظاهرة "القلق الاجتماعي في العراق"[2] محاولاً أن أتعرف على طبيعة شخصية الفرد العراقي. وكان طموحي آنذاك منصباً على وضع الخطوط العامة لهذه الشخصية التي اختلف في وصف طبيعتها وتشخيص مقوماتها عدد كبير من رجال السياسة والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الاجتماع والأخلاق وغيرهم. يصفها البعض بأنها شخصية مريضة (باثولوجية) مصابة بانشطار الوجدان، تكشف عن عدد من العقد والمركبات النفسية والاجتماعية، لم تستطع بعد أن تحقق حالة من التوازن والانسجام. ويؤكد فريق ثان على أنها خليط عجيب من النماذج النفسية والاجتماعية التي لم تستطع أن تتخلص من الصراع المستمر بين تلك النماذج، فهي تقوم بعدد من الأدوار المتناقضة المتعارضة شكلاً ومضموناً. فمن الصعب أن يتنبأ الباحث الاجتماعي عن أنماط سلوكها، وأن يتوقع المو اقف التي تقفها إزاء القضايا الخاصة والعامة. ويقول فريق ثالث أنها ينبوع دائم من الإبداع والاجتهاد وهي ترغب في التغيير هدفاً بحد ذاته في حياتها ولذلك لم تذق طعم الاستقرار منذ آلاف من السنين.

وكنت منذ ذلك التاريخ أمعن النظر فيما يجرى على مسرح العراق من الاحداث والوقائع، وأتأمل في طبيعة الشخصية العراقية، وأنظر من كتب إلى الاعمال والانشطة الجماعية التي تقوم بها، وأضع الاطارات المنهجية لدراسة سلوكيتها، وأجمع الحقائق عنها.

---

[1] مقالة نُشرت في مجلة المُثقف العربي، وزارة الثقافة والإعلام العراقيَّة، العدد 11، 1969، ص34-44.

[2] جزء مقتبس من بحث يعده كاتب المقال بعنوان "القلق الاجتماعي في العراق"، اقتباساً مركزاً ومختصراً. ويتضمن المقال عدداً من المفاهيم التي تحتاج إلى تغيير.

لقد مرت على ذلك التاريخ تحولات جذرية غيرت وجه المجتمع في هذا القطر: سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وايديولوجياً - وبكلمة واحدة - حضارياً، فانتقل العراق من كونه تابعاً مربوطاً بعجلة الاحلاف العسكرية الاستعمارية إلى التحرر الوطني، ومن النظام الملكي الاقطاعي إلى الجمهوري والاصلاح الزراعي والثورة الاشتراكية في الريف، ومن الدعوة إلى التعصب للولاءات الضيقة القوقعية المتحجرة إلى الدعوة إلى الانفتاح ووجهة النظر الشاملة، ومن التخلف إلى التقدمية والانطلاق في مسار المجتمعات المتطورة. وبالرغم من كل ما قطعه المجتمع من أشواط في مضمار التقدم إلا أن المعضلة التي تنتظر الحل العاجل وتتطلب تضافر الجهود هي - باختصار – "استمرار الولاءات القوقعية المتكلسة المتحجرة" التي بقيت عالقة في وجدانات الافراد، في أعماق الشخصية العراقية، تسيطر على سلوكيتها ونشاطها، وتطلعاتها، وتمارس أنواع الضغوط الشعورية واللاشعورية عليها. كان لهذا الواقع الموضوعي الأثر الكبير في تأرجح الخط العام لمسيرة المجتمع في العراق، وصعوبة اختيار الدرب الذى يقوده إلى الاشتراكية فمرة ينعطف إلى اليمين وأخرى إلى اليسار، نتيجة للضغوط الهائلة التي تمارسها القوى الاجتماعية بمختلف اتجاهاتها وألوانها وأشكالها، وحجومها وتكتلاتها وتحالفاتها. حاولت كل هذه القوى أن تفرض أعمق الضغوط وأثقلها لتغير اتجاه الخط العام لمسيرة المجتمع، ليتفق مع التكوين القوقعي لتلك القوى وتطلعاتها نحو المستقبل. ومع إن اتجاه هذا الخط العام يبقى منطلقا إلى الأمام بالرغم من كل تلك الضغوط. لأن مسيرته تخضع لمجموعة من القوانين الموضوعية فإنها خلفت رواسب قوقعية في أعماق الشخصية العراقية فأثرت في تكوينها.

2 **وجد الفرد في العراق اليوم نفسه في مرحلة تاريخية** تضطره لأن يعمل، ويضحي من أجل مثل أعلى يسمو على إطار مصلحته الخاصة، وشعر بالحاجة الماسة إلى التعبير عن تطلع تاريخي واجتماعي عن (الرسالة المقدسة). ويمكن بأي حال من الاحوال أن تتحقق تلك (الرسالة المقدسة) بالعمل في إطار المصلحة الخاصة الفردية أو القبلية أو المحلية أو الطائفية يتطلب تحقيق (الرسالة المقدسة) تعميق الوجدان وشموله ليستوعب الدور الاجتماعي الجديد، ويرتفع إلى مستوى الاحداث التي تمر بها أمتنا العربية. إلا أن عزم الفرد في العراق على تحقيق (المثل الأعلى) في حياته يغرقه حتى أذنيه في خضم القلق النفسي والاجتماعي، نتيجة لدأبه المتواصل، واستعداده للتضحية. فيحفز ذلك (التطلع التاريخي الاجتماعي) الفرد ويحثه على النضال لتغيير الواقع وتحويله إلى واقع جديد يتطابق مع الصورة الذهنية المثلى التي رسمها ذلك "التطلع". صار الفرد في العراق إذن يتحسس الخط العام، ويفجر طاقاته المبدعة، ويقف في صفوف القوى المعادية للرجعية والتخلف والاستغلال.

3 ينظر هذا البحث إلى **شخصية الفرد في العراق في ثلاثة مظاهر أساسية** هي: (1) إن الانتماء القوقعي المتحجر إلى الاسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطبقة أو الطائفة وغيرها من الانتماءات الجزئية المقطعية تجر وجدان العراقي جراً غير متناسق إلى بؤر دلائية مليئة بالمياه الآسنة من

الأحقاد، تختلف في عفونتها وعمقها، تؤدي إلى تصدع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع. (2) إن لشخصية الفرد في العراق مظهراً تاريخياً وحضارياً يرمز ويعبر عن نموذج المجتمع في مرحلة تاريخية وحضارية معينة - أي - أن مراكز الثقل في الشخصية تختلف في اهتماماتها من مرحلة إلى أخرى. (3) إن لشخصية الفرد في العراق مستويات وإطارات مختلفة من العلاقات.

ومن هذه المظاهر الثلاثة تتألف لدينا صورة مترابطة الأجزاء عن الشخصية والمجتمع. ولعل أول ما يسترعي اهتمامنا في الشخصية العراقية مظهران أساسيان وهما: القوقعية والقلق. وفي بحثنا عـن هذين المظهرين يواجهنا عدد من الأسئلة هي: **هل يوجد نموذج نفسي واجتماعي خاص بالفرد يميزه عن غيره؟ هل من الصحيح القول بأن بناء هذا النموذج النفسي - الاجتماعي الذي يؤلف الشخصية العر اقية أساسه "القلق" والتناقض والتنافروتعدد الولاءات واختلاف الانتماءات؟ هل يعكس بناء الشخصية العر اقية طبيعة الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويعبر عن روح مرحلة حضارية؟ هل أن تغيير تلك الانظمة يؤدي إلى تغيير الشخصية ويقضي على عناصر القلق فيها؟ هل يولد العراقي قلقاً، ويعيش قلقاً، ويموت قلقاً؟ هل القلق أداة من أدوات التكيف التي يستخدمها العراقي لأنظمة لا تطابق الو اقع الموضوعي؟ هل القلق ظاهرة سيكولوجية مقصورة على الطبقات المضطهدة المحرومة؟ هل يمكن ان تتخلص الشخصية العر اقية من القلق؟ ومتى؟ وكيف؟ هل القلق مصدر الإبداع والاجتهاد أم أنه مرض اجتماعي سريع العدوى؟**

لقد أسبغ كل من "القلق" و"القوقعية" على الشخصية العراقية لوناً معيناً، وجعل لها طعماً خاصاً، وأضاف لها رائحة خاصة هي لون وطعم ورائحة العراقي عبر الزمان والمكان، تعايشت في أعماق وجدانه أعداد من القواقع الولائية - الانتمائية التي يرجع تاريخها إلى الماضي السحيق. كانت الشخصية العراقية، ولا زالت، حصيلة ذلك التفاعل التناقضي بين أعداد متنافرة من القواقع الولائية التي لم ينته تفاعلها إلى تكوين مركب نفسي متكامل ومترابط، منه يتألف وجدان عام وشامل، تنصب منه عصارة في وجدان كل عراقي. جعل هذا النوع من تكوين الشخصية العراقية ينبوعاً لا ينضب من الحركة، والقدرة على التغير، والاصالة، والابداع، والاجتهاد، وصلابة الرأي، وقابليته على تعريق (أي طبعه بطابع الشخصية أو الذاتية العراقية) كل وجوه النظر. استطاعت هذه الشخصية أن تطبع كل الأقوام التي وطأت أرض الرافدين، وكل التيارات الحضارية - الفلسفية والدينية واللغوية والعلمية والفنية - بطابعها الخاص. لهذه الشخصية القدرة على صهر الفكرة الواحدة، وتحليلها، وابداء الرأي في عناصرها، وتأليف مدارس فكرية حولها. فليس من الصواب أبداً اتهام هذه الشخصية بانشطار الوجدان كما دعا إلى ذلك منذ زمن بعيد الزميل الدكتور علي الوردي للتأثر بالاطار الفكري الذى جاء به العلامة ابن خلدون حول الصراع بين البداوة والحضارة، ذلك الاطار المتطابق مع المجتمعات الاسلامية في العصور الوسطى.

يمكن القول بأن الشخصية العراقية تواجه اليوم أنواعاً جديدة من التناقضات الطبقية، بين الرجعية والتقدمية، والاستعمار والقومية المتحررة، والانظمة الاستغلالية والاشتراكية، والريف والمدنية وغيرها. فهل من الصحيح أن نختزل كل هذه الصراعات ونقول بأنها مجرد صراع بين البداوة والحضارة؟ تتفاعل كل تلك التناقضات في شخصية الفرد بدرجات متفاوتة من الشدة، والعمق والكثافة، فلا غرابة إذن أن تصبح الشخصية مركباً غير متناسق من القواقع الولائية المتناقضة في مرحلة تاريخية تتميز بعدم القدرة على رد الضغوط.

4 هل إن القلق موروث في عظام العراقيين ولحمهم ودمهم؟ هل صنع القلق من ذرات ترابهم، وصخور جبالهم، وقطرات مياههم؟ هل يترجم القلق بإخلاص عن رغبات ومطامح وآمال العراقيين التي لا يمكن للأنظمة القائمة أن تستوعبها وتعمل على تحقيقها؟

إن القلق الذي نتحدث عنه في الشخصية العراقية ليس قلقاً فردياً ولا يمكن ارجاع اصوله إلى التكوين النفسي للفرد العراقي فقط، فنعتبر القلق عرضاً من أعراض الشخصية المريضة المصابة بانشطار الوجدان. ينمو القلق وينتشر في مرحلة تاريخية قلقة: يكون الصراع بين القواقع على أشده، فتندفع القواقع للقيام بنشاطات جماعية لتغيير الاوضاع القائمة. يشعر الفرد في العراق الذي ينتمى إلى قوقعة (قبيلة، أسرة، محلة، مدينة، طائفة، عنصر، طبقة وغيرها) بالطمأنينة، وبالولاء العميق داخل إطار تلك القوقعة. بينما يتبادل للعلاقات السطحية الموقتة، الطارئة خارج ذلك الاطار.

تقف، إذن، في الأرضية الخلفية لشخصية الفرد العراقي أشباح تلك القواقع الولائية القديمة المتحجرة. وقد أظهر تاريخ الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية صحة هذه الفرضية، لأن العراقيين يتوزعون في انتماءاتهم توزيعاً يتأثر بالرواسب القوقعية العالقة في وجداناتهم، بل إنهم نقلوا الولاءات القوقعية القديمة إلى الحركات وتوزعوا عليها بمقدار ما تتصل تلك الحركات ببناء القواقع الولائية القديمة. يؤلف العراقي في وجدانه تأليفاً متناقضاً ومتحركاً سلماً من الولاءات التي تتغير على درجات السلم في حركة دائبة من الصعود والهبوط، فمرة يضع الاسرة أو القبيلة أو المحلة أو المدينة وأخرى يضع الطائفة أو الطبقة فوق كل اعتبار. يرتبط بكل ولاء دور معين يقوم به الفرد العراقي فتحددت خطوط حياة الفرد العراقي اليومية بحدود تلك القواقع الولائية، فيها يولد، ويترعرع، ويكبر، وفى إطارها يتزوج، ويربي اطفاله، وفيها يموت، ويحفر قبره.

تعزل "القواقع" أبناء المجتمع الواحد عزلاً افقياً ورأسياً، لأنها بذرت في وجداناتهم بذوراً من التحيزات، والتعصبات، التي هشمت المجتمع إلى أجزاء متهاونة قشرياً وسطحياً، ومتناقضة في الاعماق. وكثيراً ما يحدث أن يقفز الفرد من مستوى قوقعي إلى مستوى آخر، حتى صار من الصعب حقاً معرفة نقاط الانتهاء، ونقاط التشابك، ونقاط الانطلاق. فالقلق الذى نتحدث عنه هو قلق الفرد العراقي ليكشف درب وجوده الذي يتمناه - بل هو في الواقع – نتيجة "الجدلية الحتمية" القائمة بين الولاءات المتناقضة. إنه قلق اجتماعي في أصوله وطبيعته وخصائصه ونتائجه، وليس

قلقاً فردياً وأنانياً أثارته مصلحة ذاتية كما تنظر إليه الفلسفة الوجودية التي تؤكد الجانب الذاتي. القلق الاجتماعي يشير إلى الصراع القيمي، والانظمة الطبقية، والحرمان والمظالم، والوعي بكل ما يتأجج في المرحلة إنه قلق يرمز إلى التناقض بكل اشكاله.

تقول الفلسفة الوجودية بعدم وجود سبب للقلق، وبعدم وجود موضوع له، فتحاول إجهاض القلق وتحويله إلى مجرد خوف من شيء محدود، لأن الخوف إجهاض للقلق وهو نوع للتواطؤ يعقده الإنسان بينه وبين ذاته ليخفف من الرعب والتمزق الذي يمكن أن يعتريه من جراء القلق إلى أدنى حد من الألم الذي يسببه الخوف. تنظر إلى القلق بوصفه عملية تراكمية، تجمعت عناصره عبر سنين طويلة من الحرمان، والظلم، والاستغلال، والتخلف، والتعصب، ومن الآمال التي قد تصل إلى مستوى الاساطير والطوبائيات، تدفع الأفراد لتغيير الواقع الموضوعي.

يستميل الواقع الموضوعي القلق العراقيين من كل دروب الحياة بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية، ومراكزهم، وطبقاتهم، لأنهم قلقون، ومتبرمون، يريدون تغيير ذلك الواقع. كان من حصيلة ذلك الواقع الموضوعي القلق أن تعايشت في وجدان الشخصية العراقية مستويات مختلفة من الحرمان والتذمر والقلق توثر في توجيه السلوك واتخاذ المواقف.

مارست الولاءات القوقعية المتعددة مختلف الضغوط على وجدان الفرد ولم يستطع تحطيم حدودها ليتسامى عليها، ويتحول جذرياً إلى الشمول، إلى وجهة نظر شاملة، فكونت من الشخصية مرجلاً يغلي بالتناقضات والتفاعلات التي طبعت الشخصية ببعض الخصائص تلك التناقضات حسب البعد التاريخي هي، بين البداوة والحضارة، بين المدن المختلفة، بين الديانات، بين الطوائف الدينية، بين العناصر والأجناس، بين الطبقات، بين القديم والجديد، بين الدينية والعلمانية، بين الاستعمار والقومية، بين الرجعية الاقطاعية والاشتراكية.

5 أهم الاطارات الفكرية لدراسة الشخصية العر اقية[1]

لعل أكثر الاطارات خصباً وعطاء في دراسة الشخصية العراقية هي: (١) الإطار الفكري السومري، الذي أبدع أول مجتمع اشتراكي عرفه التاريخ قائم على أسس دينية معبدية نسميه المجتمع التعاوني الزراعي الاشتراكي المعبدي وقد حاول تكوين وجهة نظر شاملة تجمع أبناء المدينة مثل سومر وأور ولارسا وغيرها ولكنه لم يحرز نجاحاً وترك في الوجدان تعصباً لقوقعة واحدة. (٢) الإطار الأكدي، يقوم على البداوة والتعصب، فنشب صراع بين الاطار السومري المعبدي والاطار القبلي الأكدي. (٣) الإطار البابلي، طور مفهوم سيادة القانون والعدالة الاجتماعية في قوانين حمورابي. (٤) الإطار الآشوري، ركز فكرة الامبراطورية ومحاولة تكوين ولاء سياسي قسري. (٥) الإطار الكاشي – الساساني. (٦) الإطار العربي الإسلامي، بعض الأحاديث التي تصف العراقيين وروايات المفسرين، نظرية الامام علي بن أبي طالب، نظرية الحسين بن علي بن أبي طالب، نظرية المختار، نظرية

[1] لا يتسع المجال التعريف كل اطار وقدرته على دراسة الشخصية العراقية، نكتفي بذكر بعض الاطارات فقط.

الحجاج، نظريات متفرقة في العصر العباسي، نظرية المغول، السلاجقة، الفرس، الاتراك، الإنكليز، فيصل. ويمكن إضافة عدد آخر من المؤرخين ورجال السياسة والفقهاء والمشرعين والأدباء والشعراء وانطباعات الرحالة العرب والمستشرقين وغيرهم.

6 أعراض القلق والنزاع القوقعي

من الممكن ان نذكر بعض الأعراض العامة التي نجمت عن القلق والنزاع القوقعي بكل اختصار منها: (١) الثورات والانقلابات والحروب الداخلية والمنازعات القبلية والطائفية والعنصرية. (٢) المظاهرات والاعتصامات والمسيرات. (٣) إعلان الأحكام العرفية وحل البرلمانات وتعطيل الصحف. (٤) الاعتقالات والنفي والطرد والفصل والعزل. (٥) اغلاق المدارس والمعاهد والجامعات. (٦) سقوط الوزارات وعزل الولاة واسقاط الجنسية. (٧) التخلف.

7 أهم الخصائص التي تتميزبها الشخصية العر اقية هي:

(١) إنها شخصية حية لأنها حصيلة صراع مستمر لكل تلك القواقع المتعارضة المتناقضة التي لم تستطع توحيدها وصهرها وتأليف كل منسجم منها فتعايشت في وجدانها قيم مختلفة تتهاون حيناً وتتنزع أحياناً كثيرة فهي ليست مصابة بانشطار الوجدان كما يتصور البعض وإنما تقوم بأدوار متعددة ومتناقضة. لهذا تصف سلوكيتها بالجدية، لأنها تعمل ضمن حدود قواقع متعددة، لغوية (عربية وكردية وفارسية وتركية وغيرها)، وقبلية ومحلية ومدنية (نسبة إلى المدينة) وطائفية، وايديولوجية.

(٢) تنتقل من قوقعة إلى اخرى بقفزة واحدة كما تقفز الضفدعة فتغير مواقعها إزاء القضايا الخاصة والعامة.

(٣) تمجيد الذات وتعظيمها بالرجوع إلى التاريخ، فالحاضر الذي يعيشه مصدر الامه وشقائه والماضي ينبوع لأمجاده و مفاخره. وقعت الشخصية العراقية بين هاتين العقدتين فمرة تمجد ذاتها وأخرى تتهمها بالخيبة والفشل. تجد في نبش أمجاد الماضي عزاء وتسلية، بل تنكمش إلى الماضي هرباً من حاضر مؤلم.

(٤) يعتز العراقي بكرامته وبشخصيته ويبالغ أحياناً في تكبير وتوسيع أبعادها، وترجع هذه الصفات إلى أصول تاريخية، كالأسرة والعشيرة والمحلة والقرية والمدينة وغيرها لأن كل أصل من هذه الاصول يبذر في الوجدان نوعاً من التعصب والتحيز والولاء. وكثيراً ما يوجه هذا الاعتزاز بالكرامة في المنازعات القوقعية.

(٥) الاندفاعات المفاجئة: تندفع الشخصية العراقية اندفاعاً مفاجئاً وتنفجر انفجاراً غير متوقع حتى قيل إن العراقيين في سلوكيتهم التي تهب مرة واحدة وتنطفئ مرة واحدة مثل "نار الحلفة". لقد اضطرت القواقع المتعددة أن يكون العراقي في حالة من الاستنفار والتربص الدائمة.

(٦) العقدة ضد السلطة: ترجع جذور هذه العقدة إلى العهود الغابرة حين كان الحكام غرباء أجانب، ظلاما مستبدين، فانقطعت كل صلة بين الشعب وحكامه، واستمرت رواسب هذه العقدة تحرك الشخصية العراقية.

(٧) السلبية عن طريق تأكيد الفردية: تتهم رواسب العقد النفسية المذكورة كل محاولة للمرونة والايجابية والانفتاح القوقعي بالمبايعات في المزاد السياسي. تؤكد الفردية والسلبية الفروق والاختلافات وعدم الثقة بالآخرين وقلة التعاون وكراهية الانظمة.

(٨) المبالغة والتطرف: ونتيجة لفترات الحرمان الطويل تنطلق الشخصية متطرفة في التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها سواء كانت أحاسيس المحبة أو مشاعر الكراهية حتى قيل في وصف الشخصية العراقية إذا أحبت عبدت وإذا كرهت داست بأقدامها نفس الشخوص والمواضيع.

(٩) الاستمرار في محاولة الحفاظ على الحدود النفسية والاجتماعية التي تفصل القواقع بعضها عن بعض باللجوء إلى مصطلحات قشرية وسطحية من المجاملات التي تحول دون نشوب نزاع مباشر بين شخص وآخر ينتميان إلى قوقعتين متنازعتين والتي ترمز إلى الصداقة في المظهر ولكنها تحافظ على المسافات والابعاد النفسية، وتتجنب طرح المواضيع الملتهبة ومناقشتها.

(١٠) عقدة البطل الشعبي: يكمن في أعماق الشخصية العراقية حب حقيقي، وتقدير منقطع النظير للبطل الشعبي الذي تؤلف سيرته نواة صلبة في فضائل التراث الاجتماعي. ترمز حياته إلى طموح الجماهير المضطهدة، حولها نسجت الاساطير الشعبية صفحات رائعة. وتتضمن الشخصية العراقية إلى النقيض من ذلك عقدة كراهية الظالم والدجال. وبالرغم من مرور القرون العديدة لاتزال الذاكرة الجماعية تمجد الأبطال الشعبيين، النماذج الاجتماعية في التضحية والفضيلة.

(١١) العنف: تتميز السلوكية القوقعية القلقة بالعنف في معاملة الخصوم، ولعل السبب في ذلك تراكم المظالم، وتجمع الحرمان والانتظار مدة طويلة، وخوفاً من فوات الفرصة، وشل حركة الخصوم. ترجع جذور هذه الظاهرة إلى الماضي السحيق: السومريون والأكديون والآشوريون والبابليون والأمويون والعباسيون.

(١٢) سلوكية مزدوجة من العمل المكشوف والعمل السري: إذا كانت القواقع تخشى بعضها البعض الآخر، وترهب من "الأفعال" و"ردود الأفعال" فإنها تعمل على مستويين: الأول خفي وسري والثاني علني مكشوف. فالأول يعطي للشخصية القدرة على الانكماش إلى القواقع في الازمات والحركة في المستوى المكشوف اذا سنحت الفرصة.

وخلاصة القول تتفاعل كل هذه العقد والمركبات النفسية والاجتماعية في وجدان العراقي فتوجه سلوكه، ويتحدد الدور الاجتماعي الذي يقوم به. ينتقل العراقي في حياته اليومية داخل عوالم نفسية متناقضة، يقوم الولاء في أحدها على مقاومة الولاءات الاخرى. فالفرد العراقي القلق يناضل من أجل تغيير الواقع الموضوعي لينقذ نفسه ويصنع تاريخه ويخطط مصيره، ويعمل لدعم وجهة نظر شاملة تسمو على الولاءات القويعية، وبذلك تتعمق خبرته في التطبيق الانساني النبيل، وتتفتح

الشخصية شخصيته، ويكثر ابداعها، وتتبلور أخوة المواطنة، وتتكامل الشخصية. إن المجتمع الذي تتطلع إليه الطلائع المثقفة خال من الولاءات القوقعية ورواسب التحيزات، مجتمع تتوافر فيه المشاركة في شرف الخدمة العامة وتكافؤ الفرص كحد أدنى لقيام العدالة الاجتماعية

8 كيف نتوصل إلى مجتمع خال من الولاءات القوقعية؟

ليست الولاءات القوقعية من الظواهر المطلقة التي تتجاوز بعدى الزمان والمكان وإنما هي في الواقع كانت من الوجهة التاريخية أساليب حضارية توصل إليها العراقي في محاولاته المستمرة للتكيف، ظهرت في مرحلة تاريخية وكان من الضروري أن تتوارى لتحل محلها ولاءات أوسع افقاً واكثر شمولاً، حتى تختزل التناقضات إلى الحد الأدنى وينشط العمل التعاوني. يتم الانتقال بصورة إرادية طوعية، لكنس الحساسيات كافة وإيجاد الخطوط المشتركة.

تستطيع الشخصية أن تتحرر من الولاء القوقعي والواقع الموضوعي القلق المهشم بتطبيق النظرية الاجتماعية الاشتراكية التي تسمو على كل التحيزات القبلية والمحلية والاقليمية الطائفية والعنصرية وغيرها، والوصول إليها أمر ممكن وواقع تأريخي وذلك بتغيير الظروف الموضوعية تغييراً جذرياً وشاملاً، أي القضاء على الأسس المادية التي تقوم عليها القواقع، وخلق واقع موضوعي جديد. ونتيجة لذلك تتغير تطلعات الفرد، لأنه تبنى تطلعاً تاريخياً شاملاً.

وأكاد لا أجد في الافق الحضاري المعاصر ما يستطيع أن يوجه الاجيال الصاعدة، ويجتث الكراهيات والأحقاد والضغائن والتحيزات غير "الاشتراكية" التي توقظنا من سباتنا العميق، لننفض عن وجه المجتمع غبار التخلف[1].

[1] يناقش الكاتب كيفية الوصول إلى مجتمع خال من القواقع الولائية فيعرض مفهومي "الاسهام" أو "المشاركة في الخدمة العامة" و"تكافؤ الفرص" لكنس الأحقاد، ويضيف إلى ذلك قيام الطلائع القيادية "بالمراجعة"، اقامة حوار صريح للرواسب التاريخية لغرض ايجاد خطوط مشتركة، تنقذ عملية المراجعة المجتمع من خطر التمزق والبعثرة.

الشخصيَّة العراقيَّة

مُتبنَّيات ومُنطلقات[1]

متعب مُناف

2005

البروفيسور الدكتور **مُتعب مُناف جاسم السامرائي** (1939-2019)، حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع من Syracuse University في الولايات المتحدة الأميركية. أستاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد. من أهم كُتبه: ثورة على القيم، تاريخ الفكر الاجتماعي، السوسيولوجيا العابرة، محاضرات في النظرية الاجتماعيَّة.

لا بد من البحث عن **أبعاد للشخصيَّة الأساس** Basic Personality في المجتمع العراقي، ونعني بها النمط السلوكي الذي يستقطب اكبر عدد من المواصفات المشتركة إلى حد التمايز بين ثقافة وأخرى. هذه المواصفات المشتركة هي: انطواء/ انفتاح، انسجام/ اصطدام، تعاون/ تقاطع، اهتمام/إهمال، صلابة/ مرونة، قديم/ حديث، داخل/ خارج، امرأة/ رجل، عرف/ قانون، مدينه/ ريف، ماديه/معنوية، قريب/ بعيد، ثقافة شعبية/ثقافة نخبوية، طائفة/طائفية، زمن محدد/زمن مفتوح، أبوية/ أبنائية، نقل/ عقل، دين/ تدين، حاضر/ ماضي. فالانفتاح والانسجام والتعاون والاهتمام والحديث والخارج والمرونة والمرأة والتعاون وثقافة النخبة والآخر والأبنائية والزمن المفتوح والطائفة والعقل والدين والتركيز على الحاضر هي من (الايجابيات). أما الضد مثل: التقاطع والإهمال والرجل (مركب الذكورة) والعرف والثقافة الشعبية والزمن المحدود والأبوية (مركب الأبوة) والطائفية والنَقْل والتدين السياسي والشعبي والماضي هي من السلبيات. فما هو مجموع الصفات التي يمكن أن تستقطبها هذه الشخصيَّة القاعدية سلباً أو إيجابا؟

وواقعاً فان الاستقطاب لا يمكن أن يكون أحاديا بل ثنائياً وهذا يسري على كل الشخصيات القاعدية فالعامة، ولكن المشكلة الأساس، أن الشخصيَّة ورغم استقطابها للثنائية كحل سلوكي واقعي فإنها توافقت مع الدين. إذ أن الديانات هي الأخرى تقر بهذه الحقيقة (الثنائية). فالنفس الإنسانية (إسلاميا) قد أُلهمت فجورها وتقواها.. قُدم الفجور على التقوى للدلالة على أن السلوك إنما يبنى من خلال التجربة، وليس هناك تجربه أكثر عمقاً وتحريكاً من الخطأ الذي يترتب عليه تحول الإنسان إلى السلوك السليم (التقوى) ونظراً لتداخل الفعل السلوكي من استجاباته لضواغط المجتمع وضوابطه، فإن ردود الفعل لا تكون (معقولة) وإنما هي (مقبولة). وانقسام السلوك بين المعقول والمقبول إنما يتم عن طريق الثقافة السائدة والتي تمثل المرجعية الأكبر التي

[1] ورقة قُدمت في ندوة بيت الحوار العراقي، ثم صدرت في مجلة النبأ، العدد 74، 2005.

تحرك الأداء الإنساني. إن هذه الثقافة هي تجميع لقوالب يمكن أن تستوعب العقل الإنساني لذا لا بد من اختبارها واقعياً عن طريق المجتمع كما في رسمه المثلث (1).

مثلث 1: العلاقة بين الثقافة والمجتمع والشخصيَّة

في المجتمع العراقي، فإن العلاقة بين الثقافة Culture والشخصيَّة Personality حيث يدخل المجتمع نفسه وسطاً بينهما، إنما يكون علاقة هيمنة وليس علاقة تعاقد.

نظراً للتقارب الجيلي بين الآباء والأبناء، فإن الثقافة التي يمثلها (الجيل الآبائي) إنما تفرض على الجيل (الأبنائي)، من شابه أباه فما ظلم! في الوقت الذي ينبه عقلاء التراث وفي المقدمة الإمام (علي) (عليه السلام) إن الجيل الأبنائي يجب لا يعامل وكأنه مستنسخ سلوكياً (Behavioral copies) للجيل الآبائي. إلا إن الواقع الحياتي/ السلوكي يتحرك بالضد من هذه العقلانية في التعامل السلوكي، إذ يؤكد جيل الإباء أحقيته في امتلاك التصرف في المرجعيات الثقافيَّة الحاكمة والمتحكمة إلى حد اتهام جيل الأبناء بالانحراف والمروق وإساءة التصرف، لذا ما تسقطه أو ترتضيه الشخصيَّة القاعدية محكوم برغبة جيل الإباء وتسلطه إلى حد الوصاية على الأجيال الجديدة بدعوى حراسة الموروث القيمي.

إن من أقسى نواتج الوصاية الابوية في المجتمع العراقي وجواره العربي المسلم والشرقي أن برزت شخصيَّة الأب القوي ذي القدرة على تعدد الزوجات المخيف العفيف في الظاهر والماجن في الداخل، إنه الأب والرب (رب الأسرة) لذا فإن خيره نُعمى، وان شره خير وان حكمه (ماضٍ) على الأبناء (قاسٍ) على البنات. يمارس الأب كل التقاطعات السلوكية ليحفظ الشرف الذي يكسره يومياً منطلقاً من أحقية وصدقية (الفقه الذكوري/ الأبوي) والناتج إن الشخصيَّة العراقيَّة تحولت مستفزة، وللحفاظ على واقعها غير المستفز (القناع الذي تريد أن تبدو به) (Persona) فإنها وصَمَتْ الأبعد قليلاً منها بأنه (غريب) وهذا يسري حتى على الأقارب، ناهيك عن الأباعد. فالأقارب عقارب! أما الغريب وقد يكون من نفس الوسط المكاني أو البلَدَ نفسه أو من القرى أو المدن أو البلدات القريبة فهو ذِئب وأنَّ عضته لا تطيب أي (تشفى).

وبذلك ظهرت شخصيتان متداخلتان في سلوك العراقي أحداهما (برانية) لمن يطلق عليه أو يوصم بأنه غريب والثانية (جوانية) لمن لا تنطبق عليهم الأوصاف المصنوعة الخاصة بالسلوك البراني.

هذا الوضع النفسي/الاجتماعي المركب والتداخل بين البرانية والجوانية السلوكية الذي نتج عن ظرف الشك والتشكيك الذي تعاني منه الشخصيَّة العراقيَّة زاده تعقيداً سلوك أَب قاس وأم خاضعة، مما زاد في استنفار الشخصيَّة إلى حد الاستفزاز ولتبرير مثل هذا الاستفزاز وتحويله إلى إليه للحفاظ على ذات الشخصيَّة العراقيَّة، فقد لجأت الثقافة إلى التراث فوظفت النص المقدس الذي يجمع بين الحُمرْ (الظباء) وبين القسورة (الأسد) (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ، فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ). فالذات هي الحُمرْ والقسورة هي الآخر (الغريب) أبن المدينة أو القرية أو الوسط السكاني الآخر ثم الأبعد. لذا فإن تكريس آلية الاستنفار ورفع رد الفعل هذا إلى حَدّ الاستفزاز هو الذي يضمن سلامة الشخصيَّة العراقيَّة. وبذلك امتد سلوك الشخصيَّة العراقيَّة بين الاستنفار والاستفزاز بقوة إلى حد العُنْف (Violence).

وقد كرست حالة الاستنفار والاستفزاز أنظمة الحكم في العراق ودنيا العرب والمسلمين والشرق، حيث صنعت من هذه التداخلية السلوكية (استنفار/ استفزاز) صيغة أكثر حِدَّة جمعت بين الخوف من الآخر القريب إلى الخوف من الآخر البعيد في الوقت الذي احتكرت فيه التعامل مع الآخر البعيد لنفسها!

لقد بدلت الدولة مركب: استنفار/ استفزاز/ كمون الذي تعاني منه الشخصيَّة العراقيَّة بمثلث لاخترقها سلوكياً حاولت أن تتجاوز فيه مثلث: ثقافة/مجتمع/شخصيَّة. ومثلث الدولة إنما جمع بين العَلَمْ والشعار والنشيد، وكما في الرسمه (2)، فالعلم يترجم نمط الحكم كما في أَلوان علم الثورة الفرنسية أو الاتحاد السوفيتي السابق بل وحتى الإعلام في الإسلام بألوانها الأبيض والأخضر والأحمر والأسود أما الشعار فانه يمثل اللازمة الفكرية التي يجب أن يعتمدها المجتمع.

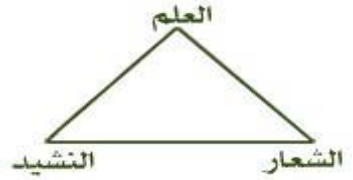

الرسم 2: يعكس الثقافة السياسيَّة (علم/ شعار/ نشيد)

في الوقت الذي يفترض فيه أن يحرك النشيد الشخصيَّة حيث تبلغ التعبئة الفكرية مداها، فالعلم يخفق ويرفرف والشعار يطلق والنشيد يردد. وبذلك تكون الشخصيَّة قد انكمشت في كبسولة الدولة إلى حد عسكرتها (Militarization of Personality). مما يفتح الطريق إمام إطلاق ثقافة الاستعلاء التي تنفذ بآليات التهميش والاستئصال.

فالاستنفار والاستفزاز تحولا من المجتمع إلى الدولة (السياسة). وبذلك اتسعت دائرة الضياع التي يشعر بها الفرد العراقي إلى الحد الذي وجد نفسه ضحية مؤامرة كبرى شارك بوهمه في صناعتها مستغلاً من قوى خارجية، وأصبح الأقرب إلى توصيفه سلوكياً بأنه الحرير في دائرة الشوك.

تقرير

الشخصيَّة العراقيَّة في 16 Personalities [1]

(**16 Personalities**) تقريرٌ عالَمي عن سمات الشخصيَّة، يستند إلى **مؤشر مايرز- بريغز للأنماط** The Myers-Briggs Type Indicator (MBTI)، وهو تقييم للشخصية يُحدد 16 نمطاً من الشخصيَّة، طورته إيزابيل بريغز **مايرز** Isabel Briggs Myers ووالدتها كاثرين كوك **بريغز** Katharine Cook Briggs خلال الحرب العالمية الثانية، بالاستنادِ إلى نظرية كارل **يونغ** Carl Jung في الشخصيَّة.

إيزابيل مايرز (1897-1980) وكاثرين بريغز (1875-1968)، الكبيرتان.

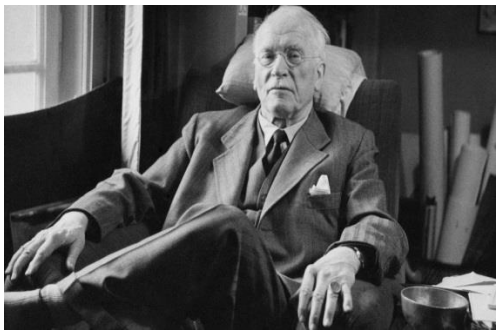

كارل يونغ (1875-1961)

مؤشر مايرز- بريغز استبانة تقرير ذاتي، تُمثَّل فيها كل شخصية بمجموعة من أربعة أحرف تُمثِّل اختصاراً لسمات معينة: (1) **الانبساط** Extraversion (E) مقابل **الانطواء** Introversion (I) (الاتجاهات): يميل الانبساطيون إلى التواجد والتفاعل والتشارك مع الآخرين، بينما يميل الانطوائيون إلى الوحدة والخصوصيَّة؛ (2) **الحدس** Intuiting (N) مقابل **الحس** Sensing (S): يميل الحدسيون إلى معالجة المعلومات بناءً على الأنماط والاحتمالات، بينما يعتمد الحسيون على التفاصيل والحقائق المُحددة؛ و(3) **التفكير** Thinking (T) مقابل **الشعور** Feeling (F): يميل التفكيريون إلى الاعتماد على المنطق لاتخاذ القرارات. بينما يتبع الشعوريون عواطفهم في اتخاذ القرارات؛ و(4) **الحكم** Judging (J) مقابل **الإدراك** Perceiving (P): يميل الحُكميون إلى البنية والترتيب والتنظيم والتركيز على موضوع واحد، بينما يميل الإدراكيون إلى المرونة والتكيف والتعدديَّة. وتُشكل التركيبات المختلفة للأحرف المذكورة أنواع الشخصيات التي يُحددها مؤشر MBTI:

[1] https://www.16personalities.com/country-profiles/iraq.

INTJ (المعماري Architect: انطوائيَّة I حدسيَّة N تفكيريَّة T حُكميَّة J): يتمتع أصحاب شخصية INTJ بنظرة فريدة للعالم، مما يجعلهم مُبتكرين بارعين. كما أنهم منطقيون، ويعتمدون على الملاحظات الموضوعية والتحليلات المُتأنية للتوصل إلى استنتاجات. تزدهر شخصيات INTJ عندما يكونون مُنفردين مع أفكارهم، مما يجعلهم أكثر انطوائية. وهم بارعون في تنظيم العمل وإنجازه وفق معايير أداء عالية. نقاط القوة: العقلانية، التفكير، الاستقلالية. ومجالات التحسين: تقبّل المشاعر، التنازل، تقبّل الفشل.

ENTJ (القائد Commander: انبساطيَّة E حدسيَّة N تفكيريَّة T حُكميَّة J): بصفتها النسخة الأكثر انفتاحاً من INTJ، يُصبح شخصيات ENTJ قادةً رائعين. فهم مباشرون، حاسمون، وسريعون في تحديد أوجه القصور في العمليات والحلول. ويستمتعون بتحديد الأهداف ووضع خطط طويلة المدى لحل المشكلات التنظيمية المعقدة. وعادةً ما تكون أفكارهم مستنيرة، ويجدون أن مشاركة معارفهم مع الآخرين أمرٌ مفيد. نقاط القوة: الثقة بالنفس، التخطيط الاستراتيجي، إلهام الآخرين. ومجالات التحسين: الصبر، ضبط المشاعر، العناد.

INFP (الوسيط Mediator: انطوائيَّة I حدسيَّة N شعوريَّة F إدراكيَّة P): يتميز أصحاب شخصية INFP بشخصية حالمة تأملية، يتفوقون في العمل الفردي. يميلون إلى الانطواء والتعبير عن أنفسهم. هم أصدقاء مخلصون، ويحرصون على قيمهم الشخصية. كما أنهم متعاطفون، أي أنهم بارعون في فهم احتياجات الآخرين وضمان عدم اضطرار أي شخص آخر للتنازل عن قيمهم. نقاط القوة: التفكير الشامل، الكرم، الانفتاح. ومجالات التحسين: التركيز على التفاصيل، المهارات الاجتماعية، تقبّل الملاحظات البناءة.

ENFP (الناشِط Campaigner: انبساطيَّة E حدسيَّة N شعوريَّة F إدراكيَّة P): على غرار INFP، يتميز أصحاب شخصية ENFP بالإبداع والشغف. مع ذلك، فإن أصحاب شخصية ENFP منفتحون (يُكتبون أحياناً "منفتحون"). كما أنهم منفتحون، وبارعون في جمع الناس معاً، وجعل كل مهمة بمثابة مغامرة. إنهم بارعون في حل المشكلات، ويستمتعون بالتحديات الجيدة. نقاط القوة: الحماس، الإقناع، العفوية. ومجالات التحسين: المهارات التنظيمية، الاستجابة العاطفية، الدافع الداخلي.

INTP (المنطقي Logician: انطوائيَّة I حدسيَّة N تفكيريَّة T إدراكيَّة P): تتميز شخصيات INTP بالانطوائية، وتجد قيمة أكبر في الأفكار من التفاعل الاجتماعي. إنهم تحليليون، فضوليون، ويفكرون خارج الصندوق لإيجاد حلول قد تبدو غير بديهية. عادةً ما يكونون هادئين، ولديهم قدرة عميقة على التركيز. كما أنهم منفتحون على الأفكار الجديدة، ويستمتعون باتباع نهج غير تقليدي في الحياة. نقاط القوة: الفضول الفكري، الشك، الأصالة. ومجالات التحسين: التفكير المفرط، التواصل الاجتماعي، نفاد الصبر.

ENTP (المُجادِل Debater: انبساطيَّة E حدسيَّة N تفكيريَّة T إدراكيَّة P): تتميز شخصيات ENTP بسرعة البديهة ومهارة عالية في العصف الذهني. إنهم يركزون على الأفكار، مبدعون، وذوو كاريزما. يتميز أصحاب سمات ENTP بمزيج فريد من الجاذبية والمعرفة، ويتميزون بانبساطهم وحماسهم. لديهم مهارات تواصل قوية، وهم خبراء في فهم الآخرين. ولهذا السبب، غالباً ما يتفوقون في الأدوار العامة. نقاط القوة: التفكير المجرد، توليد الأفكار، البراعة. ومجالات التحسين: المتابعة، التسامح، التسويف.

ISTP (الموهوب Virtuoso: انطوائيَّة I حسيَّة S تفكيريَّة T إدراكيَّة P): يتميز أصحاب شخصية ISTP بالمرونة وقوة الملاحظة. إنهم متعلمون عمليون، مما يجعلهم بارعين وواسعي الحيلة، خاصة في مجالات مثل الميكانيكا أو الحرف اليدوية. يُقدّرون التواصل المباشر ويفهمون العالم من خلال التفكير المنطقي. كما أنهم يعتمدون على أنفسهم ويتفوقون في التركيز على الحاضر. نقاط القوة: القدرة على التكيف، حل المشكلات، الأصالة. ومجالات التحسين: الشك المفرط، الحساسية العاطفية، الالتزام.

ESTP (المُقاول Entrepreneur: انبساطيَّة E حسيَّة S تفكيريَّة T إدراكيَّة P): تتبنى شخصيات ESTP نهجاً عملياً في الحياة، وقد تجد النظريات والمفاهيم العامة مملة. إنهم نشيطون وعفويون، ويتعلمون بشكل أفضل من خلال الممارسة. يتميزون بفطنتهم العالية، وقدرتهم على تحديد متى يجب تغيير شيء ما. كما أنهم اجتماعيون، مما يجعلهم قادةً طبيعيين للمجموعات، حتى عندما لا يسعون إلى أدوار قيادية. نقاط القوة: الميل إلى الفعل، التسامح، المهارات الاجتماعية. ومجالات التحسين: الاندفاع، الالتزام بالهيكل، التفكير في الصورة الأكبر.

ISFP (المُغامر Adventurer: انطوائيَّة I حسيَّة S شعوريَّة F إدراكيَّة P): على الرغم من أن أصحاب شخصية ISFP انطوائيون، إلا أنهم مخلصون وملتزمون تجاه من حولهم. يدفعهم انطوائهم إلى الهدوء واللطف والتشجيع في الوقت نفسه، مما يجعلهم محبوبين وأعضاءً رائعين في الفريق. لديهم خيال جريء، وشغوفون جداً باهتماماتهم، ويميلون إلى تشجيع الآخرين على اكتشاف شغفهم أيضاً. يتفوقون في المناصب التي تتيح لهم الإبداع والتعاطف. نقاط القوة: الاستقلالية، صنع السلام، المرونة. ومجالات التحسين: الحساسية، التخطيط طويل المدى، تقدير الذات.

ESFP (الفنان Entertainer: انبساطيَّة E حسيَّة S شعوريَّة F إدراكيَّة P): الشخصية الأكثر انفتاحاً من ISFP هي ESFP. يتميز أصحاب هذه الشخصية بالود والانفتاح، مما يجعلهم مُسليين رائعين. كما أنهم متقبلون للآخرين ويتمتعون بمهارات اجتماعية ممتازة. كما أنهم مفكرون إيجابيون يتكيفون بسهولة مع الأشخاص الجدد وبيئات العمل. فهم يجعلون العمل ممتعاً، مع اتباع نهج واقعي ومنطقي لحل المشكلات. نقاط القوة: الإبداع، التفاؤل، الود. ومجالات التحسين: تجنب الصراعات، الحساسية، التركيز.

ISTJ (اللوجستي Logistician: انطوائيَّة I حسيَّة S تفكيريَّة T حُكميَّة J): تتميز شخصيات ISTJ بالدقة، والاعتمادية، والمسؤولية. يتميز أصحاب هذه الشخصية بالواقعية، والانضباط، والتنظيم العالي. يلتزمون بدقة بالإرشادات، مما يجعلهم منتجين للغاية ويلتزمون بالمواعيد النهائية بشكل موثوق. كما أنهم هادئون وعمليون، مما يساعدهم على اتخاذ قرارات عقلانية. نقاط القوة: الموثوقية، النزاهة، الصدق. ومجالات التحسين: مقاومة الإرهاق، العناد، العفوية.

ESTJ (التنفيذي Executive: انبساطيَّة E حسيَّة S تفكيريَّة T حُكميَّة J): يتميز أصحاب شخصية ESTJ بالحزم وسرعة التصرف. يمكنهم أن يكونوا مديري أفراد ومديري مشاريع رائعين بفضل مهاراتهم التنظيمية وكفاءتهم. يتميز أصحاب شخصية ESTJ بالتفاني، والإرادة القوية، ويستمتعون ببناء النظام من الفوضى. يفضلون القدرة على التنبؤ، ويلتزمون تماماً بالمعايير العالية. نقاط القوة: التنفيذ، النزاهة، التفويض. ومجالات التحسين: المرونة، إدارة التوتر، التعبير العاطفي.

ISFJ (المُدافع Defender: انطوائيَّة I حسيَّة S شعوريَّة F حُكميَّة J): تتميز شخصيات ISFJ بضمير حيّ وملاحظة عالية. يتذكرون تفاصيل دقيقة ويهتمون بمشاعر الآخرين تجاه قراراتهم. يفخرون بالعمل الجاد، وغالباً ما يتجاوزون التوقعات. كما أنهم دقيقون، داعمون، وعمليون، مما يجعلهم أعضاءً متكاملين في الفريق لأي مشروع. نقاط القوة: الالتزام، الصبر، الاجتهاد. ومجالات التحسين: النفور من التغيير، كبت المشاعر، الحساسية.

ESFJ (المُساعِد Consul: انبساطيَّة E حسيَّة S شعوريَّة F حُكميَّة J): يُعتبر أصحاب شخصية ESFJ من الشخصيات المنفتحة على الآخرين، وهم اجتماعيون، مهتمون بالمجتمع، ومتميزون في التواصل مع الآخرين. إنهم مخلصون، حازمون، ومبادرون، ولديهم رغبة قوية في مساعدة الآخرين. يُقدّرون الاستقرار وتقدير مساهماتهم، وهم متعاونون عمليون. نقاط القوة: العمل الجماعي، الاتساق، الحماس للمساعدة. ومجالات التحسين: الثقة بالنفس، العناية بالنفس، الخوف من الأحكام.

INFJ (المُناضِل Advocate: انطوائيَّة I حدسيَّة N شعوريَّة F حُكميَّة J): يُقدّر أصحاب شخصية INFJ التواصل والعلاقات الهادفة. ويرغبون في استخدام نقاط قوتهم لمساعدة الآخرين، ولديهم معتقدات أخلاقية راسخة. يتمتعون ببصيرة ثاقبة، مما يدفعهم لاكتشاف ما يحفز من حولهم. كما يُظهرون شغفاً وإبداعاً، مما يدفعهم إلى السعي نحو الكمال. نقاط القوة: الإيثار، الصدق، التنفيذ. ومجالات التحسين: السعي للكمال، مقاومة الإرهاق، التحفظ.

ENFJ (البطل Protagonist: انبساطيَّة E حدسيَّة N شعوريَّة F حُكميَّة J): على غرار شخصيات INFJ، يتميز أصحاب شخصية ENFJ بالود والتعاطف ولديهم بوصلة أخلاقية قوية. يلهمون الآخرين بطبيعتهم من خلال رغبتهم في مساعدة كل فرد على تحقيق كامل إمكاناته، مما يجعل الناس يشعرون بأنهم موضع تقدير. تعاطفهم، إلى جانب جاذبيتهم وقدرتهم على جذب الانتباه،

يجعلهم قادةً عظماء. نقاط القوة: الموثوقية، الانفتاح، الشغف. ومجالات التحسين: الحسم، الالتزام المفرط، إرضاء الناس.

		انبساطيَّة E		انطوائيَّة I	
		حدسيَّة N	حسيَّة S	حدسيَّة N	حسيَّة S
تفكيريَّة T	حُكميَّة J	ENTJ	ESTJ	INTJ	ISTJ
		القائد	التنفيذي	المعماري	اللوجستي
	إدراكيَّة P	ENTP	ESTP	INTP	ISTP
		المُجادل	المُقاول	المنطقي	الموهوب
شعوريَّة F	حُكميَّة J	ENFJ	ESFJ	INFJ	ISFJ
		البطل	المُساعِد	المُناضل	المُدافع
	إدراكيَّة P	ENFP	ESFP	INFP	ISFP
		الناشط	الفنان	الوسيط	المُغامر

تُحدد القائِمة كذلك أربعة وظائِف، وأربع استراتيجيات.

الوظائِف Roles (داخليَّة، تحدد الأهداف والاهتمامات والأنشطة المفضلة)، وهي:

المحللون Analysts (حدسيون N مفكرون T / مؤكدون وهادئون): تتميز هذه الأنماط الشخصية بالعقلانية والحيادية، وتتفوق في النقاشات الفكرية والمجالات العلمية أو التكنولوجية. يتميزون باستقلالية شديدة، وانفتاح ذهني، وإرادة قوية، وخيال واسع، ويتعاملون مع العديد من الأمور من منظور نفعي، ويهتمون بما يُجدي نفعاً أكثر مما يُرضي الجميع. هذه السمات تجعل المحللين مفكرين استراتيجيين ممتازين، ولكنها تُسبب أيضاً صعوبات في المساعي الاجتماعية أو العاطفية.

الدبلوماسيون Diplomats (حدسيون N شاعرون F / مؤكدون وهادئون): يركز الدبلوماسيون على التعاطف والتعاون، ويتألقون في الدبلوماسية والإرشاد. يتميز الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه المجموعة من الشخصيات بالتعاون والخيال، وغالباً ما يلعبون دور المُنسّق في مكان عملهم أو دوائرهم الاجتماعية. هذه السمات تجعل الدبلوماسيين أشخاصاً ودودين ومتعاطفين ومؤثرين، ولكنها تُسبب أيضاً مشاكل عند الحاجة إلى الاعتماد كلياً على العقلانية الباردة أو اتخاذ قرارات صعبة.

الحراس Sentinels (حسيون S حكميون J / مؤكدون وهادئون): متعاونون وعمليون للغاية، يُحافظون على النظام والأمن والاستقرار أينما ذهبوا. يميل الأشخاص الذين ينتمون إلى أحد هذه الأنواع إلى العمل الجاد والدقة والتمسك بالتقليدية، ويتفوقون في المجالات اللوجستية أو الإدارية، وخاصة تلك التي تعتمد على تسلسلات هرمية وقواعد واضحة. يلتزم هؤلاء الأشخاص بخططهم ولا يترددون في المهام الصعبة - ومع ذلك، قد يكونون أيضاً غير مرنين ومترددين في قبول وجهات النظر المختلفة.

المستكشفون (حسيون S إدراكيون P / مؤكدون وهادئون): يُعدّ هذا النوع من الشخصيات الأكثر عفوية، ويشترك في القدرة على التواصل مع محيطه بطريقة تتجاوز قدرة الأنواع الأخرى. يتميز المستكشفون بالنفعية والعملية، ويتألقون في المواقف التي تتطلب رد فعل سريعاً وسرعة بديهة. يتقنون استخدام الأدوات والتقنيات بطرق مختلفة، بدءاً من إتقان الأدوات المادية وصولاً إلى إقناع الآخرين. ومن غير المستغرب أن هذه الشخصيات لا غنى عنها في الأزمات والحرف اليدوية والمبيعات، إلا أن سماتها قد تدفعهم أيضاً إلى القيام بمساعٍ محفوفة بالمخاطر أو التركيز حصرياً على الملذات الحسية.

الاستراتيجيات Strategies (خارجيَّة، الأساليب المُفضلة لتحقيق الأهداف)، وهي:

الفردية الواثقة Confident Individualism (انطوائيون I مؤكدون): يُفضّل الأفراد الواثقون القيام بالأمور بمفردهم، مُعتمدين على مهاراتهم وغرائزهم بدلاً من السعي للتواصل مع الآخرين. إنهم يُدركون ما يُجيدونه ويتمتعون بثقة عالية بالنفس. تؤمن هذه الأنواع من الشخصيات إيماناً راسخاً بأن المسؤولية الشخصية والثقة بالنفس قيمتان بالغتا الأهمية. لا يُعير الأفراد الواثقون اهتماماً كبيراً لآراء الآخرين، بل يُفضّلون الاعتماد على أنفسهم.

الاتقان الاجتماعي People Mastery (انبساطيون E مؤكدون): يسعى أصحاب هذا الإتقان إلى التواصل الاجتماعي، ويميلون إلى امتلاك مهارات تواصل ممتازة، ويشعرون بالراحة في المناسبات الاجتماعية أو في المواقف التي يحتاجون فيها إلى الاعتماد على الآخرين أو توجيههم. يثق هؤلاء الأفراد بقدراتهم ولا يترددون في التعبير عن آرائهم. إن القيام بدور فاعل في المجتمع ومعرفة ما يحفز الآخرين أمران مهمان للغاية بالنسبة لأصحاب المهارات الاجتماعية؛ ومع ذلك، فهم لا يكترثون كثيراً برأي الآخرين فيهم.

التحسين الثابت Constant Improvement (انطوائيون I هادئون): يتميز أصحاب المهارات الاجتماعية بالهدوء والفردية. يميلون إلى الكمال والنجاح، وغالباً ما يبذلون الكثير من الوقت والجهد لضمان أن تكون نتيجة عملهم على أفضل وجه ممكن. وكما يوحي اسمهم، فإن أصحاب المهارات الاجتماعية هم أفراد متفوقون ملتزمون بحرفتهم - ومع ذلك، يميلون أيضاً إلى القلق الشديد بشأن أدائهم.

الانغماس الاجتماعي Social Engagement (انبساطيون E هادئون): تعتمد هذه الاستراتيجية الأخيرة الأشخاص الاجتماعيون، النشيطون، والساعون للنجاح. يميل أصحاب المهارات الاجتماعية إلى أن يكونوا أفراداً قلقين، يسعون للكمال، وعرضة لمشاعر إيجابية وسلبية للغاية. إن فضولهم واستعدادهم للعمل الجاد يعنيان أيضاً أنهم عادةً ما يكونون أشخاصاً ذوي إنجازات عالية، حتى وإن كانوا شديدي الحساسية. كما أن الأشخاص الذين يفضلون هذه الاستراتيجية يميلون إلى إعطاء أهمية كبيرة لآراء الآخرين؛ فهم يُقدّرون مكانتهم الاجتماعية ويحرصون على النجاح في كل ما يفعلونه.

المحللون	الفردية الواثقة	**المعماري** المؤكد – **المنطقي** المؤكد
	الاتقان الاجتماعي	**القائد** المؤكد – **المُجادل** المؤكد
	التحسن الثابت	**المعماري** الهادئ – **المنطقي** الهادئ
	الانغماس الاجتماعي	**القائد** الهادئ – **المُجادل** الهادئ
الدبلوماسيون	الفردية الواثقة	**المناضل** المؤكد – **الوسيط** المؤكد
	الاتقان الاجتماعي	**البطل** المؤكد – **الناشط** المؤكد
	التحسن الثابت	**المناضل** الهادئ – **الوسيط** الهادئ
	الانغماس الاجتماعي	**البطل** الهادئ – **الناشط** الهادئ
الحراس	الفردية الواثقة	**اللوجستي** المؤكد – **المدافع** المؤكد
	الاتقان الاجتماعي	**التنفيذي** المؤكد – **المُساعد** المؤكد
	التحسن الثابت	**اللوجستي** الهادئ – **المدافع** الهادئ
	الانغماس الاجتماعي	**التنفيذي** الهادئ – **المُساعد** الهادئ
المُستكشفون	الفردية الواثقة	**الموهوب** المؤكد – **المغامر** المؤكد
	الاتقان الاجتماعي	**المقاول** المؤكد – **الفنان** المؤكد
	التحسن الثابت	**الموهوب** الهادئ – **المغامر** الهادئ
	الانغماس الاجتماعي	**المقاول** الهادئ – **الفنان** الهادئ

خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة

طُبق **مؤشر مايرز- بريغز للأنماط** في العراق على عينة بلغت (11,459)، وبينت النتائج أن العراقيين كانوا أكثر **انطوائيَّة** بقليل من الانبساطيَّة (+0.47%)، وأكثر **حدسيَّة** بكثير من الحسيَّة (+10.96%)، أكثر **شعوريَّة** بقليل من التفكيريَّة (+0.23%)، أكثر **إدراكيَّة** بقليل من الحكميَّة (+0.12%)، وأكثر **هدوءً** بقليل من التوكيديَّة (+6.91%). وفي الوظائِف والإستراتيجيات كما في الجدول (بترتيبٍ تنازلي).

الدبلوماسيون	%34,67	الوسيط الهادئ	%8,80
المحللون	%29,03	المنطقي الهادئ	%6,68
الحراس	%21,17	الناشط الهادئ	%6,26
المُستكشفون	%15,12	المناضل الهادئ	%5,45
		البطل الهادئ	%4,11
		المعماري الهادئ	%4,08
		التنفيذي المؤكد	%4,01
		المنطقي المؤكد	%3,85
		المُساعد المؤكد	%3,78
		المُجادل الهادئ	%3,26
		الناشط المؤكد	%3,13
		البطل المؤكد	%3,11
		المعماري المؤكد	%3,04
		المغامر الهادئ	%3,00
		المُجادل المؤكد	%2,89
		المدافع الهادئ	%2,81
		القائد المؤكد	%2,71
		المُساعد الهادئ	%2,64
		القائد الهادئ	%2,52
		الفنان الهادئ	%2,43
		اللوجستي المؤكد	%2,18
		اللوجستي الهادئ	%2,09
		الوسيط المؤكد	%2.08
		المقاول المؤكد	%2.00
		التنفيذي الهادئ	%1,93
		الموهوب الهادئ	%1,90
		المدافع المؤكد	%1,73
		المناضل المؤكد	%1,71
		الفنان المؤكد	%1,68
		المقاول الهادئ	%1,58
		الموهوب المؤكد	%1,34
		المغامر المؤكد	%1,20

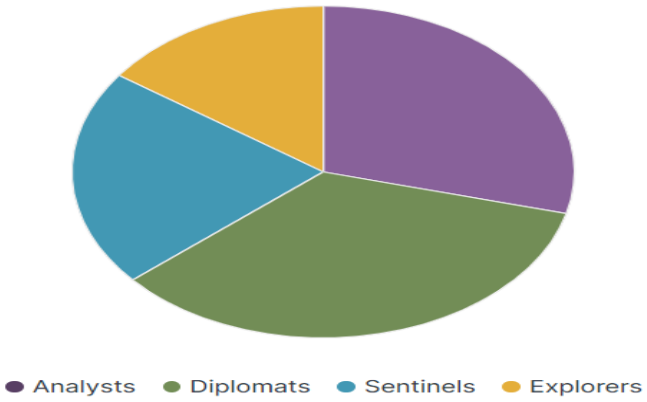

التحسن الثابت	%34,83
الانغماس الاجتماعي	%24,74
الاتقان الاجتماعي	%23,32
الفردية الواثقة	%17,11

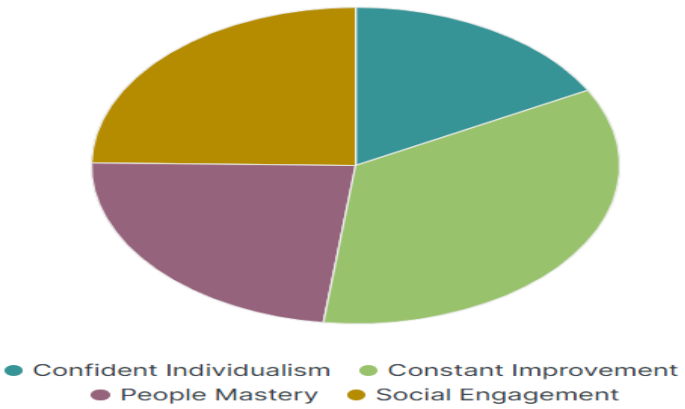

وبالمقايَسة مع العالَم والبلدان الأسيويَّة والولايات المُتحدة، في السمات، والوظائِف والاستراتيجيات، نجد العراق كما في الجدول، والأشكال الثلاثة، أدناه، على التتابع.

		العراق	العالَم	البلدان الأسيوية	الولايات المُتحدة
السمات	الانبساطيَّة	49.76	50.03	51.05	49.80
	الحسيَّة	44.52	45.04	46.42	45.40
	الشعوريَّة	50.12	54.49	54.25	57.40
	الإدراكيَّة	50.06	51.23	51.05	51.48
	الهدوئيَّة	53.46	52.57	53.34	53.58
الوظائف	المحللون	29.03	21.19	20.11	16.72
	الدبلوماسيون	34.67	40.65	38.31	44.43
	الحراس	21.17	23.02	24.44	23.91
	المُستكشفون	15.12	15.14	17.14	14.93
الاستراتيجيات	الفردية الواثقة	17.11	17.05	15.61	16.68
	التحسن الثابت	34.83	33.79	33.31	34.91
	الاتقان الاجتماعي	23.32	25.95	25.14	24.92
	الانغماس الاجتماعي	24.74	23.21	25.94	23.50

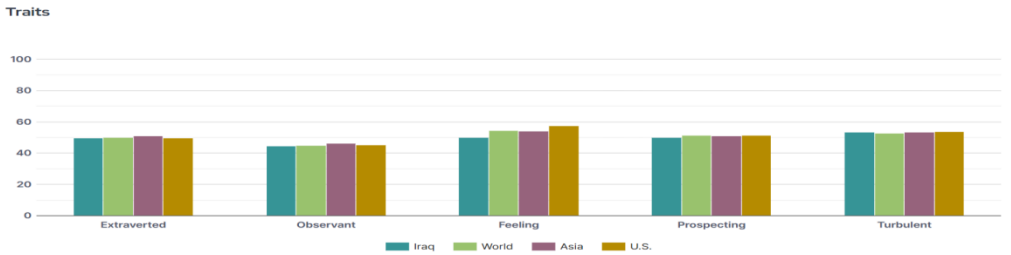

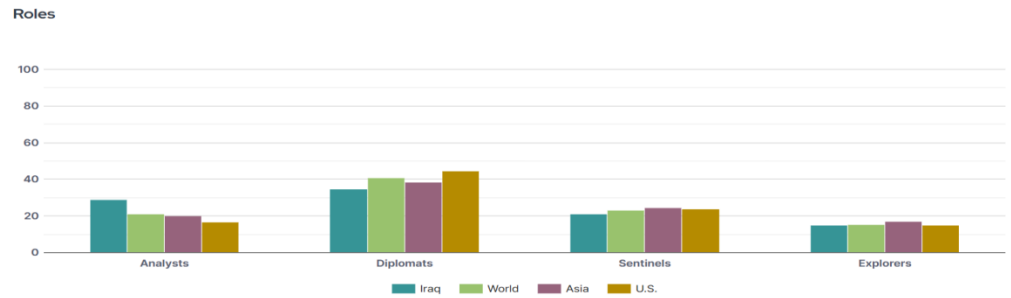

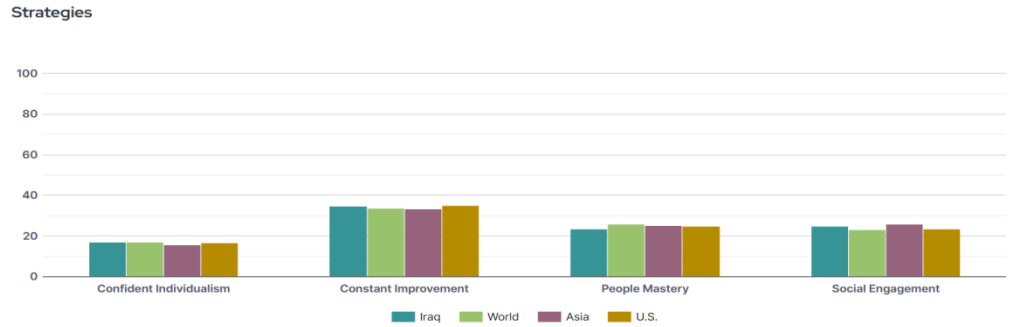

قراءات

الشخصيَّة العراقيَّة: محدود التداول

الاستخبارات العسكريَّة وجامعة بغداد تدرُس الشخصيَّة العراقيَّة بِسِريَّة!

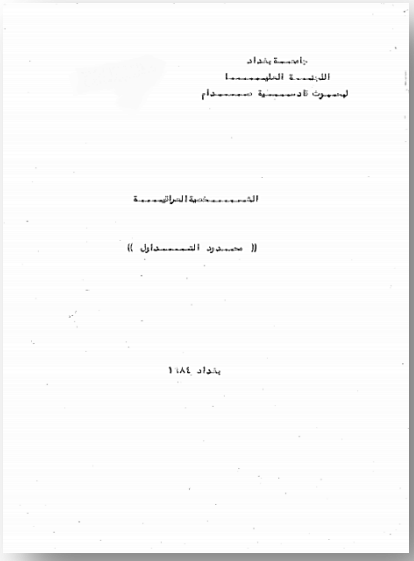

في (1984) صدر عن جامعة بغداد، كتابٌ بعنوان "**الشخصيَّة العراقيَّة**" (288 صفحة)، وسِمَ بـ "**محدود التداول**"، تضمَّن خمسة أبواب: (1) الشخصيَّة العراقيَّة: السمات والاتجاهات والقيم، و(2) الإطار التاريخي، و(3) الإطار الجغرافي، و(4) الإطار الأنثروبولوجي الاجتماعي، و(5) الإطار النفسي. ورد في تقديمه: "**يعتبر البحث في موضوع الشخصية من الموضوعات العسيرة. وان الباحث في الشخصية العراقية يجد نفسه أمام تحد كبير لتنوعها وتعقدها بسبب تنوع وتعقد ظروف المجتمع العراقي التأريخية والجغرافية والحضارية. ان تناول الشخصية العراقية في هذه الدراسة قد اعتمد مسلمتين اساسيتين هما وجود شخصية قومية عربية، وان الشخصية العراقية نسق فرعي للشخصية القومية العربية، والتي تعتمد على ترابط في اللغة والخبرات التأريخية المشتركة والتراث المشترك والمصير الواحد. ومن هذا المنطلق توجهت مجموعات من الباحثين لانجاز هذه الدراسة والتي تعتبر المحاولة الأولى لدراسة الشخصية العراقية بطريقة علمية منهجية تشمل الجوانب التاريخية والجغرافية والاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية، اضافة الى الدراسة الميدانية التطبيقية للقيم الشخصية والاجتماعية وتغطي بعض الصفات السلبية والايجابية. ويوضح الفصل الاول الاطار النظري للدراسة. ان هذه الدراسة الاولية تمثل اساسا علميا للدراسات اللاحقة والتي تعد من قبل الاساتذة المختصين وطلبة الدراسات العليا. وتوفر رصيدا من المعلومات التي تساعد في اتخاذ القرارات ورسم السياسات، وتخدم التوجه العام لبناء الفرد العراقي وجعله النموذج الذي تتطلع اليه الثورة في بناء الانسان**".

الباب الأول: الشخصيَّة العراقيَّة: السمات والاتجاهات والقيم

عبد العالي محمد سلمان وقيس عبد الفتاح مهدي وإبراهيم كاظم إبراهيم وليلى يوسف الحاج ناجي
(مركز البحوث التربويَّة والنفسيَّة)

1 الإطار النظري للدراسة

افتتح هذا الفصل بالقول: "**لعبت دراسات الشخصية القومية دورا في توجيه سياسات الدول وخاصة خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وفي ظروف الحرب مع العدوان الايراني ظهرت الحاجة الى دراسات في مجال الشخصية القومية، وقد قامت بعض المحاولات في دراسة الشخصية الايرانية والشخصية الاسرائيلية. ونظرا للفائدة التي ظهرت من مثل الدراسات، فقد برزت الحاجة لدراسة الشخصية العراقية**". وبين فيه أنَّه محاولة لاستعراض نتائج الدراسات الميدانية التي تناولت بعض جوانب الشخصية العراقية، وتحليل مضمون بعض الكتب الاجتماعية والانثروبولوجية والمقالات والمذكرات التي تناولت المجتمع العراقي، مع تثبيت ما جاءت به سلبا أو ايجابا "**خاصة وان الدراسة محدودة التوزيع**". وبعد أن عرف الشخصية والسمة والاتجاه والقيمة، استعرض المفاهيم الاساسية لدراسة الشخصية، وبالتحديد النظريات التي تناولت الشخصية الاجتماعية (نظريات الصيغة الكلية، نظرية البناء الأساسي للشخصية، نظرية الشخصية المنوالية، نظرية الطابع الاجتماعي، نظرية بناء شخصية المجتمع، نظرية الشخصية القومية).

2 عرض وتحليل الدراسات السابقة

استعرض هذا الفصل: دراسات السمات (3)، ودراسات الاتجاهات (8)، وأشر أنَّه "**دراسات السمات والاتجاهات لا تساهم في وصف الشخصية العراقية، وهذا يعود إلى طبيعة هذه الدراسات الجزئية من ناحية، وسعيها لدراسة متغيرات قليلة الصلة بالشخصية الاجتماعية**"، فانتقل إلى دراسات القيم (7)، وحللت هذه الدراسات وحددت جملة استنتاجات، منها أنها أكدت القيم الآتية: القيم الشخصيَّة: العملية، الانجاز، التنوع، الحسم، التنظيم، وضوح الهدف؛ القيم الاجتماعيَّة: المساندة، المسايرة، التقدير، الاستقلال، مساعدة الآخرين، القيادة؛ وفق تعاريف جوردن للقيم الشخصيَّة والاجتماعيَّة.

3 تحليل واستقراء للشخصيَّة العراقيَّة من خلال الكتابات

اعتمد تحليل المحتوى، بالطريقة البعديَّة، وكانت الكُتب المحللة: "لمحات اجتماعيَّة من تاريخ العراق الحديث" (الجزء الأول) لعلي الوردي، و"صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة (الجزء الأول) لجعفر الخياط، و"فصول من تاريخ العراق القريب" لمس بيل، و"عرب الأهوار" لفلانين، و"مذكرات سندرسن"، و"شخصية الفرد العراقي" لعلي الوردي. فأظهرت النتائج وجود (45) صفة للشخصيَّة العراقيَّة (16 ايجابيَّة، و24 سلبيَّة، و5 مختلطة)، بتكرارات متفاوتة. وكانت: المسايرة والاذعان، الاحترام والتقدير، الامانة والوفاء والصدق والصراحة، الشك واليقظة والحذر، العصبية القبلية

والاعتزاز بالنسب، التطرف والمبالغة، الشجاعة وحب البطولة والتوحد مع القائد البطل، القدرية والتفكير الخرافي، العدوان والخروج على النظام، السلبية والتمرد ومعاداة السلطة، المحسوبية والمنسوبية، الثأر، الطائفية، التدين، الاتجاه السلبي نحو المرأة، الصداقة، الغرور وحب الظهور، التحايل من قبل رجال الدين، الكرم والضيافة، التأكيد على الماضي، حماية الدخيل، جنسي، الذكاء، الازدواجية والتناقض، الاصرار، التسامح والتواضع، محافظ، ينزع إلى الاسقاط، يمنح الثقة، التحصير، الصبر، الايجابية، الشعور بالنقص أمام الأجنبي، عدم الموازنة بين الحقوق والواجبات، التطفل، الولع بالألفاظ، ينزع لتحقيق الأهداف العاجلة، الثقة بالكلام المطبوع، يجد اللذة بالألم، الميل إلى التعويض المادي، الشرف المرتبط بعفة المرأة، ينزع إلى السياسة، حب العدالة وكره الظلم، الحماسة للتغيير، التكاتف.

الباب الثاني: الإطار التاريخي

4 الإطار التاريخي لمحددات بناء الشخصيَّة العر اقيَّة

استعرض تاريخ العراق القديم، بجوانبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسيَّة، في الكشوفات الآثاريَّة العراقيَّة، مبيناً جوانب التطور المعاشية والفكريَّة والأدبيَّة، وخاتماً بـ "**فيما عدا أثر الفعل الطبيعي المتمثل بالفيضانات وأثر الفعل الاقتصادي المتمثل بالتناقضات الحادة بين المدخولات، وما يمكن لهذين العاملين ان يتركاه من أثر في السلوك الاجتماعي، فأن جميع الحالات الأخرى انما تمثل حالات سلوك فردية ولا يمكن سحبها على السلوك الاجتماعي لحضارة العراق القديم**".

5 الشخصيَّة العر اقيَّة في ضوء المنهج التاريخي

عماد عبد السلام رؤوف وعلاء موسى كاظم نورس

(مركز إحياء التراث العلمي العربي) (كلية الآداب - قسم التاريخ)

بين أنَّه يستهدف "**تحديد السمات العامة لهذا الشعب، الاصيلة منها والطارئة، ويعتمد هذا المنهج على الدراسة الموضوعية لكل حقبة من حقب التاريخ واستجلاء السمات المتكررة من هذه الحلقات وتلك المقترنة بحقبة بذاتها وصولا الى تحديد معالم الشخصية العر اقية**". فانطلق من الحقبة التالية لانهيار الدولة العرب الاسلامية بالغزو المغولي حتى الاحتلال البريطاني، لكونها "**اكثر الحقب تأثيرا على بناء الشخصية العر اقية المعاصرة بجو انبها الاصلية والطارئة**"، ومن ذلك انتقال مركز الثقل من المدينة إلى الريف، وقيام الكيانات القبلية، وهو ما عززته السيطرة البريطانية، كما كرست فكرة عجزه وتخلفه وتقليديته، ولكن "**احساس العراقي المرهف تجاه نوع السلطة التي تتولى امره ادى الى ضعف ثقته بها في احيان كثيرة، كما ان اجنبية هذه السلطة في عصور متعاقبة، وارتباطها بالأجنبي بالعهود التالية، زاد من حدة شعوره هذا، مما جعله يتطلع الى بطل يعلو على هذه السلطة ويوجهها كأداة في صالحهم، لا الحاكم هو جزء من تلك السلطة يعبرعن مصالحها هي رغم ان عدد من حكامه حاولوا التظاهر بهذه الصفة**".

الباب الثالث: الإطار الجغرافي

6 الظواهر الجغرافيَّة وانعكاساتها على الشخصيَّة العراقيَّة

صبري فارس الهيتي وعلي شلش وعبد المنعم عبد الوهاب ومحمد خليفة حسين
(كلية الآداب - قسم الجغرافية)

استعرض الموقع الجغرافي وانعكاساته في تكوين الشخصيَّة، والطوبوغرافية وانعكاساتها على الشخصيَّة العراقيَّة، فالمنطقة الجبلية وشبه الجبلية تولد "**الانسان الجبلي ذلك الانسان المحدود الافق، الخاضع منذ ولادته للتقاليد المحافظة التي تربطه بالماضي بأواصر قوية، اذ لا يوجد جديد يثير فيه اي رغبة في التغيير... وفيما عدا ذلك فالجبلي نشيط شريف يحيى حياة صحية داخل نطاق الاسرة الابوية ... دأوب على العمل لا يما، خشن يتحمل المشاق لا يعرف الترف ولا تهمه الراحة**"، بينما منطقة الهضبة الصحراوية "**تخلق من ساكنها نمطا اخلاقيا معينا ... يتألف هذا المركب من صفات تميز البدوي: الحرية والشجاعة والكرم والأمانة والنخوة والغيرة وصيانة الجيرة والصبر على المكاره والانفه وعزة النفس**"، أما منطقة الأهوار فتولد "**اناس لطيفون ومرحون ووديون وكرماء، الا انهم لا يستطيعون مجارات البدو في حسن الضيافة، كما انهم اقل صبرا وجلدا، وبحكم طبيعة معيشتهم فأن ولاء بعضهم لبعض اقل تماسكا وتكاد عادة اخذ الثار معروفة عندهم، وربما يعود ذلك الى كون المنطقة من المناطق المعزولة التي تستقطب القبائل الضعيفة والطارئة على المنطقة. وتمتاز المنطقة بكونها من المناطق التي يتعذر بشكل كبير القيام فيها بعمليات عسكرية فيما لو بذلت محاولة القبض على المخالفين منهم، واذا فقد كانت ملجأ امينا لبقايا الشعوب المغلوبة من اقدم عصور التاريخ**"، والهضبة السهلية، في الريف ظهرت سمات "**التعاون وحب العمل الجماعي وتنظيم العمل وتقسيمه**"، وفي المدن السكان منحدرون من بيئات ريفية أو بدوية والقليل من الأصليين، ولذلك يتأثرون ببيئاتهم الأصلية. ثم انتقل لتبيان الظروف المناخيَّة، واستخلص "**ان المناخ وخاصة ما يتعلق بكمية الامطار واختلاف توزيعها من مكان الى آخر حدد نمط الزراعة فيما اذا كانت ديمية او روائية، كما وحدد لمجموعة كبيرة من سكان العراق فيما اذا كانوا يعتمدون على حرفة حراثة الارض وزراعتها والاستقرار فيها، وكان يعتمد على تربية الحيوانات والتجول معها طابا للماء والكلاء. ولكل من هذه الشرائح الاجتماعية قيم شخصية واخرى اجتماعية مكتسبة وليست وراثية، يمكن التخلي عن السيء منها او التمسك بأفضلها عند الاختلاط والاحتكاك بين شريحة اجتماعية وأخرى**"، ليستعرض بعد ذلك الموارد الاقتصاديَّة، وينتهي بأنَّ "**هناك تأثير متبادل بين المواد الاقتصادية سواء الزراعية منها ام الصناعية وقيم الشخصية العراقية، حيث عمل التنوع في الموارد الاقتصادية والتوزيع الجغرافي لها ودرجة استثمارها على شيوع قيم شخصية اجتماعية معينة مرتبتها تختلف من شريحة اجتماعية الى اخرى كما تختلف مكانيا وعبر الزمن، الامر الذي يتطلب دراسة اعمق لتحديد المناطق والشرائح الاجتماعية التي لم تزل القيم المرغوب بها محدودة الانتشار فيها، ومن**

ثم السيطرة على المتغيرات التي تساعد على تسريع وتأثر نمو هذه القيم والتخلي عن القيم الغير مرغوب بها لاسيما وان الحرب المفروضة علينا قد افرزت الكثير من الامور التي تخدم التخطيط بهذا الاتجاه".

الباب الرابع: الإطار الأنثروبولوجي الاجتماعي

7 الشخصيَّة العراقيَّة في ضوء الأنثروبولوجي الثقافيَّة والاجتماعيَّة

قيس النوري وخالد الجابري
(كلية الآداب - قسم الاجتماع)

استهدف الكشف عن بعض أبعاد الشخصيَّة العراقيَّة المعاصرة، في الجانب الثقافي والتنظيم الاجتماعي، كما تنعكس في المواقف والاتجاهات الكامنة في القيم. ويستعرض أهم مؤشرات التغيير الاجتماعي الثقافي في العراق (زيادة الحراك الاجتماعي، تعاظم كثافة الادوار الاجتماعية، زيادة تقدير الكفاءة والقدرة، نمو أهمية الوقت، تزايد حجم المواءمة او التكيف، تقدم الوعي السياسي، نمو تماثل الشخصية)، ليبين حركة المعايير وتنظيم الشخصية، والقيم الشخصيَّة المستجدة (العملية، الانجاز، التنوع، الحسم، التنظيم، وضوح الهدف)، والقيم الاجتماعية (المساندة، المسايرة، التقدير، الاستقلال، مساعدة الآخرين، القيادة)، ليتوصل إلى أنَّ "**التركيب الاجتماعي في العراق الجديد الناهض خصوصاً في ظروف الحرب مع العدو الايراني قد تعرض الى تحولات ثقافية واجتماعية هامة تنعكس آثارها بشكل واضح على شخصية المواطن العراقي المعاصر**"، تجلت في العملية والانجاز والتنوع والحسم والتنظيم ووضوح الهدف، التي حققت قفزات تطورية نوعية، وظروف الحرب قوت المساندة، وتراجعت المسايرة، وتصاعد التقدير، وازدادت الاستقلاليَّة، والنزعة لمساعدة الآخرين، والسلوكيات القياديَّة.

الباب الخامس: الإطار النفسي

8 الشخصيَّة العراقيَّة في ضوء القيم الشخصيَّة والاجتماعيَّة: دراسة ميدانيَّة

(مديريَّة الاستخبارات العسكريَّة العامَّة – شعبة الاستخبارات النفسيَّة)

استهدف تحليل الشخصيَّة العراقية بحسب القيم الشخصيَّة والاجتماعيَّة، فعرف المصطلحات، واستعرض الدراسات السابقة، وكانت العينة (4140) بعمر (20-45) من جميع المحافظات، مدنيون وعسكريون، واستعملت مقياس القيم الشخصية (30 فقرة تقيس: العملية، الانجاز، التنوع، الحسم، التنظيم، وضوح الهدف)، والقيم الاجتماعية (30 فقرة تقيس: المساندة، المسايرة، التقدير، الاستقلال، مساعدة الآخرين، القيادة)، وتحققت من صدقهما وثباتهما، وبعد تطبيقهما وتحليلهما إحصائياً، أظهرت النتائج أنَّ جميع القيم الشخصية دالَّة، وجاءت بالترتيب: التنظيم، الانجاز والتنوع، وضوح الهدف والعملية، الحسم؛ كما كانت جميع القيم الاجتماعيَّة دالَّة، وجاءت بالترتيب: المسايرة، مساعدة الآخرين، المساندة، التقدير، القيادة، الاستقلال. ثم حللت هذه النتائج ضمن سياق الظروف الاجتماعيَّة والسياسيَّة.

أوَّل ما يُلفت الانتباه في هذا الكتاب اهتمام الحكومة بموضوع الشخصيَّة العراقيَّة، وإدراك أهميَّته وفائدته، والتوجيه ببحثه ضمن مشروع مُنظَّم موزع على جملة من المُتخصصين، واشتغال أولئك المُتخصصين بطريقة جادَّة. إلا أنَّه لم يكن بحثاً معرفياً موضوعياً خالصاً، وإنما تعبوياً إيديولوجياً من جانب، وسياسياً عسكرياً من جانب آخر، بدليل انطلاقِهِ من مُسلماتٍ بعثيَّة (**وجود شخصية قومية عربية، وان الشخصية العر اقية نسق فرعي للشخصية القومية العربية، والتي تعتمد على تر ابط في اللغة والخبرات التأريخية المشتركة والتراث المشترك والمصير الواحد**)، لغاياتٍ حربيَّة (**في ظروف الحرب مع العدوان الايراني ظهرت الحاجة الى دراسات في مجال الشخصية القومية، في ظروف الحرب مع العدو الايراني قد تعرض الى تحولات ثقافية واجتماعية هامة، الحرب المفروضة علينا قد افرزت الكثير من الامور التي تخدم التخطيط بهذا الاتجاه**)، ولذلك جاءَ مؤكداً للجوانب الايجابيَّة الحضاريَّة (**جميع الحالات الأخرى انما تمثل حالات سلوك فردية ولا يمكن سحبها على السلوك الاجتماعي لحضارة العراق القديم**)، وموجهاً باتجاه أسطرة البطل (**مما جعله يتطلع الى بطل يعلو على هذه السلطة ويوجهها كأداة في صالحهم، لا الحاكم هو جزء من تلك السلطة يعبر عن مصالحها هي رغم ان عدد من حكامه حاولوا التظاهر بهذه الصفة**)، ومحتفياً بالثقافة البدويَّة على حساب الثقافات الأخرى (**صفات تميز البدوي: الحرية والشجاعة والكرم والأمانة والنخوة والغيرة وصيانة الجيرة والصبر على المكاره والانفه وعزة النفس**)، ومُشيداً بالتطورات المهمة التي حدثت نتيجة سياسات الحكومة البعثيَّة (**العملية والانجاز والتنوع والحسم والتنظيم ووضوح الهدف، التي حققت قفزات تطورية نوعية، وتصاعد المساندة، وتراجعت المسايرة، وتصاعد التقدير، وازدادت الاستقلاليَّة، والنزعة لمساعدة الآخرين، والسلوكيات القياديَّة**)، ليصور الحياة العراقيَّة بصورة ورديَّة، ويهيئ المجتمع لظروف الحرب، بما تختزنه من موتٍ وخراب.

يُشير الكتاب إلى أنَّه (**المحاولة الأولى لدراسة الشخصية العر اقية بطريقة علمية منهجية تشمل الجو انب التاريخية والجغر افية والاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية**)، ولعلَّه بالفِعل كذلك، إذ لم تسبِقهُ محاولاتٌ مُنظَّمة ضمن مشروع مُتعدد الاختصاصات، بباحثين مُتعديين، وجوانِب مُتعددة، بدرجة مُعينة من الجِديَّة. إلا أنَّهُ – ورغم إشارتهِ إلى مقاربات الشخصيَّة الاجتماعيَّة – لم يشتغِل ضمن مُقاربة نظريَّة ومنهجيَّة ذات صلة وثيقة بدراسات الشخصيَّة الاجتماعيَّة، وإنما تحرَّك في مجال القيم، والأدق لو كان عنوانه "القيم في المجتمع العراقي"، كما أنَّه لم يوظف المنهجيات الخاصَّة بدراسة الشخصيَّة الاجتماعيَّة، كالملاحظة بالمُشاركة، والاختبارات النفسيَّة، والسير الحياتيَّة، والمقابلات المُعمَّقة، وإنما اكتفى – في الغالب – بالتحليلات النظريَّة، وفي دراسته الميدانيَّة قاسَ القيم الشخصيَّة والاجتماعيَّة، ولم يقس الشخصيَّة الاجتماعيَّة.

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي

علي الوردي

كتب علي الوردي هذا الكتاب في النصف الثاني من القرن العشرين (1965)، وهي فترة عاش فيها العراق تحولات اجتماعية عنيفة، بسبب الارهاصات السياسية الحادة والهجرة الكبيرة من مناطق الأرياف إلى المدن، وتحول الأفراد من مجتمعات زراعية قبلية إلى مجتمع مديني حديث، وهذا التحول جاء سريعاً - جراء عوامل عديدة – ولم يمهل الناس بالتطور الطبيعي، فالعراق لم يمر بمراحل تطور طبيعية متتابعة (من البداوة إلى الحضارة ثم الصناعة...) بل تعايشت فيه الأزمنة معاً، في بيت واحد تجد ابن المدينة وابن الصحراء، فهذا التكدس الزمني ولد عقلاً غير متجانس، يشعر بالازدواج القيمي بين نظامين متصارعين، بين تيار تقليدي مرتبط بالقيم العشائرية والدينية يقوم على الشرف والغيرة والتفاخر والعصبية والكرم المفرط، وتيار تحديثي استورد قيم الغرب الفردانية والعقلانية والمادية يقوم على المصلحة والمرونة والتسامح والقانون، مما انعكس على الشخصية العراقية وتناشزها المعرفي.

فالعراقي لم يستطع أن يندمج كلياً في أي من الاتجاهين، فهو يعيش في حالة وسطى متوترة، يسلك سلوك الحداثة لكنه يفكر بعقلية البداوة، ويتحدث باسم الدين بينما يعيش واقعاً نفعياً مادياً. والوردي لا يريد أن يذم العراقيين في ذلك، وإنما يصفهم بوصفهم ضحايا لتاريخ مضطرب، إذ يعيشون توتراً بين الانتماء القبلي والطموح المدني، وذلك نتيجة تصادم الأنظمة القيمية. فالعراقي مزدوج في قيمه متناقض في سلوكه، لأن تاريخه صنع فيه عقلين غير منسجمين، يسببان انشطاراً نفسياً دائمياً، إذ يكون مشحون بمطالب مثالية عالية، يجب أن يكون شجاعاً ونزيهاً ومتديناً ومثقفاً وكريماً وصبوراً، أي أن صورة الذات الاجتماعية مثالية إلى حد الكمال، لكن الواقع الاقتصادي والسياسي يفرض عليه أن يكون انتهازياً وحذراً ومتلوناً، ومن هنا تنشأ الازدواجية والفجوة بين (ما يريده أن يكون) و (ما هو عليه فعلاً). لكن يجب أن نلاحظ أن الوردي لم يكن يدعو إلى إزالة أحد الجانبين، بل إلى تحقيق توازن حضاري بين البداوة والحضارة، بحيث تتحول الازدواجية من صراع إلى تكامل. فالإنسان العراقي ليس شريراً، بل مجروح بتاريخ لم يمنحه استقراراً ليعرف نفسه، فتاريخ

العراق المليء بالاحتلالات (من المغول إلى العثمانيين إلى الاستعمار الحديث) ولد شعوراً عميقاً بالخذلان واللاجدوى، فالعراقي يشعر أنه دائماً يدفع ثمن التاريخ، دون أن يكون فاعلاً فيه، وهذه العقدة جعلته يميل إلى النقد اللاذع والسخرية السوداء كآلية دفاعية ضد الإحباط.

وقد استقى الوردي بياناته من ملاحظاته الميدانية، فهو عاش بين الناس ودرس سلوكهم في المقاهي والأسواق والمدارس، يراقب النقاشات السياسية والدينية، يسجل ردود الفعل، يلاحظ لغة الجسد والانفعال الجمعي. وكذلك من التاريخ الاجتماعي فقد أعاد قراءة التاريخ العراقي من منظور اجتماعي لا سياسي، فدرس كيف أنتجت الحروب والغزوات شخصية قلقة ومتوترة. كما كانت أحدى الأدوات التي استعملها في جمع البيانات هي ارسال طلبته القادمين من مناطق مختلفة من العراق بمجموعة من الأسئلة ليقدموا أوراقاً تتضمن الظواهر والعادات الاجتماعية في مناطقهم التي أفاد منها الوردي لتدعيم أدلته وبياناته عن المجتمع العراقي. ولعل ذلك هو الذي جعل الوردي يبتعد في كتابه عن الأسلوب الاكاديمي الجاف، وإنما كتبه بلغة أقرب إلى السوسيولوجيا الأدبية، أي دراسة المجتمع من خلال نفسه وثقافته وحكاياته.

وعلى هذا التأسيس النظري استقى الوردي مقولاته الجزئية في الشخصية العراقية، فالشعور بالقلق هو ما يفسر ظواهر مثل، الغضب السريع والانفعال الجماعي، والميل للمثالية في الخطاب مقابل الانتهازية في الواقع، والتناقض بين التدين الظاهري والسلوك اليومي. وصعوبة الاتفاق الجماعي أو بناء مؤسسات مستقرة. كما يرى أن العراقي لا يتقبل جوانب ضعفه أو خوفه، فيُسقطها على الآخرين، فيصف الحاكم بالظلم لأنه يخاف من ظلمه الداخلي، ويهاجم الفساد بينما يمارسه بطرق مختلفة، وهذا الإسقاط يولد دوامة من الصراع الاجتماعي.

ومن أهم انتقاداته أولاً: المثالية الزائفة، يرى أن الخطاب العراقي يمجد الفضيلة لكنه لا يمارسها. وثانياً: ثقافة العيب أكثر من ثقافة الذنب، فالعراقي يخاف من الفضيحة لا من الخطأ نفسه. وثالثاً: الانقسام الطبقي والطائفي، فالعراقي يعيش ازدواج الانتماء، فهو ابن عشيرة وطائفة وحزب قبل أن يكون ابن وطن. ورابعاً: الجمود في الفكر الديني والسياسي فقد دعا إلى أنسنة الفكر الديني وفصل القداسة عن النقد، معتبراً أن الجمود هو سبب تخلف المجتمع.

ويرى الوردي أن الإنسان العراقي بحاجة إلى تحرر من المثالية القهرية التي تجعله يعيش دائم الإحساس بالنقص، وتصالح مع ذاته الواقعية، حتى لو كانت ناقصة، لأن الصدق مع النفس هو بداية التطور، ووعي بالزمن المتغير، أي أن يتقبل التحول ولا يحاول أن يعيش في ماضٍ أسطوري مثالي. ويرى أيضاً أن التدين العراقي غالباً يكون وجداني وعاطفي أكثر منه عقلاني، أي أنه وسيلة للانتماء والهوية أكثر من كونه التزاماً معرفياً أو أخلاقياً، ومن هنا جاء نقده للتناقض بين الممارسات الشعائرية العالية والسلوك اليومي المتحرر من قيمها. والوردي لم يكن عدائياً أو متشائماً، بل إصلاحياً واقعياً، فقد استعمل الصدمة الفكرية كوسيلة للشفاء، فيقول: إن أولى مراحل الإصلاح أن نعرف أنفسنا كما هي، لا كما نتمنى أن تكون.

الشخصيَّة العراقيَّة: البحث عن الهويَّة

إبراهيم الحيدري

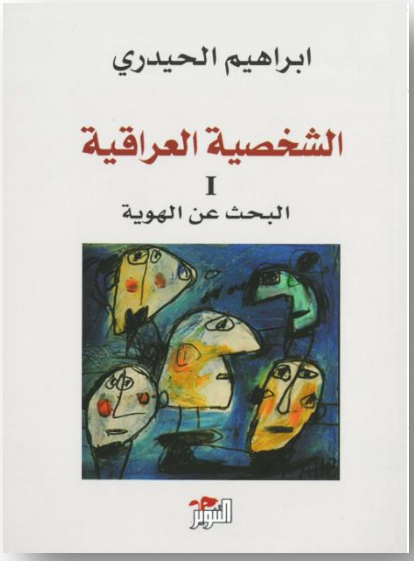

منذ الصفحات الأولى يقتادك الحيدري إلى المشهد العراقي الكبير، وكأنه مسرح مكتظ بشخصيات متعاقبة تركت كل منها بصمتها على الإنسان الذي يعيش اليوم، فالعراقي ليس شخصاً نتج من ظرف واحد أو ثقافة واحدة، بل هو ثمرة تاريخ كثيف وممتد، اختلط فيه إرث الحضارات القديمة مع تأثير الإسلام والقبيلة والسلطة المركزية والاحتلالات والدول الحديثة، يشبهه الحيدري بشجرة جذورها ضاربة في أعماق آلاف السنين لكن فروعها أثرت كثيراً في حاضر الفرد والمجتمع والسياسة والحروب.

يبدأ الكتاب بتحليل الهوية العراقية بوصفها هوية متعددة المستويات، فالعراقي ابن مدينة أو ريف، وابن عشيرة أو طبقة، وابن طائفة أو مذهب، وابن قومية ثم هو أخيراً هو مواطن في دولة حديثة. هذه العلاقات المتداخلة أفرزت شخصية مشدودة إلى جهات عديدة، ولا تعرف غالباً كيف توفق بين انتماءاتها المتصارعة. يشير الحيدري إلى أن هذا التعدد لم يكن مشكلة بحد ذاته، بل المشكلة نشأت حين تصادمت هذه الانتماءات، فعندما يطلب من الفرد أن يكون قبلياً في سياق، وحداثياً في سياق آخر، وطائفياً عندما تشتد الأزمات، ووطنياً عندما تخف، هذا التقلب يزرع في الشخصية العراقية ازدواجية واضحة، رغبة في التحرر يقابلها خوف من التفكك، بحث عن هوية جامعة يقابله تشبث بالهويات الصغيرة في لحظات عدم الأمان.

يتوقف المؤلف طويلاً عند العلاقة المتوترة بين الريف والمدينة، وكيف شكلت هذه العلاقة وجدان العراقي، فالريف برموزه العشائرية وقيمه التضامنية ظل يمثل للعراقي مجالاً للحماية والكرامة، أما المدينة فتمثل مجال السلطة والتعليم والوظيفة والاحتكاك بالآخر، وبين هذين العالمين عاش العراقي انفصاماً مستمراً، فهو يحتاج المدينة ليستقر ويترقى لكنه يعود في أزماته إلى عشيرته ليحتمي ويلجأ. ويرى الحيدري أن التحولات السريعة في القرن العشرين، خصوصاً بعد تراجع الزراعة وانتقال موجات واسعة من الريف إلى المدن، أدت إلى تمدين شكلي دون التمدين الفعلي، فالعراقي الحضري بقي يحمل في داخله الموروثات العشائرية، بينما المدينة لم تكتمل

مؤسساتها لتذيب الولاءات القديمة، وبهذا التشابك ولدت شخصية تمشي بجسد في الحاضر وقلب في الماضي.

كما يؤكد الحيدري أن الشخصية العراقية لا يمكن فهمها دون فهم العلاقة المعقدة بين العراقي والدولة، فمنذ العهود القديمة كانت السلطة في العراق قوية ومركزة وغالباً تكون قاسية، هذه العلاقة التاريخية بين الفرد والسلطة مبنية على الخوف والطاعة من جهة، والتمرد والكراهية المكتومة من جهة أخرى. فالسلطة تخضع المواطن، والمواطن يُبطن التذمر، وينتظر لحظة مناسبة للانفجار. ومع تعاقب الأنظمة الاستبدادية ثم الحروب الطويلة، ترسخت في الشخصية العراقية حالة من العنف المكبوت، وهذا العنف ليس ميلاً أصيلاً كما يشدد الحيدري، لكنه نتيجة سياقات اجتماعية وسياسية قاسية، جعلت العراقي يتعامل مع العالم بوصفه مكاناً غير آمن، وهذا الإحساس المستمر بالتهديد ولد سلوكاً دفاعياً وأحياناً هجومياً في حياته اليومية وعلاقاته الأسرية والاجتماعية.

ثم ينتقل الحيدري إلى تأثير الدين والمذهب على الشخصية العراقية، مبيناً أن التدين في العراق لم يكن مجرد علاقة فردية مع الله، بل كان ولا يزال علاقة مع الجماعة والطائفة ومع تاريخ طويل من الصراع والذاكرة. فالطائفية كما يراها ليست مشكلة دينية بقدر ما هي مشكلة اجتماعية وسياسية، إنها تتغذى من الشعور بالظلم، ومن توزيع غير عادل للسلطة، ومن استراتيجيات استعملتها الأنظمة المتعاقبة لتثبيت حكمها عبر تقسيم المجتمع. ومن هنا يصبح الانتماء المذهبي ملاذاً نفسياً للعراقي يهبه شعوراً بالانتماء عندما يفتقده في الدولة، لكنه ملاذ قد يتحول إلى جدار عازل يخلق حساسيات واحتكاكات تزيد من تشتت الهوية العامة.

يولي الحيدري أهمية كبيرة لطريقة تربية الطفل العراقي، التي يرى أنها تحمل خليطاً من الحماية المفرطة والقسوة، ومن السلطوية الأبوية والحاجة للولاء، هذه التنشئة تنتج شخصية اعتادت الامتثال لكنها مهيأة دوماً للانفجار عند تجاوز حدود معينة. فإن التربية العراقية التقليدية تشعر الطفل بأنه محاط بسلطتين، سلطة الأسرة وسلطة المجتمع وكلاهما يطالبانه بالولاء والالتزام بالسلوك المناسب، وهذا الأمر يولّد تناقضاً بين الرغبة في الحرية والخوف من العقاب أو الرفض. يتناول الكتاب أيضاً وضع المرأة العراقية، التي يصفها بأنها تعيش داخل بنية اجتماعية ذات عقلية ذكورية متوارثة، ورغم ما قدمته المرأة العراقية من دور كبير في الأسرة والمجتمع والتعليم والعمل، إلا أن القيود الاجتماعية والأعراف العشائرية وضعتها في موقع ثانوي. ويذهب المؤلف إلى أن فهم شخصية الرجل العراقي غير ممكن دون فهم العلاقة المتوترة بين الجنسين، إذ إنها علاقة تحمل في داخلها مزيجاً من السيطرة والحماية ومن الاحترام والتقييد في الوقت نفسه.

ورغم هذا المشهد المعقّد المليء بالعراقيل النفسية والاجتماعية، يرى الحيدري أن الشخصية العراقية تمتلك جانباً يصعب تفسيره بسهولة، وهو قدرة لا تُصدق على النهوض بعد السقوط، فالعراقي يعيش اليأس طويلاً لكنه لا يستسلم له تماماً، وينهار في داخله شيء ما لكنه سرعان ما يعيد

بناءه بطريقة أو بأخرى، هذا الإصرار الذي يسميه المؤلف (روح التحدي) هو ما جعل المجتمع العراقي يستمر رغم كل موجات الحروب والفقر والعنف.

في نهاية الكتاب يصل الحيدري إلى فكرة مركزية مفادها أن الهوية العراقية ليست ثابتة ولا مكتملة، بل مشروع مستمر يعاد تشكيله بتغير الظروف السياسية والاجتماعية، وهي ليست هوية واحدة بل مجموعة هويات تتعايش وتتصارع ثم تعود لتلتحم من جديد. ويرى أن المستقبل يمكن أن يحمل إمكانات هائلة لتشكل هوية أكثر اتزاناً إذا ما توفرت دولة عادلة ومؤسسات قوية وتعليم يحرر الفرد من قيود العصبيات. وبذلك يقدم الكتاب صورة بانورامية للشخصية العراقية، شخصية تحمل تناقضاتها لكنها في الوقت نفسه تحمل قدرة نادرة على الصمود، وعلى إعادة خلق ذاتها رغم كل ما يحيط بها من عواصف.

شخصيَّة الفرد العراقي

باقر ياسين

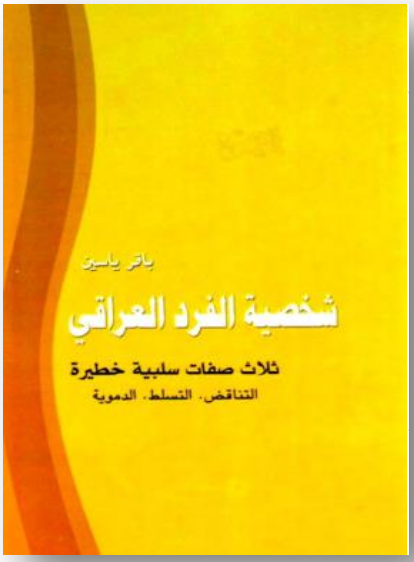

يبدأ ياسين كتابه بالقول ليست شخصية الفرد العراقي لغزاً، وإنما خلاصة تاريخ مثقل بالتوتر والانكسار والتعويض، فالعراق بوصفه أرض حضارات متراكمة وغزوات متعاقبة وحكومات مستبدة وصراعات لا تهدأ، صنع فرداً لا يشبه غيره في المنطقة، هذا الفرد يعيش ثلاث صفات مركزية أصبحت كالبنية التحتية النفسية له وهي التناقض والتسلط والدموية. فالتناقض هو انقسام بين المثال والواقع، فتبدأ قصة التناقض منذ اللحظة التي يتربى فيها الطفل العراقي على (المثاليات) داخل البيت والمدرسة والمسجد، ثم يصطدم عند أول خروج له للعالم بأن الواقع مختلف تمامًا، ويتعلم أن الصبر فضيلة لكنه يرى أن الصابر هو آخر من يحصل على حقه، ويتربى على احترام القانون لكنه يرى أن القانون قابل للالتفاف أو للمساومة، ويتلقى خطاباً روحياً يدعوه للهدوء لكنه يرى أن الصوت العالي هو الذي يسمع، هذا الانفصال بين العالمين يخلق في داخله ازدواجاً دائمياً، وجه يعرضه للعالم ووجه يحتفظ به للضرورة. وأن التناقض ليس نفاقاً بقدر ما هو آلية بقاء، فالمجتمع الذي عاش قروناً من القهر أنتج شخصية تلبس أقنعة كي تعبر الأزمنة، وهذا

التناقض يتعمّق بفعل تعدد السلطات وتضارب المرجعيات وغياب مؤسسة مستقرة للقانون والثقافة العشائرية التي تحكم في الريف مقابل الدولة الحديثة التي تحكم في المدينة. فعلى مدى قرون كان العراقي يعيش بين سلطتين متنافستين، سلطة الدولة التي لا تستقر وسلطة العشيرة التي تطلب الولاء، وبينهما يتأرجح الفرد فيتبع دائماً الأقوى أو الأكثر نفعاً، ويغير سلوكه بحسب الظروف، وهذه (الحيلة) النفسية تحولت إلى جزء ثابت من شخصية العراقي، فهي تمتلك مرونة حد التناقض وواقعية حد الاضطراب، وهي ليست كاذبة كما تتهم، بل تعيش تعدداً في الولاءات خلقته بيئة لا تمنح خياراً واحداً للحياة. وهذه الازدواجية هي مصدر كل شيء لاحق من المرونة والعصبية والحذر والخوف من الانكشاف.

يرى المؤلف أن نتيجة قرون من الانقياد الإجباري للسلطات المستبدة، حملت العراقي في داخله جرحاً عميقاً اسمه الإحساس بالنقص القهري، وحين تتاح له فرصة سلطة –ولو صغيرة– يتحول إلى ممارس شديد للقوة وكأنه يعوض ما فاته، فالتسلط ليس رغبة بالهيمنة فقط، بل نزعة تعويضية. وأن هذا التسلط ليس صفة فردية بل أصبح ثقافة سلوكية، فالأب يمارس نفوذه المبالغ فيه في البيت ويتعامل مع زوجته كجزء من ممتلكاته، والمدير الذي يصرخ في العمل يستنسخ عقلية الوالي القديم، والموظف الذي يعطل معاملات الناس، والمعلم الذي يضرب تلاميه، وحتى المثقف الذي يميل إلى احتكار الحقيقة. وما يجعل العراقي ميالاً لهذه السلوكيات هو أنه لم يعش أبداً في دولة (محايدة) وإنما كان يعيش دائماً بظل الدولة / الشخص، لذلك توارث العراقي فكرة أن السلطة شخصية لا مؤسسية والشخص هو من يعطي وهو من يمنح وهو من يهدد. ومن هنا جاءت عقدة (الرجل القوي) فالعراقي يقدس (القائد الفحل) رغم كرهه للسلطة، لأنه يرى فيه محققاً لأمنه الرمزي، فقد يشتم الحاكم لكنه يشعر باللاستقرار إذا سقط النظام فجأة، ويخاف السلطة لكنه يحتاجها، ويكره بطش الحاكم لكنه يرتاح لهيبته. هذا التناقض يصنع شخصية تميل إلى ممارسة (ما فوقيتها) حين تستطيع، وتميل إلى الخضوع والانكسار حين تواجه سلطة أكبر منها، إنه التسلط الذي ينساب من أعلى الهرم إلى أسفله، من الحاكم إلى الوزير ومن الوزير إلى المدير ومن المدير إلى الموظف ومن الموظف إلى المواطن ومن المواطن إلى عائلته، سلسلة طويلة من ردود الفعل المتوارثة.

ويرى ياسين أن الدموية في الشخصية العراقية ليست فطرية، بل نتاج تراكم لا ينتهي من الحروب والتهديدات وبناء النجاة على حساب الآخر، فمنذ العصور القديمة وإلى يومنا هذا ارتبط مفهوم (القوة) في المخيال العراقي بالرهبة والعقاب، ولهذا حين ينهار النظام الاجتماعي أو يضعف القانون، يظهر وجه الشخصية الدموي، فالعراقي لم يختر العنف وإنما تربى عليه، فقد ألف الموت وأصبح جزءاً من الحياة اليومية، فالفرد في المجتمعات المستقرة يخاف من العنف لأنه مجهول، أما الفرد العراقي فيعرفه جيداً وعاشه ورآه، ولذلك لا يشعر بالصدمة حين يظهر في الشارع أو السياسة أو البيت، فالعنف يصبح لغة ثانية، وسلاحاً نفسياً، وطريقة لإعلان الذات. فالعراقي يملك ذاكرة جمعية مليئة بالمجازر والانقلابات والانتقامات، وهذه الذاكرة تجعله يرى العالم ساحة صراع لا

مكان فيها للضعف. لكن المؤلف يشدد على مفارقة كبيرة هي أن العراقي الذي يظهر قسوة يمكنه أن يكون في الآن ذاته أشد الناس حناناً، قسوة للحماية وحنان للعائلة، وعنف للخارج ودفء للداخل، فهو مثل جبل صلب من الخارج لكنه من الداخل يحمل قلباً هشاً يخاف أن يكسر، ولذلك تصبح القسوة درعاً أكثر منها عدواناً.

ولا يكتفي ياسين بتوصيف الصفات الثلاث، بل يعود لعواملها العميقة، ويقول إن الشخصية العراقية نتاج ثلاثة مصادر كبرى وهي التاريخ السياسي المضطرب حيث لا استقرار ولا انتقال سلمي للسلطة ولا مؤسسات حقيقية. والبنية الاجتماعية العشائرية حيث الوفاء للقوة أهم من الوفاء للقانون. والذاكرة الجمعية الجريحة حيث جيل يسلم جراحه للجيل التالي. هذه العوامل أنتجت فرداً قوي الحدس، سريع الانفعال، واسع العاطفة، لكنه يعيش دائماً على حافة الخوف. وفي النهاية لا يترك المؤلف القارئ العراقي محبط فيقول إن الشخصية العراقية ليست قدراً أعمى، وإنما هي بنية اجتماعية يمكن تفكيكها، فمتى ما استقرت الدولة وتحولت السلطة من شخص إلى مؤسسة وشعر الفرد أن القانون يحميه، حينها تبدأ الصفات الثلاث بالتراجع ويتحول التناقض إلى انسجام والتسلط إلى ثقة متبادلة والدموية إلى ضبط انفعالي. عندها فقط سيظهر العراقي كما كان يمكن أن يكون طوال تاريخه الطويل، إنسان حساس وذكي وشجاع وإنساني، فما حجب كل ذلك إلا طبقات من العنف والخوف.

الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة تحليليَّة

موفق ويسي

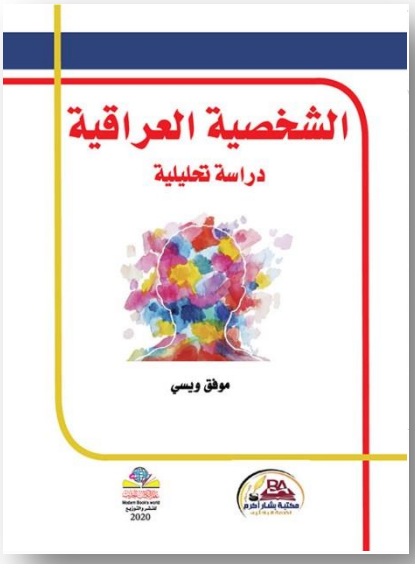

صدر هذا الكتاب في (2020)، لموفق ويسي، أستاذ علم الاجتماع في كليَّة الآداب – جامعة الموصل، وهو في الأصل رسالته للماجستير في كليَّة الآداب – جامعة بغداد، بإشراف قيس النوري، سنة (1989)، بعنوان "**سمات الشخصيَّة العراقيَّة في كتابات الاجتماعيين العراقيين**". وتضمَّن بابان، كل بابٍ بثلاثة فصول.

الباب الأوَّل كانَ مُقدمة نظريَّة عامَّة. الفصل **الأول** بين طبيعة البحث وأهدافه ومنهجه ومفاهيمه؛ إذ استهدف البحث تحديد السمات

البارزة للشخصيَّة العراقيَّة كما وردت في كتابات الاجتماعيين العراقيين ومناقشتها وتحليلها وتقييمها، وحدد منهجه بالتحليلي التقويمي الذي يحلل الكتابات لتبيان مدى اتساق نتائج البحث ومدى انسجام منطق الباحث مع نتائجه ومدى إقحام آراء الباحث على منطق تحليل النتائج، وعرف الشخصيَّة والشخصيَّة الاجتماعيَّة والشخصيَّة المنواليَّة والشخصيَّة الأساسيَّة والشخصيَّة القوميَّة والثقافة والتنشئة الاجتماعيَّة والقيم والسِمات. والفصل **الثاني** استعرض تاريخ البحث في الشخصيَّة القوميَّة، وجملة من الدراسات العربيَّة والاجنبيَّة عن الشخصيَّة القوميَّة. والفصل **الثالث** استعرض نظريات الشخصيَّة ونظريات الثقافة والشخصيَّة ومُحددات الشخصيَّة؛ فأشار إلى نظريَّة الأنماط ونظريَّة السمات ونظريَّات التعلم والظاهراتيَّة ونظريَّة التحليل النفسي، ثم أشار إلى نظريَّة روح الثقافة ونظريَّة أسلوب النظر إلى الحياة ونظريَّة البناء الأساسي للشخصيَّة ونظريَّة الثيمات ونظريَّة الشخصيَّة المنوالية، لينتهي عند تحديد كلوكهن وموري للمحددات الأربعة للشخصيَّة: المحددات التكوينيَّة ومحددات عضويَّة الجماعة ومحددات الدور الاجتماعي ومحددات الموقف.

الباب الثاني بحث في سمات الشخصيَّة العراقيَّة في كتابات الاجتماعيين العراقيين. الفصل **الأول** تناول الشخصيَّة من منظور القيم، وناقش فكرة ازدواجيَّة الشخصيَّة؛ فاستعرض مفهوم القيم ووظيفة القيم ومنشأ القيم وتناقضات القيم، لينتقل إلى ازدواجيَّة القيم، وبالتحديد فكرة ازدواجيَّة الشخصيَّة العراقيَّة عند الوردي، واستعرض مقولاته عن البداوة والحضارة، ونقد تلك المقولات، بوصفها لا تمُثل بالفعل الانقسامات والمواقف في المجتمع العراقي، إضافة إلى إغفالها التغيرات الواسعة والعميقة التي حدثت في المجتمع العراقي، وفيما يخص تكريسها للإزدواجيَّة، يناقش طروحات الوردي التفسيريَّة، مُتمثلة – أولاً – بانقسام أسلوب الحياة بين الرجل والمرأة، فيراه قضيَّة طبيعيَّة لا تستدعي التناقض، فهي أدوار مُتكاملة، وثانياً بانقسام المُثُل والفعل، فيراه حالة طبيعيَّة أن تمتلك المجتمعات مثلها وقيمها المطلقة، وليس من المتوقع مطابقة تلك المُثل، ولكن ما لاحظه الوردي تناقض بين قيم تقليدية وقيم حديثة نتيجة ما كان يحدث في ذلك الزمن من تغييرات اجتماعيَّة وسياسيَّة، وهي تعم الدول العربيَّة كافَّة. والفصل **الثاني** تناول الشخصيَّة من منظور السلوك الاجتماعي، وناقش فكرة قلق الشخصيَّة؛ فاستعرض الفرد في المجتمع والتنشئة الاجتماعيَّة والاتجاهات المُكتسبة والأدوار الاجتماعيَّة، ثم انتقل إلى محاولة الطاهر، وسمة القوقعة والقلق في الشخصيَّة العراقيَّة، وبعد مناقشة مقولاته في ذلك المجال توصَّل إلى أنَّ الطاهر كان يحاول تقويض نظريَّة الوردي، لكونها وصفت الشخصيَّة بمرض نفسي واختزلت الصراعات في البداوة والحضارة، ووقع هو في ذات المنزلق، إذ وصف الشخصيَّة بالقلق وأرجع السبب إلى عامل واحد هو الانتماء القوقعي مرة وتعدد الأدوار الاجتماعيَّة مرَّة ثانية، مع كون فكرته أقل وضوحاً من فكرة الوردي، وعرضه لها كان مشوشاً، ولم تتهيأ له الأدوات اللازمة ولا الاهتمام الكافي لسبر غور الشخصيَّة العراقيَّة. والفصل **الثالث** تناول الشخصيَّة من منظور التغير؛ في محاولة – غير صريحة

- لتقديم رؤية ثالثة، ذات نزعة القوميَّة، فاستعرض مفهوم التغيير وعوامله وصلته بالقادة ووسائل الاتصال الجماهيري، وجاء إلى الشخصيَّة العراقيَّة ليؤكد أنها كانت في سياق التغييرات التحررية والإيديولوجية في المجتمع العربي بعد الحرب العالمية الثانية، كما يُحدد إلياس فرح، وتطرق للتحولات السياسيَّة والاقتصادية والتكنولوجية والحرب ووسائِل الإعلام، مؤكداً أنَّ العراق شهد حركات سياسية وإيديولوجية طورت وعيه السياسي والاجتماعي، ومحاولات تحديث اقتصادي وتكنولوجي حسنت الوضع المعاشي، والحرب صهرت العراقيين وأعادت صياغة جوانب كثيرة، وقد سرعت ووجَّهت وسائل الاتصال الجماهيرية التغيير الاجتماعي والثقافي.

بدايةً لم نجد من "الاجتماعيين العراقيين" إلا الوردي والطاهر، في الفصلين الأول والثاني من الباب الثاني، بينما الفصل الثالث يبدوا مُقحماً إذ لم يتضمن "اجتماعيين عراقيين". وقد كان الباب الأول، بفصوله الثلاثة، نظرياً، وفي الحقيقة لم يستفد منه الباحِث – أبداً – في بابه الثاني، فكان مجرد استعراض لا صلة له بهدف البحث. وفي الفصلين المعنيين بالوردي والطاهر نجد كذلك مقدمات نظرية طويلَة. أما في تحليل ومُناقشة آرائهما فالكاتب لم يستند إلى منهجيَّة واضحة، والغريب أنَّه أهمَل أهم معلمين: الخلفيَّة النظريَّة والمنهجيَّة الامبيريقيَّة، إذ لم يتطرق – نهائياً – إلى موضع الوردي والطاهر في خارطة الاشتغالات على الشخصيَّة الاجتماعيَّة المُبينة – إجمالاً – في الباب الأول، كما لم يُشر إلى الخلل الناجم عن كونهما استندا إلى ملاحظاتٍ انطباعيَّة، لا إلى بيانات امبيريقيَّة.

خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة والشخصيَّة المصريَّة في التأريخ القديم

مزهر الخفاجي

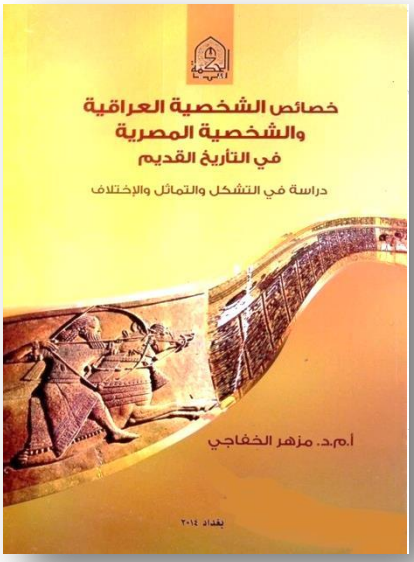

صدر هذا الكتاب في (2014)، لمزهر الخفاجي، أستاذ التاريخ القديم في كليَّة التربية/ابن رُشد للعلوم الإنسانيَّة – جامعة بغداد. وقد كانت رسالته للماجستير "**خصائص الشخصيَّة العراقيَّة في التأريخ القديم من خلال النتاج الفكري والفلسفي والأسطوري**" (2000)، وأطروحته للدكتوراه "**خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة والشخصيَّة المصريَّة في التأريخ القديم: دراسة تاريخيَّة مُقارنة**" (2003)، ويبدو أنَّ الكتاب هو مجموعهما، موزعان على بابين.

الباب الأوَّل، بلا عنوان، تضمَّن مُقدمة وأربعة

فصول، "**المقدمة**" تناولت تعريف الخصائص والشخصيَّة والحضارة وأنماط الشخصيَّة ونظريَّات الشخصيَّة ونظريَّة السِمات، مبينة أنَّ الدراسة ستحاول أن "تحدد سمات وخصائص الشخصيتين من خلال تحليل وتفكيك معطيات خطاب هذه الشخصية الأسطوري أو الفلسفي والفكري والأدبي"، **الأول** "العراق: التسمية والأقوام والهجرات والاستجابة التاريخيَّة"، تناول فيه جذور التسمية والموقف والأدوار التاريخيَّة والأقوام والهجرات، والخلفيَّة الحضاريَّة والاجتماعيَّة للحضارات العراقيَّة، **والثاني** "البنية المجتمعيَّة والسياسيَّة للحضارات العراقيَّة وأثرها على نمو واستجابة الشخصيَّة العراقيَّة، تناول فيه البنية المجتمعيَّة والسياسيَّة والخصائص الاجتماعيَّة السومريَّة والبابليَّة والآشوريَّة، **والثالث** "الخصائص الفرديَّة والجمعيَّة والحضاريَّة ودورها في بناء الشخصيَّة العراقيَّة"، تناول فيه الخصائص الفرديَّة (البطولة، الخلود، الأخلاق، الموت، القلق، الذكاء، السحر، الشك، الحزن، الحب) والجمعيَّة (الملكيَّة، التدين، الخطيئة، الطاعة، الأحلام، العرافة، النظام، تقديس الاسم، الحكمة) والحضاريَّة (التحدي، الصراع، الحرب، الثورة، الاكتشاف)، **والرابع** "الدور الفكري والفلسفي والحضاري للشخصيَّة العراقيَّة وأثره في التاريخ القديم"، تناول فيه الدور الفكري والفلسفي والأسطوري والأدبي والفني والمعرفي والعلمي للشخصيَّة العراقيَّة في الحضارات الأخرى. وبعد تتبعات تفصيليَّة، انتهى إلى "**استنتاج تاريخي**" يفيد بأنَّ "دراسة الخلفيَّة التاريخيَّة والحضاريَّة للشخصيَّة العراقيَّة في التاريخ القديم يظهر بشكل جلي عبقرية هذه الشخصية، والتي ساهمت بعد ذلك في خلق عبقرية المكان وعبقرية الحضارة ... كانت الحضارة العراقية ابتكار عراقي محلي أصيل ساهمت في صنعها شخصية عراقية حقيقية مهما تعددت تسمياتها أو بيئاتها أو حضاراتها، فالحضارة العراقية كانت نسيجا واحدا جسده تفاعل وتلاحم قل نظيره استمر به فعل الشخصية ذاتها التي ارتقت به سدة السبق الحضاري الريادي ... تميزت الشخصية العراقية عبر تاريخها الطويل باستجابة حضارية تؤكد حيوية هذه الشخصية وتجددها، وقد تناسبت طردياً مع حجم التحديات التي واجهتها هذه الشخصية برغم تعدد مستويات هذا التحدي، والاستجابة النموذجية خصيصة من خصائص الشخصية العراقية عبر التاريخ ... وكان جنوح الشخصية العراقية للفعل البطولي مفاده حجم التضحية التي يواجهها الفرد في حياته، فأبطالهم العراقيون هم من النوع المألوف تهجس بطولتهم في مقارعتهم للطبيعة الصعبة ودفاعهم عن حضارتهم أمام هجمات الآخرين المُتربصين، وكان بحثهم عن الخلود ما هو إلا رغبة من الإنسان العراقي القديم في الاستمرار في الحياة والتي كان يشعر أنه جدير به لاسيما وأن بصره يهجس عن كثب تناقص الأشياء من حوله ... وأما خوفه من الموت فمرتبط بذاكرته للحظة كريهة، وهي تذكره بالمكان الذي لا نور فيه والذي يتحول فيه إلى تراب لا حياة فيه، وهو رغم هذا وذاك كان إنسانا خلوقا تجسدت أخلاقيته في حبه للطهارة في الروح والجسد، وكان الخوف من المجهول خصيصة أخرى في الشخصية العراقية سببها يبدو إحساس الفرد بالضعف والتضاؤل إزاء قوى طبيعية غير مسيطر عليها. فكان يلجأ للسحر نتيجة لاعتقاد هذه الشخصية بالفاعلية الفورية لعدد من الأفعال

الاجتماعية بغية خلق نتائج جديدة، وكانت هذه الأفعال بحق أداة تنفيس ذهنية وعاطفية دوافعها الخوف من الطبيعة والشعور بالفشل، وهذا الاحساس أو الشعور هو الذي جعل الشك ميزة أو ملمحاً من ملامح الشخصية العراقية .... والحزن العراقي القديم كان ألماً نفسانياً يغمر الروح أو النفس كلها انعكست في كثير من آدابه وأساطيره، وكان رغم هذا الحزن شخصاً محباً للحياة، لأن الحب فيه سجية عراقية ...وحين ننتقل من خصائص الفرد إلى خصائص المجتمع العراقي نجد أن الملكية كظاهرة اجتماعية تستمد قوتها من تقاليد وأنماط اجتماعية حافظ عليها الملك والمعبود والإله عبر حزمة من التشريعات والقوانين، وهي حاجة ذاتية وموضوعية واجتماعية. واتسم المجتمع العراقي بالتدين، وهذا ليس مصادفة بل كان نتيجة بحث إنساني مستمر واختيار إلهي ... وساهم العراقي في صناعة العقل الديني لعدد كبير من الحضارات الأخرى ... لقد انتجت الخصائص الفردية والخصائص الجمعية للشخصية العراقية القديمة خصائص حضارية عامة للحضارة العراقية تمثلت بروح التحدي، والذي يعكس بحق مزاج هذه الشخصية وخواصها فأصبح العامل الحاسم الذي ساهم في نضجها مكرساً لمفهوم الطموح والإرادة ونزعة التفوق".

الباب الثاني "خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة والشخصيَّة المصريَّة في التأريخ القديم: دراسة في التماثل والاختلاف"، تضمَّن أربعة فصول، **الأول** "مصر: جذور التسمية والموقع والأدوار الحضاريَّة والأقوام"، و**الثاني** "التماثل والاختلاف في الأساطير والعقائد العراقيَّة وأثرهما على تشكُّل كل من الشخصيَّتين"، وفيه تناول تشكل العقل الديني، ومتون أساطير الخلق العراقيَّة والمصريَّة، وعقائد ما بعد الموت، وفكرة الخلود في الفكر العراقي والمصري، وعقائد الخصب وطقوس الجنس عن العراقيين والمصريين، و**الثالث** "التماثل والاختلاف في الخصائص الجمعيَّة للشخصيتين العراقيَّة والمصريَّة"، وفيه تناول طابع التدين والنزوع للحكمة وتمجيد البطولة والاحتفاء بالأخلاق والانصياع للنظام ورغبة التملك وتقديس الاسم والتنوع والوحدة، و**الرابع** "التماثل والاختلاف في الخصائص الفرديَّة للشخصيتين العراقيَّة والمصريَّة"، وفيه تناول تجنب الخطيئة والقلق والخوف والنزوع للشك والإيمان بالأحلام والعرافة والميل إلى الحزن والإيمان بالسحر وموهبة الذكاء والحُب. وبعد تتبعات تفصيليَّة، انتهى إلى "**استنتاج تاريخي**" يفيد بأنَّ "مناخ مصر وتربتها الخصبة وفيضان نيلها المعروف والمسيطر عليه وعزلتها الجغرافية المنيعة قد ساهمت في توفير حماية طبيعية لحضارة وشعب مصر من الغزوات القادمة، في حين إن ظاهرة ملوحة تربة العراق الطينية أدى إلى محاصرة الإنسان وانتقاله من مراكز حضارية متعددة وذلك تبعا للظروف الجغرافية المحيطة به، كما كان فيضان نهريه غير المسيطر عليهما وغير المنتظمين في مواعيدهما ولانفتاح أراضي هذا البلد بحدود طويلة مع أراضي أمم أخرى قد سهل غزو الأقوام الأخرى المنبهرة بحضارته والطامعة في خيراته، يضاف لها هامش المغامرة من ملوكه للسيطرة على العالم في تحقيق أحلامهم قد كبل حضاراته بمشروع العداوة الدائمي، كل هذه المظاهر الحضارية ألقت بضلالها على أداء كل من هاتين الشخصيتين وأحدثت نوعاً من التوازن النفسي في مصر المغلف بالقلق نسبياً عما كان الأمر عليه

عند العراقيين والذي شهد الاضطراب في المحيط البيئي وأضفى على روحيهما خضوعاً وخوفاً مستمراً من أخطار الطبيعة ونذرها المشؤوم وطبع شخصيتها بالخوف من المجهول فتوسل بقوى الطبيعة وأدمن على عبادتها هادفاً من خضوعه وتقديمه أنواعاً الطقوس الدينية على درء وترويض أخطارها المتربصة به"، وقد اشتركت الشخصيتين بجملة من الخصائص الجمعيَّة، كالتدين وضرورة الحكمة وتمجيد البطولة وتوكيد الأخلاق والاهتمام بالنظام والملكية الفردية وتقديس الأسماء والهوية الثقافيَّة الموحدة، والخوف من الخطيئة ورهبة الموت والخوف والقلق من المجهول وهاجس الحزن والذكاء والإبداع والحُب.

كان الكتاب جهداً توثيقياً جادَّاً ومُهماً، ولكنَّه لم يعتمد مُقاربة نظريَّة مُحددة للشخصيَّة الاجتماعيَّة، إذ لم يشتغل ضمن المنظورات الأنثروبولوجيَّة النفسيَّة المتخصصة بذلك، وإشارته إلى نظريَّة السِمات لم تكن كافية، كما لم توظَّف بطريقة مُنظَّمة، إذ لم تستند – مثلاً – إلى تحديدات تلك النظريَّة للسِمات، ولم تبنِ التمايُزات بين الخصائِص الفرديَّة والجمعيَّة والحضاريَّة على أسس نظريَّة، ولذلك جاءت التحليلات والاستنتاجات مُرتبكة.

قائمة بالكُتب المرتبطة بالشخصيَّة العراقيَّة

1	علي الوردي	1951	**شخصيَّة الفرد العراقي**: بحث في نفسيَّة الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث
2	جامعة بغداد	1984	**الشخصيَّة العراقيَّة**
3	فارس كمال نظمي	2009	**مقالات ودراسات في الشخصيَّة العراقيَّة**
4	باقر ياسين	2010	**شخصيَّة الفرد العراقي**: ثلاث صفات خطيرة: التناقض والتسلط والدمويَّة
5	قاسم حسين صالح	2011	**الشخصيَّة العراقيَّة**: المظهر والجوهر: تحليلات سيكوسوسيولوجية
6	ثامر عباس	2012	**الهويَّة المُلتبسة**: الشخصيَّة العراقيَّة وإشكاليَّة الوعي بالذات
7	إبراهيم الحيدري	2013	**الشخصيَّة العراقيَّة**: البحث عن الهويَّة
8	مزهر الخفاجي	2014	**خصائِص الشخصيَّة العراقيَّة والشخصيَّة المصريَّة في التأريخ القديم**: دراسة في التشكل والتماثل والاختلاف
9	قاسم حسين صالح	2016	**الشخصيَّة العراقيَّة**: من السومريَّة إلى الطائفيَّة
10	إبراهيم الحيدري	2017	**الثابت والمتحول في الشخصيَّة العراقيَّة**: دراسة التغيرات البنيوية التي حدثت في العراق حتى عام 2003
11	إبراهيم الحيدري	2019	**الشخصيَّة العراقيَّة** مرحلة ما بعد السقوط وتشوهات الشخصيَّة
12	وسام الشالجي	2019	**الشخصيَّة العراقيَّة تحت المجهر**: دراسة اجتماعيَّة عن طبيعة الشخصيَّة العراقيَّة وخصائصها بين السلب والايجاب على ضوء الماضي والحاضر
13	خالد الوائلي	2019	**مزايا الشخصيَّة العراقيَّة المُعاصرة**
14	موفق ويسي	2020	**الشخصيَّة العراقيَّة**: دراسة تحليليَّة
15	هيثم احمد الزبيدي	2020	**الشخصيَّة العراقيَّة**: من السومرية الى الجمهورية
16	سيار الجميل	2021	**الشخصيَّة العراقيَّة**: تفكيك الأنماط والتنوعات وإعادة التشكيل: دراسة في سوسيولوجية وسايكولوجية المجتمع العراقي المُعاصر
17	سهران حسين علي	2021	**الازدواجيَّة الثقافيَّة**: القدريَّة والعقلانيَّة في الشخصيَّة العراقيَّة: دراسة سوسيولوجيَّة
18	لقمان الفيلي	2024	**الشخصيَّة العراقيَّة** بين أجواء المقاهي والقصور والمآذن

نشاطات

أزمة السجالات التخوينية بين العراقيين

كيف يمكن الحد من التفكير التعصبي؟

الندوة العلميَّة للجمعيَّة العراقيَّة لعلم النفس السياسي

29 تشرين الثاني 2024

مُجمَل: عقدت الجمعية العراقية لعلم النفس السياسي ندوة فكرية حوارية بالتعاون مع أكاديمية بغداد للعلوم الإنسانية في بغداد، يوم الجمعة 29 تشرين الثاني 2024، بعنوان: "أزمة السجالات التخوينية بين العراقيين: كيف يمكن الحد من التفكير التعصبي؟!"، استغرقت ثلاث ساعات، وعلى جلستين. ناقشت الندوة السجالات الحادة التي انخرطت فيها فئات من العراقيين مؤخراً بأسلوب تخويني وتسقيطي للآخر، ما خلق تشنجاً مجتمعياً حيال قضايا سياسية وقانونية كان يمكن أن تُناقش بهدوء وموضوعية. وحلل الباحثون أنماطَ التفكير السياسي والاجتماعي لدى هذه الفئات بما احتوته من تعصب وتحامل وكراهية، سعياً لتحقيق فهم أعمق لشخصية الفرد العراقي.

استعرض الدكتور سعد سلوم، في مداخلته المعنونة " تحليل التوجهات الانقسامية في المجتمع العراقي من خلال رصد وتحليل خطابات الكراهية"، بعض الاتجاهات العامة لخطابات الكراهية من خلال مؤشرات رقمية لرصد وتحليل هذه الخطابات، بما يوضح التوجهات الانقسامية داخل المجتمع العراقي خلال الأعوام الماضية. مع التركيز على تحليل الفئات العمرية المنتجة لخطابات الكراهية واعطاء صورة عن جنس مروجي الكراهيات من الرجال والنساء، والحالة الاجتماعية لمروجيها، وأخيرا بعض الاتجاهات التي تعكس توجهات جغرافية مناطقية. وقدم الدكتور فراس كوركيس عزيز مداخلة بعنوان "رأس المال الاجتماعي في العراق"، شرح فيها مفهوم الرأسمال الاجتماعي، مبيناً تصنيفاته حسب المجتمعات، إذ يوجد نمط المجتمعات التي تنعدم فيها الثقة بين الأفراد، وأيضاً بين الأفراد والدولة؛ ونمط المجتمعات الأبوية التقليدية، ونمط المجتمعات التي ترتفع فيها مستويات الثقة المجتمعية. ثم أشار إلى ضعف الرأس المال الاجتماعي في العراق، مبيناً أسباب ذلك. وقدم الأستاذ إبراهيم العبادي مداخلة بعنوان "الذاكرة السياسية المشوهة وتغذية التفكير الإقصائي لدى الفرد العراقي"، تناول فيها فكرة إن السجالات التخوينية هي واحدة من نتائج الذاكرة السياسية المعطوبة أو المشوهة. فهذه الذاكرة لا تمارس الانتقائية والنفعية واستجرار المصلحة خلال عملية التذكر فحسب، بل إنها تمارس أيضاً التحيز والعزو الخاطيء بالاضافة الى تقبل الايحاء أي قبول الفرد للمعلومات الخاطئة الموحى بها اليه معتقداً انها دقيقة وصحيحة، وكل ذلك يكون مدخلاً لازدهار التفكير الإقصائي التعصبي. وسعى الدكتور لؤي خزعل جبر في مداخلته المعنونة "مِن الانتقام إلى الاحترام: صِدام العوالِم المُغلَقَة في الجِدالات الاجتماعيَّة"، لتبيان جُملة من العوامِل المعرفيَّة والاجتماعيَّة، كالمُبالَغة بالمَعرِفَة والمعرِفَة المُتمايزة والتأثيرات العكسيَّة والهويَّات الإيديولوجيَّة، التي تؤسس لحلَقَة الانتقام والانتقام المُضاد المُفرَغَة، وإمكانيَّة تفكيك تلك الحَلَقَة عبر سياق الاحترام.

مُداخلة افتتاحية

فارس كمال نظمي

سمعنا وقرأنا جميعاً عن صورة نمطية قدمها الكثير من المؤرخين والكتّاب عن أهل العراق بالقول إنهم يتصفون بالتمرد والشقاق والجدال. فالجاحظ مثلاً في القرن التاسع الميلادي قال: «**إنهم أهل نظر وفطنة ثاقبة، ومع النظر والفطنة يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الأمراء**». نحن في جمعيتنا العراقية لعلم النفس السياسي لا نتبنى هذه الرؤية في إن الطعن والقدح هي سمات تاريخية سرمدية ثابتة عند العراقيين منذ القدم وحتى اليوم. فالجزم أو عدم الجزم بهذه المسألة يتطلب بحثاً وتنقيباً عميقين بأدوات البحث العلمي التاريخي والاجتماعي والانثربولوجي والنفسي، بعيداً عن التصورات النمطية المسبقة، وهو ما لم يتحقق حتى اليوم. ولذلك نرى -بحذر- إن وجود مثل هذه السمات والنزعات الحادة قد يكون مرهوناً بظروف محددة مؤقتة، ولا يجوز تعميمها على الشخصية العراقية بشكل مطلق وثابت. ومع ذلك فإن بروز هذه **النزعة الجدالية والسجالية الإقصائية** قد فرض نفسه مؤخراً في العراق. نعلم جميعاً إن الشهور الأخيرة شهدت أحداثاً محلية وإقليمية كبيرة واستثنائية، أثارت بالضرورة قضايا فكرية وسياسية ذات طابع إشكالي وجدالات حادة وتخوينية ليس في العراق فحسب، بل في منطقة الشرق الأوسط وفي جزء مهم من العالم الغربي أيضاً.

والقضايا المحلية ذات الطابع الإشكالي معروفة، منها على سبيل المثال لا الحصر السجال الحاد بشأن **تعديل قانون الأحوال الشخصية** رقم 188 لسنة 1959، والسجال الطائفي المستميت حول **ثورة العشرين**، والتنازع حول تحديد **يوم العيد الوطني العراقي**، والجدال المنفعل حول أحقية أن يكون **عيد الغدير** عطلة رسمية أم لا يكون، وقضية "**المحتوى الهابط**" في وسائل التواصل الاجتماعي، والتراشق بألفاظ جارحة في موضوعات تخص المرأة كمفهوم "**الجندر**" وربطه الخاطئ بمفهوم المثلية، فضلاً عن قضايا مستمرة من الماضي القريب حتى اليوم، مثل الموقف من **احتجاجات تشرين** وشيطنة المشاركين فيها أو المدافعين عنها. وعلى الصعيد الإقليمي، فإن القضية الأساسية التي أثارت هذه النمط المغلق من السجالات في العراق هي **حرب غزة**، وما استتبعها من نقاشات تعصبية بين أفراد أو بين فئات، بِشأن الموقف من عملية طوفان الأقصى، وبالتالي الموقف من المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ولاحقاً اغتيال قادة المقاومة في فلسطين ولبنان. هذه القضايا والأحداث المذكورة تتسم **بتعقيدها الاستثنائي البالغ الشدة**، وانفتاحها على مستويات متعددة ومتفاعلة من التحليل والتقييم؛ لكن الذي حدث ويحدث إن غالبية الجمهور يتمسك بمستوى تحليلي واحد على نحو منغلق متجاهلاً المستويات الأخرى من الحدث، بما يقوده الى تخوين الرؤية المقابلة التي قد تتمسك بمستوى تحليلي آخر منغلق أيضاً، فيقع الطرفان في فخ التبسيط والتعصب والانغلاق والتحامل دون إمكانية مد جسور ذهنية بينهما.

إن الغاية من ندوتنا اليوم ليست مناقشة هذه القضايا أو تحليلها أو تقديم رأي تفسيري أو تقييمي حيالها أو تحديد موقف سياسي أو فكري منها، فهذا له مقام آخر واختصاص آخر يمكن أن يضطلع به آخرون. ندوتنا اليوم هي ذات **اختصاص نفسي/ اجتماعي/ ثقافي**، وتسعى لمناقشة الذهنية العراقية في سجالاتها الحادة هذه، وكيف انها تعبّر (أي هذه الذهنية) عن تشوش وتشوه إدراكيين، ونزعة شعبوية تبسيطية لتفريغ الانفعالات. فهذه الأحداث والتطورات التي ذكرتُها أدت إلى انقسام جزء مهم من الجمهور العراقي بشأنها انقساماً حاداً (سواء نخب سياسية أو رجال دين أو من عامة الناس)، بل إن شرائح مهمة من **مثقفين وأكاديميين** انخرطت فيها أيضاً. فامتلأ المجال العام في العراق (وجهاً لوجه، أو في البرامج الحوارية التلفازية، أو في شبكات التواصل الاجتماعي) بسجالات وجدالات تخوينية وتسقيطية يمارسها كل فريق تجاه الفريق الآخر، وأصبحت **نزعة التفكير الصفري** هي السائدة، أي نزعة كل طرف لتصفير الطرف الآخر. فشهدنا استخدام غير مسبوق للبذاءة في الألفاظ، وحملات الطعن في الشرف، واستهداف الحياة الشخصية للآخر، واستخدام كل أنواع المغالطات العقلية لتسفيه الخصم الفكري واعدامه معنوياً.

وهذا خلق حالة من **التشنج والتوتر المجتمعي**، في الوقت الذي كان يُنتظر أن تتم مناقشة هذه القضايا بهدوء وموضوعية نسبية بعيداً عن حملات التأثيم والشيطنة المعبأة بخطاب تعصبي عاجز عن التفاعل ولو بالحد الأدني مع الطروحات المضادة. ويبدو أن عقدين من الزمن بعد 2003 لم يفلحا في تدريب المجال العام لممارسة حد أدنى من أساليب التفكير المنفتح أو المرن. والأمر الأكثر جدية وخطورة هو إن لا شيء يضمن إن هذا الاحتدام الحاد في السجالات، سيبقى في حيز التراشقات اللفظية فقط، بل إنه يقدم مؤشرات موضوعية على اشتداد الانقسام المجتمعي، وما قد يستتبع ذلك من عواقب وخيمة على السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي. وهذا ما حفزنا على عقد هذه الندوة لتوجيه الانتباه إلى هذه الأزمة ذات الأبعاد المستقبلية، ومحاولة تحليلها واقتراح حلول بشأنها. وبالتأكيد ليس المقصود أن جميع الناس أو كل الجمهور يمارس هذه السجالات التخوينية، بل المقصود إنها باتت ظاهرة نمطية شائعة، دون أن ننكر وجود جدالات وحوارات عقلانية يمارسها البعض لكنها لا تشكل ظاهرة سائدة.

تعلمنا التجربة البشرية والأدبيات الأكاديمية إن السجالات التخوينية والبذاءة السياسية يمكن أن تتراجع لصالح مفاهيم وسلوكيات **الإقناع العقلي والحوار السلمي وعفة اللسان**، حينما تسود أوضاع تنمو فيها ثقافة سياسية واجتماعية مستنيرة ترتكز إلى احترام الرأي والرأي الآخر، بحكم تطور مناهج التعليم، وتقليل الفوارق الطبقية بين الناس، وشيوع التفكير العلمي لديهم، وازدهار ثقتهم الاجتماعية والسياسية وثقتهم بالمستقبل، وازدياد قدرتهم على التصور الجدلي للعالم.

وبالعكس، فمع **انتشار التفكير الشعبوي الساذج والمبسط**، واضمحلال قدرة الناس على التفكير المنهجي المتسلسل، بحكم تخلف مناهج التعليم، والانقسام المجتمعي الحاد، وتعاظم الفوارق الطبقية المجحفة، وأزمة الهوية الجامعة، والإحباط من الديمقراطية، واضمحلال الثقة

الاجتماعية والسياسية، وانتشار الفساد السياسي واللامعيارية في المجتمع، والتموضع النفسي في الماضي بسبب تقويض فكرة المستقبل، فإن كل ذلك يعزز تصلب وجمود أنماط التفكير لدى الناس، وبالتالي يدفعهم إلى التقوقع والتمترس خلف يقينات ذاتية منغلقة "مقدسة"، **فتنتعش البذاءة السياسية**، وتصبح الشتائم وتخوين الآخر السبيل الوحيد لممارسة أوطأ أنواع الحوار وأكثرها ضحالة. وكل ذلك ينطبق على الوضع العراقي بنسبة عالية، وهو ما يقدم تفسيراً – من بين تفسيرات أخرى- لانتشار السجالات التخوينية المغلقة. ولذلك فإن الحد من أنماط التفكير التعصبي التخويني هذه، يعدّ **مهمة تاريخية/ ثقافية/ أخلاقية** بعيدة المدى، وليس مهمة آنية ترقيعية. فإصلاح النظام السياسي، وإعادة ثقة الناس بوجودهم الاجتماعي وبدولتهم، وتحقيق مقدار معقول من العدالة الاجتماعية، وإعادة بناء الاتجاهات السياسية والأيديولوجية للناس على أساس "أنا الآخر، والآخر أنا"، بعيداً عن نزعة احتكار الحقيقة وعن نزعة اليقين الشعبوية، يمكن أن يشكل مدخلاً واقعياً وعملياً لبناء أسس الحوار السلمي والجدال العقلاني المستنير.

سنحاول من خلال مداخلات الزملاء الباحثين في هذه الندوة، تسليط الضوء على أنماط التفكير المغلق والجامد هذه، بما احتوته من تعصب وتطرف وإقصاء وتسقيط وكراهية؛ أي إننا سنركز على شخصية الفرد العراقي وأنماط التفكير السياسي والاجتماعي التي سادت لديه مؤخراً، من خلال تناول عدد من المعطيات النفسية/ الاجتماعية/ الثقافية التي برزت لدى الجمهور العراقي في تفاعله المتأزم مع هذه الأحداث. ونأمل أننا بذلك قد نفلح في تقديم رؤى وتصورات يمكن أن تسهم -نظرياً على الأقل- في الحد من هذه السجالات التخوينية، وتقدم حلولاً أولية لمغادرة أنماط التفكير الدوغماتي المغلق.

تحليل الفئات العمرية الموجهة لخطابات الكراهية وأوضاعها الاجتماعية

سعد سلوم

هل يمكن عد خطابات التخوين والسجالات الحادة التي تستخدم تهما مجانية تشيطن الآخر وتشوه سمعته، "خطاب كراهية"؟. تحاول المداخلة من خلال تحديد معايير معينة لخطاب الكراهية ان تسجل مخاطر سجالات التخوين وتأثيراتها في إحداث انقسامات مجتمعية خطيرة قد تؤدي في بعض الحالات الى العنف. وتستعين المداخلة بأرقام مركز رصد ومواجهة خطابات الكراهية في العراق في مؤسسة مسارات، والذس دأب منذ تأسيسه عام 2017 على تقديم تقارير دورية عن انماط خطابات الكراهية ومنتجيها ونسبها في السياق العراقي.

تحول الخط البياني لخطابات الكراهية: من العشو ائية الى التنظيم

تقدم أخر التقارير عن المركز مقدار التغير في رصد خطابات الكراهية وانماطه، وقد وشغلت سجالات التخوين حيزا لا يستهان به في هذه الخطابات. ولعل ابرز ما ميز رصد خطابات الكراهية هو تحول الخط البياني لتنظيم خطابات الكراهية من العشوائية الى خطابات كراهية منظمة بشكل

واضح. حيث وصلت الى قرابة 66% مقابل 34% من خطابات الكراهية العشوائية. الا ان نسبة العشوائية كانت واضحة على مدى الرصد الممتد من 2017 الى 2022، وذلك من خلال رصد جملة من المتغيرات اهمها: تشابه المفردات والرسائل الحاملة للكراهية، تقارب وقت بث رسائل الكراهية، تكرار الحسابات والاسماء المعلقة والناقلة لرسائل الكراهية، سعة مساحة تداول رسائل الكراهية، تشابه مصادر بث رسائل الكراهية وقربهم من بعضهم في الحسابات على التواصل الاجتماعي والتعليقات، انطلاق رسائل كراهية ضد شخصيات محددة من اكثر من مصدر متقارب في وقت واحد من دون وجود حدث محدد او مهم، هوية وسائل الاعلام التي تنقل رسائل الكراهية وعلاقتها مع ناقلي ومروجي ومصادر رسائل الكراهية، علاقة رسائل الكراهية بالأحداث العامة بالبلاد. ولمزيد من التوضيح ينظر الخط البياني المرفق ادناه والذي يبين مستويات خطابات الكراهية بنوعيها العشوائية والمنظمة بشكل شهري والاختلاف الواضح فيها.

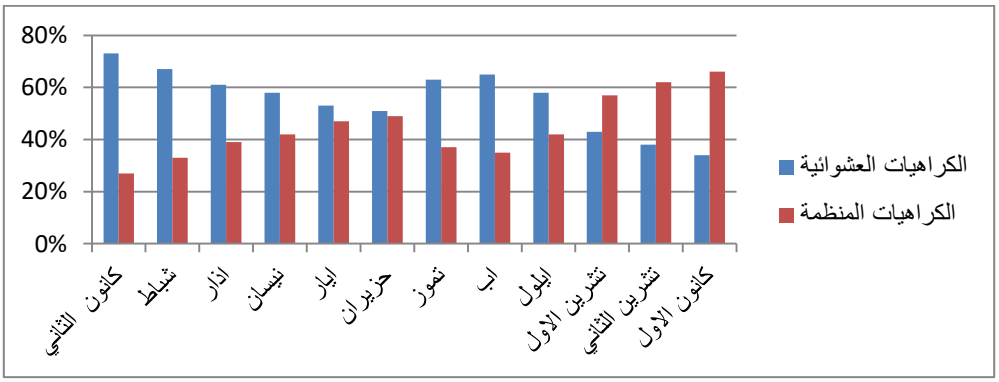

الفئات العمرية لمروجي الكراهيات

مع ان اعمار مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي لايمكن الوثوق بها لانها غير مؤكدة بوثائق رسمية ولا تخضع للتدقيق والتحقق، الا ان الاطلاع على ما مسجل منها قد يعطي صورة حول مستويات توجه الفئات العمرية لأخذها بعين الاعتبار في بناء برامج اصلاح لمروجي الكراهيات واستهدافهم لتعديل وتقويم سلوكهم واعادة تصويب مسارهم في عالم التواصل الرقمي. وبعد جمع فريق الرصد والبحث البيانات العمرية لمروجي الكراهيات ومحاولة التاكد من صحتها عبر التواصل المباشر مع اغلبهم باكثر من طريقة ابرزها: الاتصال المباشر معهم واجراء حوارات بينية، ودعوتهم لأنشطة تتناسب مع اهتماماتهم، وتدقيق المعلومات ومقاطعتها مع بعضها تمكن المركز من تبويب مستويات الاعمار لمروجي ومؤيدي خطابات الكراهية في فيس بوك وتوتر وانستغرام للعام 2023 بمعدل صحة يتراوح بين 80-86% وكما موضح في التخطيط البياني ادناه. ومن الملاحظ ان كل مروجي الكراهيات يحرصون على الاشارة في التعريف الشخصي الى حصولهم على شهادات جامعية، ومع ان فريق الرصد بذل جهدا كبيرا للتحقق من صحة هذه الادعاءات، الا ان النتائج في هذا المجال، لا يمكن اعتمادها، لابتعادها عن الواقعية.

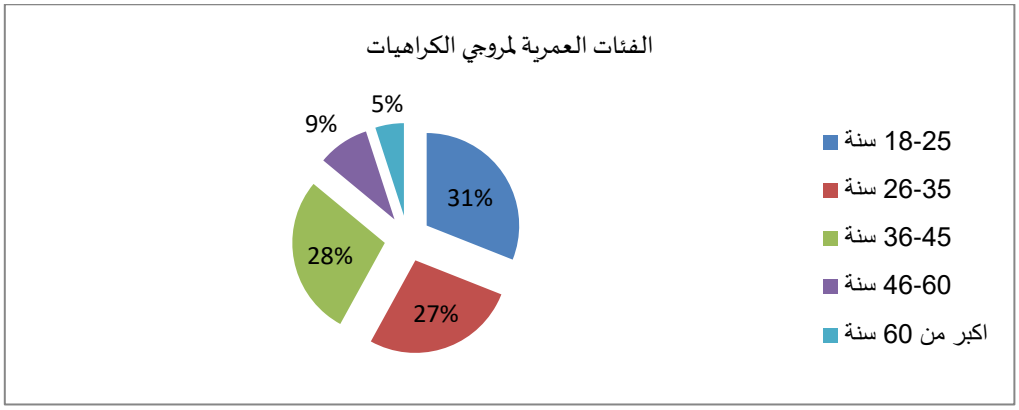

تبين النتائج الواضحة في الرسم البياني اعلاه: إن الفئات التي ولدت ما بعد 3003 ما بين (18-25) عاما تعد السوشل ميديا مجالها الحيوي اليومي، تسيطر الكراهيات على خطاب هذه الفئة العمرية في مواقع التواصل الاجتماعي ويشكلون 32% من مروجي الكرهيات، لم يشر اي منهم في ملفه الشخصي الى اهتمامه بالمطالعة او متابعة البرامج الثقافية، وهو ما يعكس اعتمادهم على مواقع التواصل الاجتماعي كمصدر لمعلوماتهم، ويشترك 58% منهم في متابعة صفحات ووكالات انباء صنفت في السابق في المركز كصفحات وهمية ومروجة للاخبار الكاذبة وخطابات الكراهية.

الوضع الإجتماعي لمروجي الكراهيات

من الملاحظات المهمة ان هذه الفئة لو نظرنا لها اجتماعيا ومن خلال التواصل المباشر مع عينة عشوائية مثلت 70 % من الفئة ذاتها شكلت النساء فيها 28% تبين التالي:

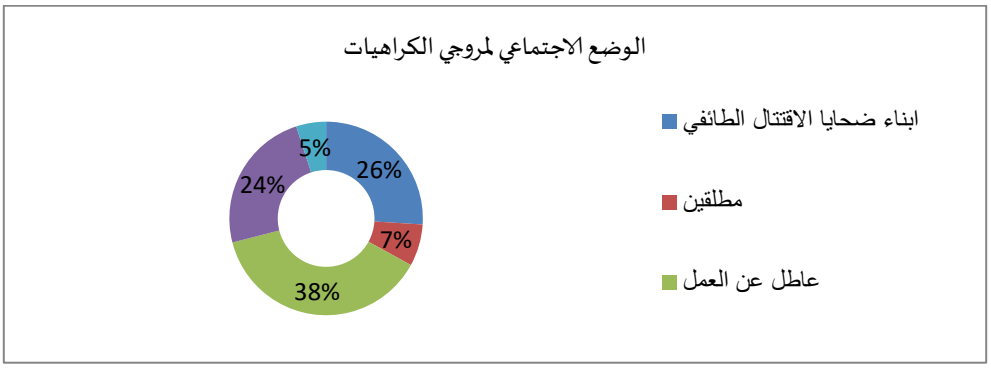

أما ال 30% الاخرى ومنهم 6% من النساء فهم مستقرين اجتماعيا واقتصاديا وعلميا ويعملون موظفين في مؤسسات عامة. وفي الفئة العمرية الثانية (26-35) نلاحظ ان نسبتهم في الترويج لخطابات الكراهية تتقارب مع الفئة الثالثة (36- 45) وهي الاعلى بين الفئات العمرية الأخرى، على نحو قد يبين انعكاسا للوضع العام الذي عاشت فيه هذه الفئات التي ولدت بين نهاية الحرب العراقية الايرانية والتحول السياسي العنيف في 2003 وعاشت فترة العقوبات الدولية على العراق 1991-2003 وحربي الخليج 1991-2003 وظروف الاقتتال الطائفي 2006-2007، وغيرها من

الاحداث والتحولات السياسية والاجتماعية التي مرت بها البلاد خلال الأعوام الماضية. والتي على ما يبدو شكلت شخصيات أفراد هذه الفئة على نحو يتأثر بمخرجات الاوضاع العامة غير المستقرة، والتي ترتبط أيضا، الى حد ما، مع الظروف المعيشية الخاصة بكل فرد.

جنس مروجي الكراهيات

أما جنس مروجي الكراهيات فكانت للرجال الغلبة فيه على النساء، حيث كانت معدلات الخطابات كالتالي: 72% من الذكور و 26% من الاناث و 2% من مصادر لم يتم تحديد جنسها. بينما كانت في العام 2022 تأتي 77% من الذكور و 23% من الاناث اذا تحدثنا على نحو مقارن.

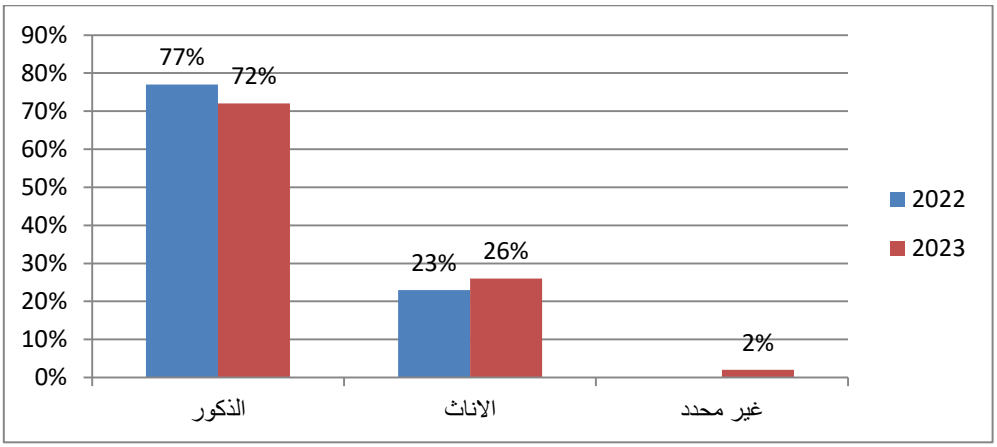

توصيات و أفكار لمواجهة خطابات الكراهية التخوينية

من المهم معالجة جذور الكراهية التخوينية من خلال تطوير فهم منهجي لطريقة تشكلها. وغالبًا ما يتمّ وتغذيتها وتعهدها وتوجيهها على يد أفراد بعينهم أو مجموعات معينة ضدَّ أفراد و جماعات أخرى تختلف في التفكير والرأي والموقف السياسي. ويمكن لرسائل الكراهية أنْ تأتي على أرض خصبة حيث توجد مشاكل اجتماعيَّة أو اقتصادية أو... أوسع نطاقًا أو انقسامات في المجتمع. في هذا السياق فإن تعدديَّة وسائل الإعلام أمر أساسيّ لتوفير المعلومات بشكل مستقلّ وموضوعيّ حيث تعرض آراء مختلفة. ولا يشير تنوع وسائل الإعلام إلى التباين بينها فحسب، بل أيضًا إلى إمكانيَّة وصول الفئات السّكانيَّة كافَّة إليها ووجود تعدديَّة في وجهات النظر بها. وعدّم تمثيل بعض الفئات السّكانيَّة بالقدر الكافي في وسائل الإعلام يعني غياب صوتها وتأثيرها في مواجهة التعبيرات السلبية.

من جهة ثانية فإن توفر بيئة قانونيَّة مناسبة يعد ضمانة للحد من تأثير هذه الخطابات، إذ ما يزال العراق يفتقر إلى قوانين محليَّة لمكافحة التمييز وخطاب الكراهية، مع وجود مواد في تشريّعات أخرى ذات صفة عقابية، فإنَّه غالبًا ما يتّسم تنفيذ القانون بالضعف وتقلُّ القضايا المعروضة على المحاكم. لذا، فإنَّ من أبرز مهام المجتمع المدني والبرلمان في المدّة المقبلة العمل على سنِّ هذه التّشريّعات وإنفاذ ما سنَّ منها.

أخيرا، فإن من المهم الزام وسائل الاعلام المحلية بعدم استضافة مروجي الكراهيات، ولا ينبغي أن يكون هناك مساحة على أي وسيلة إعلامية أو منصة تواصل اجتماعي لأولئك الذين يستخدمونها للتحريض على العنف أو الترويج لخطابات التخوين.

ليست جميع وسائل الإعلام سلاحا للتدمير والتحريض، وليس كل المحتوى متطابقا، بل هناك فرصة لتحويل المحتوى إيجابيا من خلال تشجيع وسائل الإعلام الجماهيرية للقيام بما تفعله على أفضل وجه، إخبار الجمهور بالحقائق غير المريحة، وكشف الجرائم غير العادلة، والإبلاغ عن الصراع وحقوق الإنسان بطرق تحشد التعاطف والعمل، بدلاً من تعزيز اللامبالاة تجاه المعاناة الإنسانية والاستثمار السياسي في معاناة الناس. يضاف الى ذلك أهمية تشجيع شركات التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي إلى تجاوز الاستجابات المؤقتة للطرق التي يتم بها إساءة استخدام منصاتها. والزامها بتوظيف خبراء لمعالجة المشكلة على منصاتها وتعيين موظفين مخصصين لمراقبة حقوق الإنسان وخطاب الكراهية. مثل المنصات الأكثر تأثيرا مثل فيسبوك وتويتر وغيرهما من المنصات لغرض منع خطاب الكراهية من الانتشار على الشبكات الفاعلة في مجتمعنا التعددي الذي خرج لتوه من مأساة شاملة.

وبشكل عام، فإن تعزيز دور المجتمع المدني في مواجهة خطابات الكراهية ينبغي ان يأخذ مكانه في سلم الأولويات، وفي هذا السياق نود التنويه إلى الخطوات التي أقدمت عليها مؤسسة مسارات والتي بدأت بعقد مؤتمرها الوطنيّ لمواجهة خطابات الكراهية عامّ 2016 في بغداد والذي أسفر عن إطلاق (إعلان بغداد لمواجهة الكراهية في العراق والشرق الأوسط)، ثمَّ تشكّلت لجنة لمتابعة توصيات المؤتمر، وكان من مهامها الإشراف على دراسة تحليلية لمضمون واتجاهات خطابات الكراهية في وسائل الإعلام العراقيَّة، وانتهت الدراسة بعد عامّ كامل إلى نسب وأرقام ومصادر خطابات الكراهية، ومن ثمَّ عقدت ثلاث ورش متخصصة لتحليل سبل مواجهة خطابات الكراهية، الأوّلى للإعلاميين والثانية للسِّياسيين والثالثة لرجال الدِّين، وبعد تحديد خريطة طريق أوليَّة عقد مؤتمر مسارات السنوي في البصرة لإطلاق نتائج الدراسة، وأطلق إعلان جديد لمواجهة خطابات الكراهية من البصرة وتشكَّلت لجنة لمتابعة توصيات الإعلان الجديد ومن أبرزها تأسيس (مركز وطنيّ لرصد ومواجهة خطابات الكراهية).

رأس المال الاجتماعي في العراق بعد عام 2003

فراس كوركيس عزيز

يُعد راس المال الاجتماعي احد العوامل الاساسية التي تسهم في التماسك والترابط بين افراد المجتمع، فضلاً عن دوره في تحديد مدى قدرة الدولة والنظام السياسي على تجاوز الازمات والمشكلات التي تواجه المجتمع، ومن ثم تؤدي الى استقراره وتقدمه. ويُعرف رأس المال الاجتماعي بأنه "مجموعة من القيم أو المعايير غير الرسمية المشتركة بين أعضاء جماعة ما تسمح لهم بالتعاون بعضهم مع

البعض الآخر" أو هو "مجموعة من العلاقات والروابط الاجتماعية التي تنمو في إطار شبكة اجتماعية معينة، تحكمها عدد من القيم والمعايير كالثقة والاحترام المتبادل والالتزام والتعاون، وهذه كلها قيم مجردة يصعب قياسها كمياً، كما يصعب تمييزها بشكل دقيق".

عناصر راس المال الاجتماعي

ويتمتع رأس المال الاجتماعي بمجموعة عناصر والتي يمكن تحديدها بـ: بناء اجتماعي يمتد من الأسرة ليشمل جماعات الجيرة والأصدقاء والنوادي وما يطلق عليه جماعات المساعدة الذاتية (Self-Help)؛ مجموعة من الروابط والعلاقات الاجتماعية، التي تتكون في إطار هذا البناء، والتي تقوم على مجموعة من المبادئ العامة كالثقة والتبادلية والالتزام بما تفرضه العضوية في هذه الجماعة من واجبات؛ الأفراد الذين ارتضوا الانضمام طواعية إلى هذا البناء الاجتماعي، شريطة أن يتوفر في الافراد الرغبة في التعاون مع بعضهم البعض لتحقيق أفادة متبادلة فيما بينهم؛ مجموعة من الأهداف التي يسعى أعضاء الجماعة إلى تحقيقها، وقد ترتبط الأهداف بالجماعة ذاتها، أو بالمجتمع الأوسع.

تشكيل راس المال الاجتماعي

يتشكل راس المال الاجتماعي عبر ثلاثة مراحل متداخلة تؤثر بصورة كبيرة على مدى تعزيز الثقة المجتمعية وتراجعها وهي: الالتزامات: وهي المرحلة الاولى لتشكيل راس مال اجتماعي، تبدا عندما يقوم شخص ما بمساعدة الاخرين وفق قناعة تامة وراسخة بان ما يقوم به انما يعد التزاما شخصيا تجاه المجتمع؛ التوقعات: وهي المرحلة الثانية يتوقع من خلالها الشخص ان يتلقى بدوره المساعدة من الاخرين في حال احتياجه لها، وتتزامن هذه المرحلة مع المرحلة الاولى؛ الموثوقية او الثقة: وهي المرحلة الاخيرة من مراحل تشكل راس المال الاجتماعي ويكتمل عندما تحاط العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع بأجواء من الثقة المتبادلة. وعليه يمكن القول بان تكوين راس مال اجتماعي مؤثر وفاعل يتوقف على مرتكزين اساسيين وهما: ثقة مجتمعية متبادلة ووجود مجتمع مدني فاعل ومستقل. والثقة المجتمعية التي تعتبر المرتكز الاول والاساس ننطلق من الفرضية التي قدمها المفكر الامريكي (Francis Fukuyama) الذي قام بتصنيف المجتمعات وفقاً لشكل الروابط الاجتماعية السائدة فيها إلى مجتمعات أسرية تكون فيها العائلة وصلات القرب بشكلها الأوسع كالقبيلة والعشيرة هي النواة الأساسية لأي تفاعلات اجتماعية. ومن ناحية أخرى هناك مجتمعات أشار إليها (Francis Fukuyama) بوصفها مجتمعات الثقة العالية، وهي المجتمعات التي تتنوع فيها أشكال التفاعلات الاجتماعية، بما يسمح للفرد بالانتماء لأكثر من بناء اجتماعي في الوقت نفسه وهذان النمطان من المجتمعات يقعان على خط متواتر، وتتفاوت المجتمعات في القرب أو البعد عن أي منهما وفقاً لدرجة الثقة المجتمعية الموجودة والتي يترتب عليها تفاوت ملحوظ في درجات التقدم الاقتصاي والسياسي والاجتماعي. وتصنف المجتمعات وفقاً لقوة وتأثير رأس المال الاجتماعي إلى ثلاثة أنماط وهي: مجتمعات تنعدم فيها الثقة بين الأفراد ببعضهم من ناحية، وبين الأفراد والدولة بمختلف

مؤسساتها من ناحية أخرى؛ مجتمعات أبوية، وهي المجتمعات التي يكون السبيل الوحيد لتكوين النزعة الاجتماعية هو العائلة، وتتحكم القيم التقليدية في علاقة الأفراد ببعضهم البعض، وعلاقتهم بالآخرين خارج نطاق هذه الجماعة؛ مجتمعات ترتفع فيها مستويات الثقة المجتمعية، وتتميز هذه المجتمعات بوجود نزعة قوية وعفوية نحو التواصل مع الآخرين، إذ تنتشر فيها شبكات واسعة من المؤسسات التطوعية والأبنية الاجتماعية التي تخرج فيها العلاقات الاجتماعية عن الأنماط التقليدية. ويصنف الباحث (Robert Putnam) رأس المال الاجتماعي، استناداً إلى طبيعة الرابطة التي تتكون في إطارها القيم الاساسية المكونة لرأس المال الاجتماعي، والآثار الناجمة عن استخدام هذه القيم، إلى نوعين وهما: النوع الأول: رأس مال اجتماعي خاص: وهو الذي يتكون بين مجموعة من الأفراد، الذين يشتركون في رابطة دينية أو عرقية أو اجتماعية، مثل جماعات الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية، والجماعات العرقية والقبلية في أفريقيا. وفي هذا النوع لا يؤدي استخدام وتوظيف رأس المال الاجتماعي الخاص خارج حدود الجماعات التي يتكون في إطارها أفادة المجتمع، وقد يؤدي هذا النوع إلى شيوع عدم الثقة بين أعضاء هذه الجماعات وباقي المجتمع، بما يولد حالة من العزلة، وتفكك المجتمع الواحد إلى عدة مجتمعات صغيرة. النوع الثاني: رأس مال اجتماعي رابط: وهو الذي يتكون في إطار جماعات اجتماعية قوية، تتميز العلاقات فيها بالتشعب والتعقد، فلا يرى الفرد نفسه مجبراً على الانضمام لها، ولكنه ينظم لها طواعية، ومنها مؤسسات المجتمع المدني، وتمتد الآثار الإيجابية والسلبية لنشاط هذه الجماعات خارج نطاق حدودها إلى المجتمع الأوسع، وهذا النوع من الجماعات هو الذي يكون رأس مال اجتماعي ايجابي يسهم في تحقيق الثقة المجتمعية والاستقرار المجتمعي بجوانبه المختلفة.

وفيما يخص موضوعنا (العراق) فإننا نلاحظ ضعف رأس المال الاجتماعي في العراق، وذلك لعدة أسباب، فلو رجعنا إلى تقسيمات (Francis Fukuyama) وفقاً لقوة وحجم وتأثير رأس المال الاجتماعي السابقة الذكر، فإننا سنرى بأن المجتمع العراقي يجمع بين النوع الاول والثاني من هذه المجتمعات، فالنوع الاول هو المجتمعات التي تنعدم فيها الثقة بين أفراد المجتمع، هذا من ناحية، وبين الأفراد والدولة بمختلف مؤسساتها من ناحية أخرى، والنوع الثاني هي المجتمعات الأبوية، التي تتحكم فيها القيم التقليدية في علاقة الأفراد ببعضهم البعض، وعلاقتهم بالآخرين خارج نطاق هذه الجماعة. كما أن رأس المال الاجتماعي في المجتمع العراقي هو من النوع الخاص أي (رأس مال اجتماعي خاص) الذي يتكون بين مجموعة من الأفراد الذين يشتركون في رابطة دينية مذهبية عرقية طائفية إثنية، وهذا النوع يؤدي الى تكوين رأس المال الاجتماعي ضعيف لعدة اسباب، اهمها: ضعف الثقة بين أفراد المجتمع العراقي، وذلك لكونه (المجتمع العراقي) مجتمع تقليدي تسود فيه القيم العشائرية والقبلية والأبوية، الأمر الذي يدفع الفرد إلى اللجوء إلى علاقاته وروابطه الأولية لتحقيق اهدافه وتلبية احتياجاته الاساسية، أي إنه مجتمع تنعدم فيه الثقة المجتمعية؛ بسبب سيادة القيم العشائرية؛ وأن المجتمع العراقي قائم على أساس التضامن الطائفي والمذهبي والأثني والعرقي،

أي إن الفرد العراقي يكون أكثر تضامناً وتعاوناً مع أبناء طائفته أو مذهبه أو قوميته أو إثنيته، وهذا الأمر يضعف من رأس المال الإجتماعي، لأن هذا النوع من المجتمعات التي تنعدم فيه الثقة المجتمعية، تكون قائمة على أساس التضامن الضيق، لا تساعد على تقدم وتطور المجتمع، لأن رأس المال الاجتماعي في هكذا مجتمعات ومنها (العراق) سيتحول إلى (رأس مال طائفي أو قومي أو إثني أو ديني أو مذهبي) أي إنه سيتحول إلى رأس مال اجتماعي ضيق يسود بين أفراد الطائفة أو المذهب أو القومية الواحدة. وهذا الأمر سينعكس سلباً على المجتمع العراقي لأنه سيؤدي إلى شيوع عدم الثقة بين أعضاء هذه الجماعات الضيقة، وباقي أفراد المجتمع، الأمر الذي يولد حالة من العزلة، وتفكك المجتمع الواحد إلى عدة مجتمعات، لا سيما المجتمع العراقي هو مجتمع متعصب، وهذا التعصب تجسد في صورة العزلة والإنغلاق وعدم تقبل الآخر والتخوين والشك.

كما لا يمكن أن نغفل دور الأنظمة السياسية التي حكمت العراق والتي عملت إلى إضعاف الثقة بين أفراد المجتمع العراقي وترسيغ سجالات التخوين والشك وذلك لخدمة مصالحها واستمرارها في الحكم، إذ اعتمدت هذه الحكومات في ديمومة حكمها على خلق وإثارة النعرات الطائفية والعشائرية والقبلية والمذهبية وعززتها في المجتمع العراقي الأمر الذي خلق أزمة في المجتمع العراقي وهي عدم الثقة، وظاهرة الشك بالآخرين نتيجة استبداد ودكتاتورية الانظمة التي حكمت العراق لا سيما بعد عام (1958)، والتي تزايدت في ثمانينيات القرن الماضي إذ سادت ظاهرة الشك بالآخرين والتخوف من إثارة أي موضوع له علاقة بالشأن السياسي والاقتصادي الداخلي لأنه من الممكن أن يفسر تفسيراً خاطئاً، يُعرض من طرحه لخطر المطاردة من السلطات، وهذا بالتالي أفرز إشكالية في المجتمع العراقي، وهي عدم الثقة بين أفراد المجتمع، وتفكيك المجتمع وتلاشي إمكانية خلق تجمعات اجتماعية تدافع عن حقوق المجتمع وتتوحد عند الأزمات.

وبعد التغيير السياسي الذي شهده العراق في (2003/4/9) وما تلاه من احداث عززت من خطوات التحول الديمقراطي في العراق إلا أن الانقسام والصراع الطائفي والمذهبي الذي شهده العراق قد عزز من إشكالية عدم الثقة بين أفراد المجتمع، وساعد على تعزيز الولاءات الفرعية على حساب الولاء الوطني فضلاً عن ذلك كان للنخب السياسية والاجتماعية في العراق دوراً في تعميق هذه الإشكالية، إذ اعتمدت هذه النخب على اللعبة الصفرية من أجل تحقيق مكاسب وإمتيازات خاصة. إلا إن هذا لا يعني بأنه لا يوجد نخب سياسية أو اجتماعية أو دينية عملت وما زالت تعمل على معالجة هذه الإشكالية وتعمل على تعزيز الثقة بين أفراد المجتمع الواحد.

أما عن علاقة رأس المال الاجتماعي بتحقيق الثقة المجتمعية العالية، وتعزيز الديمقراطية، فهي علاقة مثيرة للجدل، إذ جرى ربط رأس المال الاجتماعي، بموضوعة الثقة المجتمعية والديمقراطية والتنمية الاقتصادية على يد عالم الاجتماع (James Coleman)، الذي اعتمد على توفر أو عدم توفر الثقة بالآخرين وبالمؤسسات لدى الأفراد. في حين ربط (Robert Putnam) رأس المال الاجتماعي بالثقة المجتمعية والديمقراطية من نقطة أساسية هي العلاقة بين

الثقة المجتمعية وديمقراطية أي مجتمع وأداء التنظيمات الوسيطة (المجتمع المدني) والذي يعرف بأنه "كل الأبنية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والقانونية التي تنتظم في إطارها شبكة معقدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الاجتماعية في المجتمع والتي تحدث بصورة ديناميكية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات التطوعية التي تنشأ وتعمل باستقلالية عن الدولة". وهي تقوم بعدة أدوار أهمها مراقبة تصرفات الحكومة، ودعم قيم المشاركة والتعاون والثقة بين أفراد المجتمع. ويعد (Putnam) أن مجرد وجود مؤسسات المجتمع المدني دليلاً على تمتع المجتمع برصيد من رأس المال الاجتماعي ونوع من الثقة المجتمعية، والذي يعد بدوره أحد أهم المؤشرات الدالة على ديمقراطية المجتمع، ويعود ذلك من وجهة نظره إلى التأثير الذي تؤديه هذه التنظيمات على أعضائها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية السياسية التي تقوم بها من خلال استخدام مجموعة من الآليات ووفقاً لمجموعة من المبادئ، وذلك ضمن سعيها لتحقيق عدد من الأهداف سواء أكانت أهدافاً عامة أم خاصة، كما يؤدي انضمام الفرد إلى أي من هذه المؤسسات إلى تنمية ثقته فيمن حوله خارج حدوده الضيقة وهي الثقة التي أسمها (Putnam) "الثقة المجتمعية"، وأكد أهميتها لقيام أي نظام ديمقراطي ناجح، إذ تمثل الركن الأساس للعملية الديمقراطية، إذ تجعل المواطن أكثر رغبة في المشاركة في شؤون مجتمعه نتيجة لثقته أن رأيه ومطالبه لهما تأثير في عملية صنع القرار.

إلا أن ما يمكن قوله هنا إنه بالرغم من أهمية وجود مؤسسات المجتمع المدني في دعم وتحقيق الثقة المجتمعية والديمقراطية، إلا إنه لا يمكن عد وجودها فقط يضفي على المجتمع طابع الثقة بين افراده، والنظام السياسي الطابع الديمقراطي، إذ إن وجود المجتمع المدني في بعض المجتمعات لم يسهم في دعم وتحقيق الثقة المجتمعية والديمقراطية، وإن رصيد المجتمع من رأس المال الاجتماعي الذي استطاعت هذه المؤسسات تكوينه لم يساعدها على تحقيق أهداف المجتمع، بل على العكس أدى إلى عزل من ينتمون إليها عن باقي المجتمع، وهو الدور الذي أدته أشكال مختلفة من مؤسسات المجتمع المدني ولا سيما تلك التي تقوم على أساس ديني، فهي وإن نجحت في استيعاب عدد كبير من الأفراد، وساعدتهم على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية متخذة من رابطة الدين أساس لوجودها إلا إنها ركزت على تنمية ولاءاتهم الضيقة، وأسهمت في توسيع الفجوة بينهم وبين المجتمع الامر الذي ولد حالات من انعدام الثقة وتوسيع سجالات التخوين بين افراده.

الذاكرة السياسية المشوهة وتغذية التفكير الإقصائي لدى الفرد العراقي

إبراهيم العبادي

تسود في المجتمع العراقي ظواهر سلبية ناشئة من الظروف السياسية والاقتصادية وانماط التثقيف والتنشئة الاجتماعية، شأنه شأن المجتمعات الأخرى، سيما التي تعيش ظروفا انتقالية واخفاقات سياسية وتنموية، وتعاني من صراعات وانقسامات تغذيها التباينات والاختلافات

المجتمعية والحزبية. عند تحليل هذه الظواهر ومحاولة اكتشاف جذورها، يجد الباحث ارتباطا وثيقا بين سيكولوجية الافراد وسلوك الجماعة التي ينتمون اليها، وعلاقة الجماعة بالجماعات الأخرى، أو بالأحرى اتجاهات هذه الجماعة إزاء تلك الجماعات، والمقصود بمفهوم الاتجاه من وجهة نظر رايتسمان ودوكس هو: توجه ثابت أو تنظيم مستقر للعمليات المعرفية والانفعالية والسلوكية. ويعرفه ألبورت بأنه: حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي، تنتظم من خلاله خبرة الشخص وتمارس تأثيرا توجيهيا وديناميا على استجابته لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بهه الاستجابة. فالاتجاه هو موقف وحكم يتبلور لدى الفرد كما قد تعبر عنه جماعة خلال تفاعلها مع القضايا والموضوعات التي تخصها او تخص الاخرين، كالمعتقدات والمنظمات والاحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. قد لا يكون الاتجاه موقفا موضوعيا، نابعا من استجابة عقلانية وخبرة متوازنة ومعايير عادلة، أذ غالبا ما تكون الاتجاهات متحيزة أو سلبية أو غير متسامحة، فهي تخضع لمؤثرات تكوينية معرفية ووجدانية تتمخض عن سلوك عملي قولي او فعلي أو رمزي، تترتب عليه نتائج في غاية الأثر المعنوي والمادي كالتعصب والعدوان والكراهية واللامبالاة وغيرها.

من الظواهر المثيرة التي شكلت نمطا (ثابتانسبيا) لشخصية الفرد والمجتمع العراقي، ظاهرة الجدل الساخن بين الجماعات الدينية والسياسية والحزبية، فمنذ تكوين هذا المجتمع بداية الفتح الإسلامي عام 14هج، والعراق مصنف تاريخيا، بانه موطن الافكار والمدارس والاتجاهات الكلامية والدينية والفلسفية واللغوية، ومع وجود واستمرار هذه التعددية حاضرا، وميل العراقيين الدائم الى تصنيف انفسهم وغيرهم الى جماعات وانتماءات مختلفة، لكن قلما ساد التسامح وطغى الاعتراف المتبادل بين هذه الجماعات الا لضرورات وفترات زمنية معدودة، وربما امكن القول ان الانقسام والتنافس الى حد الصراع والتقاتل، ظل سمة بارزة وصورة تاريخية وحاضرة لواقع العراق الاجتماعي والسياسي، وقد يكون من أسباب ذلك شيوع ظاهرة التصويب والتخطئة، تصحيح موقف الذات وإدانة موقف الاخر بوصفه خاطئا، أو قد يكون من بينها الرغبة في الهيمنة بداعي امتلاك الحقيقة والصواب، والتوجه السلطوي الى تبني أيديولوجية أو مذهب فكري او سياسي معين، وما يزال حاضر العراق السياسي والاجتماعي يضج بحالات الاختلاف والانقسام والتصارع، أو بتعبير عالم النفس العراقي فارس كمال: يعاني من تعددية دموية في ذاكرته التاريخية، جرى اصطناعها وتسويقها وتسييسها بصيغة سرديات صراعية واقصائية متطرفة (مقدمة كتاب الذاكرة التاريخية والثقافة السياسية 2018)، وماتزال الذاكرة السياسية تحتفظ بصور سلبية تغذي نزعات الاقصاء والتهميش ووصم الاخرين بالخيانة والعمالة، بما عقَد ويعقد العلاقات بين الجماعات، ويطبع السلوك السياسي بطابعه العنيف الحاد , وبما وسم شخصية الفرد العراقي والجماعات السياسية والدينية، بانها ذات اتجاهات متعصبة، وهو وسم يحتاج الى التحقق منه بحثيا (انجز الدكتور احمد إسماعيل عبود أطروحة دكتوراه صدرت في كتاب بعنوان التعصب

الديني: التوجه الثقافي وأزمة الهوية 2017). وتهدف هذه الورقة (المداخلة) الى مقاربة أولية أو إشارات نظرية لدور الذاكرة السياسية في تغذية التفكير الاقصائي لدى الفرد العراقي.

التعريفات

الذاكرة: التمثل الفاعل للماضي الجمعي الذي يشكل الهويات الاجتماعية والسياق الذي تستند عليه الذاكرة الفردية والذاكرة التاريخية الجمعية بوصفه عضوا في جماعة، أو تمثل الجماعة لماضيها سواء كان الماضي المتقاسم على نحو مشترك عفوي او الماضي المحتفى به على نحو جمعي، الذي يقنن ويمنح جوهرا لهوية الجماعة وظروفها الحاضرة ورؤيتها لمستقبلها، أو عملية تمثل الماضي المعبرة عن الصراع الاجتماعي والسياسي حول المنظورات المتعددة للماضي والمجال الذي تنخرط فيه الجماعات المحلية للتحكم بفهم الماضي المتصفة بمركزية الهوية. أما الذاكرة السياسية فنقصد بها: ذلك الجزء من الذاكرة المتعلق بالهوية والانتماءات والتاريخ السياسي والأحزاب والموقف من السلطات، مشاركة او معارضة. ونقصد بالتفكير الاقصائي: تبني أفكار ومبادئ تدعو الى حرمان او نبذ او منع افراد وجماعات من التمتع بحقوق المواطنة، مثل المشاركة السياسية والحق في التنظيم والامن الشخصي، وسيادة القانون والانتخاب والادلاء بالأصوات وابداء الرأي، والمساهمة في العملية السياسية على قدم المساواة وبعدالة ودون تمييز.

الو اقع العراقي

تتسم العلاقة بين القوى السياسية والجماعات والأحزاب العراقية بمستوى من عدم التسامح وسيادة خطاب الاتهام والتخوين، يتكرس ذلك في حالات التأزم والنقاش والجدالات السياسية، التي يغلب عليها اتجاهات أيديولوجية او قومية عرقية او دينية مذهبية. يعود سبب ذلك الى التعصب الذي يعرفه البورت بأنه: التفكير السيء عن الاخرين دون وجود دلائل كافية، او هو كما يقول ماردن ومايز: اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها، ولنيوكمب واخرين تعريف أخر فهو في رأيهم: اتجاه بعدم التفضيل يمثل استعدادا للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص بوصفهم أعضاء في جماعات معينة. فالتعصب هو السبب المحفز للانفعال السلبي والسلوك التمييزي ومشاعر الكراهية، وهو حكم مسبق يعتمد صورا نمطية وادراك ناشئ من اعتقادات وتصورات ومعلومات تغذيها ذاكرة الفرد او الجماعة بما تنطوي عليه من تحيز وعدم دقة وتعميم وافراط في التبسيط. ويعتقد روكيتش ان التعصب (يحدث أساسا بسبب عدم التشابه الحقيقي او المفترض بين المعتقدات، وهو يولد بصورة ملحوظة ادراكات واتجاهات عدائية بين الجماعات ما ان يحدث بينها تنافس على اية قضية، وقد يكون منشؤه شعور بان الاخرين ينتهكون معايير الجماعة وبذلك يستحقون النبذ والرفض والكراهية، أو أن الاختلافات في القيم والمعتقدات الأساسية بين جماعة داخلية وأخرى خارجية، تولد كرها بين الجماعة الداخلية والجماعة الخارجية. وأيا كانت أسباب التعصب مثل (الصراع الواقعي، والتنافس على السلطة والمكانة والموارد والمظهر والاختلافات الثقافية) فان النتيجة الطبيعية لهذا الشعور، هو

تقسيم المجتمع الى فئات وجماعات، نحن وهم، الانا والأخر. وفي السياق العراقي، فان الحياة السياسية العراقية لم تتأسس على معايير راسخة، تحفظ حقوق جميع القوى والجماعات والأحزاب والافراد، في اطار دستوري ديمقراطي قانوني،ب ل ان الثقافة القانونية والسياسية لم تنجح في ضبط ثقافة الافراد والأحزاب والجماعات، في اطار يرعى الحرية وقبول الاختلاف والرأي والرأي الاخر، أنما تتفلت المشاعر، وتظهر الاتجاهات التعصبية بسرعة، في اول بادرة اختلاف، قبل ان يتحول هذا الاختلاف الى صراع سياسي او قانوني، وذلك بسبب غلبة منطق الاستقواء والتعبئة والتحشيد، القائم على شيطنة الاخر المنافس، والاستمداد من التاريخ والذاكرة القريبة، للبرهنة على عدم استحقاق الاخر للمعاملة المتساوية، بل أن الاقصاء والنبذ هو الموقف العادل ازاءه، لأنه ينتمي (إلى) او يمثل جماعة مختلفة توصف بانها منافسة ولها موقفا مغايرا.

ما دور الذاكرة المشوهة في ذلك؟

للذاكرة دور فاعل في سيرورة هذا الموقف، كيف؟ لقد حفل التاريخ العراقي بأنماط من الصراعات والانقسامات والمعارك الايديولوجية، فقد تصارع القوميون من عرقيات مختلفة فيما بينهم، وتصارع الوطنيون المحافظون مع القوميين، وتصارع القوميون مع القوى الماركسية، وتصارع البعثيون مع القوميين، ووقف البعث ضد التيار الشيوعي، كما احتدم الصراع الدموي بين البعثيين والتيار الإسلامي، علاوة على صراع القيم بين العلمانيين والدينيين، وبين المجددين والتقليديين وبين السلفيين والحداثيين، وفي جميع هذه المعارك كانت الأطراف تدعي صوابية موقفها من الاخر انطلاقا من معايير ذاتية، ولان جميع هذه الاحداث شكلت التاريخ الحديث والمعاصر للعراق فإنها صاغت ذاكرة محملة بالمآسي ومتحيزة بالمجمل، وجاءت التفسيرات والتأويلات لتشكل سرديات عامة، وتراثا تعتمده كل فئة او جماعة لتبرئة الذات وتخطئة الاخر، فلم تعد الذاكرة موضوعية ومحايدة، تستعمل لبيان الحقيقة وتعليم الأجيال، بل أصبحت الذاكرة ميدانا بشعا للاستعمال السيء والانتقائي، يغذي دعاوى اتجاهات حزبية وسياسية وقومية، ومحاولة لتدعيم حجج هذه الفئة او تلك الجماعة ضد منافستها.

إن عمليات الاستذكار الانتقائي لا يعد تشويها للذاكرة والحقيقة فحسب، بل تساهم في عملية التجهيل والتظليل وتعزز اتجاهات التعصب التي ينتقل (مضمونها المعرفي والمعلوماتي والعاطفي) شفاها واجتزاء، بما لا يسمح ببناء سردية مغايرة تتبرأ من التطرف والعنف غير المبرر، والاندفاعات الأيديولوجية غير العقلانية. الاستعادة المشوهة للتاريخ، تعيد بناء وعي مشوه يستجر ذات الابعاد المحرضة على العنف كما تسبب بها في حينها، فتكون صورة الحاضر مكررة أو مستنسخة عن صورة الماضي، وهو ماضي اقصائي سلطوي متطرف ودموي إلى حد كبير.

أمراض التذكر

يتحدث عالم النفس ستانلي شاختار عن سبعة أساليب تتمظهر فيها تشوهات الذاكرة، منها: التلاشي السريع للحدث (النسيان، شرود الذهن، عدم القدرة على التذكر، عوق التذكر) والتحيز

والعزو الخاطئ، الاستمرارية (تذكر الإخفاق المفرد ونسيان النجاحات العديدة)، وأخيرا الإيحاء: وهو قبول الفرد للمعلومات الخاطئة الموحى بها اليه معتقدا انها دقيقة وصحيحة خصوصا عندما يفقد القدرة على التذكر، هذه التشوهات تحدث لدى اغلب الافراد، وخيانة الذاكرة امر شائع بمعنى ان الذاكرة تخفق في استحضار المعلومات لأسباب عديدة، غير ان أخطرها الذي يتعلق بالذاكرة السياسية تحديدا، وأبرزها: التحيز والعزو الخاطئ المتعمد وليس اللاشعوري، فالتحيز عملية قصدية يقوم بها الفرد حينما يستدعي الاحداث والوقائع التي تدعم حججه، ويحاول اسدال الستار على الأخرى أو المكملة أو نصف الحقيقة الاخر، لا لسبب سوى انها لا تنفعه.

يحصل أحيانا ان يتم استعمال الذاكرة في تبرئة الذات من اخطائها، وإدانة الاخر في الاحداث المتماثلة، ذلك متعلق بطبيعة الحال بعلاقة الذاكرة بالهوية الاجتماعية، وبتصنيف الذات، فالفرد المنتمي الى جماعة، يحب دائما ان يقدم نفسه وجماعته بكونه أفضل من الاخرين، ومن غير المتوقع منه ان يصنف نفسه في موقع ادنى او اقل من الاخرين، او يتقبل الاعتراف بأخطاء الجماعة التي ينتمي اليها، بما يعرض تعريفه لنفسه وجماعته الى الادانة او التبخيس، أو المسائلة المعنوية والأخلاقية، الاعتراف بالخطأ يحتاج من الفرد ان يكون في غاية الموضوعية والتجرد من التعصب الذاتي، وهي حالة ليس ميسورا بلوغها دونما عقل نقدي ومران نفسي، وهذه من الأمور التي يندر ان تحدث في سياق العلاقات بين الجماعات بغياب روح التسامح او الثقة الاجتماعية او المسؤولية الأخلاقية، إذ غالبا ما يدمج الفرد او الجماعة بين الذاكرة والهوية، لانهما مترابطان عضويا، ويدرك الفرد كما الجماعة، ان الدفاع عن الهوية التي تعبر عن الانا او الذات الجمعية أمر حتمي أو تلقائي، لذلك تستحضر الذاكرة دائما في سياق الدفاع عن الذات وتوكيد حقوقها، حتى لو كان هذا الاستحضار غير موضوعي او مشوه او متحيز، فالتماهي بين الهوية التي تشكل الذات الجمعية جزؤها الأهم، وبين الذات، يقود الى تحويل الاختلاف في الراي الى خصومة، بل الى عنف رمزي ومادي، أنها تغدو دفاعا عن الذات والحيز والوجود، وهذا ما وسم الحياة السياسية في العراق سيما في أوقات الازمات بالانفعال الشديد، واللجوء الى الاتهامات القاسية والتحريض، والحط من شأن الاخر. تمارس الجماعات السياسية هذا السلوك، وتتبادل الاتهامات والتخوين في غالب الأحيان، وتغدو الذاكرة منبعا لإشكاليات خطيرة تغذي الصراعات والتنازع، وتنمي ثقافة الثأر والعنف، فمن ابرز مهام الذاكرة منح الشعور بالاستمرارية عبر الزمن، ليعيش الفرد او الجماعة هويتهما وتمايزهما.

حلول مقترحة من منظورنفسي

إعادة بناء الثقافة عبر التنشئة والمناهج ووسائل التواصل لقبول الاخر والتخفيف من مزاج التعصب والتفرد والوثوقية المفرطة، والتحرك نحو تأسيس مناخ التعدد والتسامح والاعتراف بحقوق الاخر السياسية والثقافية والدينية؛ وفي مقابل الاستعمال المشوه للذاكرة والقراءة المتحيزة للتاريخ السياسي، والتفضيل المرضي للجماعة لغرض الهيمنة والنفوذ والاستحواذ، تبدو الحاجة

ماسة الى تنشيط الذاكرة المشتركة، وتخفيف النزاعات الحزبية والطائفية والقومية، عبر تعزيز الهوية الأكبر، هوية الجماعة الوطنية؛ وأعادة التأهيل المجتمعي، للتخلي تدريجيا عن نزعات التغلب، فالجماعات لا تتخلى عن دوغمائيتها بوجود النخب السياسية والدينية والثقافية المتصلبة سياسيا وثقافيا، وعملية التأهيل هذه لا تكون منتجة وفعالة بدون ستراتيجيات ثقافية تبدأ بالنقد الذاتي وتعليم الفرد التفكير العقلاني والتفكير النقدي تحديدا.

مِن الانتقام إلى الاحترام: صِدام العوالِم المُغلَقَة في الجِدالات الاجتماعيَّة

لؤي خزعل جبر

أودُّ في هذهِ الورقة تبيان الديناميَّات النفسيَّة الاجتماعيَّة لبناء العوالِم المُغلَقَة، التي تتجلى في الجدالات الاجتماعيَّة بشكل صِدامات تخوينيَّة مُستحِكمَة، عبر صياغة - وتفحص الفرضيَّة - الآتية: ***ما نعرِفهُ أقلُّ مما نعتقد، وهذا الأقل مرتبطٌ بمعرفة قليلة – بالأصل – عن المُختَلِف، ونتمسَّك بالقليل الأقل – بدرجة أشد - عند مواجَهَة الأدلَة المُغايرة، لأنَّ تلك الأدلَّة تُهدد الارتباطات الهوياتيَّة الإيديولوجيَّة، وذلك التهديد يولد رغبة انتقاميَّة، مما يؤسس حلقَة الانتقام والانتقام المُضاد المُفرَغَة.***

المُبالَغَة بالمَعرِفَة

قدَّم Dunning and Kruger، في دراسَة "**غير ماهر وغير مُدرك لذلك: كيف تؤدي الصعوبات في إدراك عدم الكفاءة الشخصيَّة إلى تقييمات ذاتيَّة مبالغة**" (1999)، ما صار يُعرَف بـ "**تأثير دوننغ-كروغر**" Dunning-Kruger effect، إذ **يميل الناس إلى امتلاك رؤية مفرطة الإيجابيَّة عن قدراتهم في المجالات الاجتماعيَّة والفكريَّة**. ففي أربع دراسات، وجد الباحثان أنَّ المشاركين الذين حصلوا على درجات في الربع السفلي في اختبارات الفكاهة والقواعد والتفكير المنطقي قدَّروا أدائهم وقدراتهم في النصف العلوي.

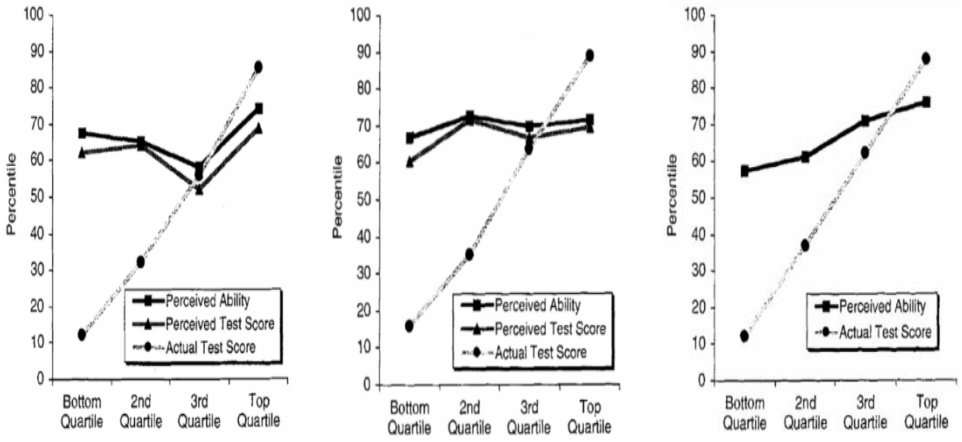

اختبار الفكاهة اختبار القواعد اختبار التفكير المنطقي

وأكَّد Dunning، في مقالته الشهيرة "**كُلنا حمقى و اثقون**" (2014)، أنَّ "العقل الجاهل ليس وعاءً خالياً، وإنما مليئاً بفوضى من التجارب الحياتيَّة غير ذات الصِلَة والمُضللة، والنظريات والحدوس والاستراتيجيات والخوارزميات والاستدلالات والاستعارات والتخمينات التي تظهر كمعرفة مُفيدة ودقيقة... هذه الفوضى نتاجٌ ثانوي مؤسف لواحدة من أعظَم نقاط قوتنا: القدرة على معرفة الأنماط والتفكير النظري... عبقريتنا في سرد القصص الإبداعيَّة، مقترنة بعدم قدرتنا على اكتشاف جهلنا، قد تؤدي – في بعض الأحيان – إلى مواقف مُحرجة أو مؤسفة أو خطيرة، خاصَّة في مجتمع ديمقراطي مُعقد، يستثمر – أحياناً – المُعتقدات الشعبيَّة الخاطئة بقوَّة مُدمرة هائلة". وفي مجال **التعصُّب**، كشف West and Eaton، في دراسة "**مُتعصب وجاهل بذلك: أدلَّة على أنموذج دوننغ-كروغر في المجالات العرقيَّة والجنسيَّة**" (2019)، عن ميل الأفراد إلى التقليل من تقدير مستويات تعصبهم. ففي دراستين حول العرقيَّة والجنسيَّة دُعمت هذه الفرضيات، إذ بالغ المشاركون في تقدير مستويات المساواة العرقيَّة والجنسيَّة لديهم، وكان هذا النمط أقوى بين المشاركين الأكثر تعصُّباً.

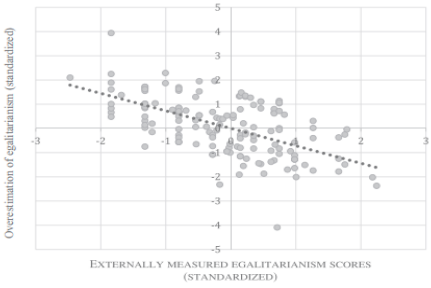

الجنسيَّة

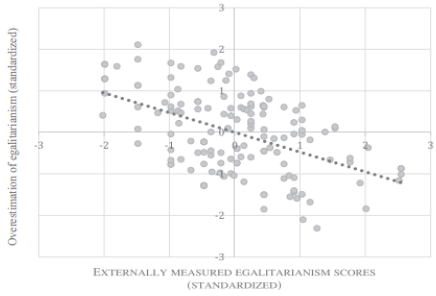

العرقيَّة

المعرِفَة المُتمايزة

أكَّد Rokeach، في كتاب "**العقل المفتوح والعقل المُغلق: دراسات في أنساق المُعتقدات و أنساق الشخصيَّة**" (1960)، أنَّ جميع مُعتَقَدات الشخص مُنظَّمَة في جزأين مترابطين: نَسَق المُعتَقَدات ونَسَق اللامُعتَقَدات. **نَسَق المُعتَقَدات** يتضمَّن جميع المُعتَقَدات أو الوضعيَّات أو التوقُّعات أو الفرضيَّات، الشعوريَّة واللاشعوريَّة، التي يقبلها الشخص في وقت مُعيَّن على أنها حقيقية للعالم الذي يعيش فيه. ويتكون **نَسَق اللامُعتَقَدات** من جميع المُعتَقَدات والوضعيَّات والتوقُّعات، الشعوريَّة واللاشعوريَّة، التي يرفضها الشخص، بدرجة أو بأخرى، في وقت مُعيَّن باعتبارها زائِفَة. ونَسَق اللامُعتَقَدات يتكون من عدة أنسَاق لامُعتَقَدَات فرعيَّة، تختلف في درجة التشابه مع نَسَق المُعتَقَدات، وأنسَاق اللامُعتَقَدات الفرعيَّة المشابهة لنَسَق المُعتَقَدات أكثر قبولاً من الأنسَاق الأقل تشابهاً. وتختلف أنسَاق المُعتَقَدات واللامُعتَقَدات بـ **التَمايُز**، فأغلَب **الناس يعرفون الحقائق والأفكار والأحداث والتفسيرات المتوافقة مع نَسَق مُعتَقَداتهم أكثر من المرتبطة بنَسَق لامُعتَقَداتهم**. وهذا يعني أنَّ نَسَق المُعتَقَدات بشكل عام أكثر تَمايُزاً من كل نَسَق لامُعتَقَدات فرعي، ونَسَقي لامُعتَقَدات فرعيين يشغلان مواقع متجاورة في مُتصل التشابه سيُنظر إليهما على أنهما أقل

تَمايُزاً من نَسَقي لامُعتَقَدات فرعيين يشغلان مواقع متباعدة، وأنسَاق اللامُعتَقَدات الفرعيَّة القريبة نسبيَّاً من نَسَق المُعتَقَدات ستكون متَمايُزة بدرجة كبيرة نسبيَّاً، في حين أنَّ البعيدة ستكون أقل تَمايُزاً. وفي **النسق المُغلَق** – بخلاف المفتوح – حجم رفض أنسَاق اللامُعتَقَدات الفرعيَّة مرتفع نسبيَّاً عند كل نقطة مِن مُتصل اللامُعتَقَدات، وهناك انعزال بين الأجزاء بين وضِمن أنسَاق المُعتَقَدَات واللامُعتَقَدات، وهناك تناقض كبير نسبيَّاً في درجة التَمايُز بين أنسَاق المُعتَقَدات واللامُعتَقَدات، وهناك تَمايُز قليل نسبيَّاً داخل نَسَق اللامُعتَقَدات.

التمسُّك بالمعرِفَة

قدَّم Nyhan and Reifler، في دراسة "**متى تُخفق التصحيحات: معاندة المعلومات السياسيَّة الخاطئة**" (2010)، مصطلح "**النواتج العكسيَّة**" Backfire effects، بمعنى أنَّ التصحيحات المُقدمة للمعلومات الخاطئة قد لا تُخفِق في تحقيق التصحيح فحسب، وإنما تقود – في كثير من الأحيان - إلى زيادة التمسُّك بتلك المعلومات. ففي أربع تجارب قرأ فيها المشاركون مقالات إخباريَّة وهميَّة تضمنت إما ادعاءً مضللاً من أحد الساسة، أو ادعاءً مضللاً وتصحيحاً، وجد أنَّ التصحيحات أخفقت - في كثير من الأحيان - في الحد من المعلومات الخاطئة عند المجموعة الإيديولوجيَّة المستهدفة، كما وثقت كثير من حالات تأثير "النواتج العكسيَّة"، إذ أدَّت التصحيحات في الواقع إلى زيادة قوَّة المفاهيم الخاطئة بين المجموعة المعنية. وفي واحدة من التجارب استُعملت قضيَّة **أسلحة الدمار الشامِل العراقيَّة** التي وظفت في تبرير احتلال العراق كأنموذج للمعلومات الخاطئة، إذ صُححت بتقرير دولفر. والتقرير هو تقرير **جماعة مسح العراق** The Iraq Survey Group (ISG)، بعثة تقصي الحقائق أرسلتها القوة المتعددة الجنسيات في العراق للعثور على أسلحة الدمار الشامل المزعومة التي يمتلكها العراق والتي كانت السبب الرئيسي المزعوم للغزو في 2003 (سُمي تقرير دولفر نسبة إلى رئيس جماعة مسح العراق **تشارلز دولفر** Charles A. Duelfer)، وتألفت من فريق دولي مكون من 1400 عضو نظمته وزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية للبحث عن المخزونات المزعومة لأسلحة الدمار الشامل. وقد أقر التقرير بأنَّه عثر على مخزونات صغيرة فقط غير كافية لتشكل تهديداً عسكرياً كبيراً.

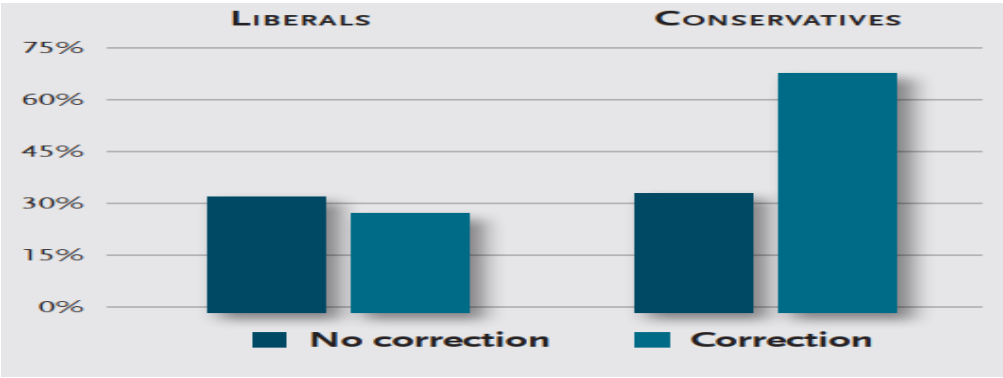

بواعِث التمسُّك

ما يجعل الفرد يُبالِغُ في معرفته أو يُمايز بين معارِفَه أو يستجيب للتصحيحات المُضادة بزيادة تمسكه بتلك المعرفة مُتجذر – في الغالِب – بارتباط تلك المعرفة **بهويَّته الإيديولوجيَّة** Ideological Identity، الشخصيَّة أو الجمعيَّة، وتهديد التصحيحات لتلك الهويَّة، بكل ما تختزنه من أبعاد فلسفيَّة وقيميَّة ومنفعيَّة. فـ "*بعض المعتقدات الخاطئة العنيدة لا تنبثق من حدوس طفوليَّة أو أخطاء تصنيفيَّة، وإنما من **القيم والفلسفات التي تُحدد الهويَّات**. فكل واحد منا لديه مُعتقداتٍ أساسيَّة مُعينة، عن الذات والنظام الاجتماعي – غير قابلة للانتهاك، لأنَّ ذلك يُهدد القيمة الذاتيَّة، فتتطلب الولاء، وكل معلومات نجمعها من العالم نُعدلها أو نشوهها أو نقلصها أو ننساها لضمان بقاء هذه المعتقدات المقدسة سليمة... كل معلومة تتعارض مع هذه المُسلمات تواجه مقاومة ذهنيَّة شديدة*" (Dunning, 2014). و"*جميع أنسَاق المُعتَقَدات - اللامُعتَقَدات تخدم مجموعتين قويتين ومتضاربتين من الدوافع في الوقت نفسه: الحاجة إلى إطار معرفي للمَعرِفَة والفهم والحاجة إلى إبعاد **الجوانب المهددة للواقع**. وبمقدار ما تكون فيه الحاجة المَعرِفَيَّة للمَعرِفَة هي السائدة والحاجة إلى درء التهديد غائبة، ستنتُج أنسَاق مُنفَتِحَة. فلتلبية الحاجة المَعرِفَيَّة للمَعرِفَة، غالباً ما يتم تُنحَّى **الضغوط الخارجيَّة والدوافع الداخليَّة غير العَقلانيَّة**، بحيث يتم التَميز بين المعلومات الواردة من الخارج وتقييمها والتصرُّف بناءً عليها بحسب المُتطلَّبات الموضوعيَّة للمَوقِف. ولكن عندما تصبح الحاجة إلى إبعاد التهديد أقوى، تضعُف الحاجة المَعرِفَيَّة للمَعرِفَة، مما يؤدي إلى أنسَاق مُعتَقَدات أكثر انغلاقاً. ففي ظل التهديد، تصبح المعلومات والمصدر غير قابلين للفصل ويجب تقييمهما بشكل تعسفي بما يتماشى مع **المكافآت والعقوبات التي تفرضها السُلطَة**... على المستوى الفردي، قد ينشأ التهديد من تجارب سلبيَّة، مؤقتة أو دائمة، والتي تتشكل من خلال – وتُشكل بدورِها - الظروف الإنسانيَّة الأوسع. وبدرجات متفاوتة، قد يصبح الأفراد مستعدين لقبول أو تشكيل أنسَاق مُنغَلِقة من التفكير والاعتقاد بما يتناسب مع الدرجة التي يشعرون بها بالوحدة والعزلة والعجز في العالم الذي يعيشون فيه*" (روكيتش، 2024). و"*تقييمات الناس للمعلومات الجديدة تتشكَّل عبر معتقداتهم، وتظهر المعلومات الخاطئة كمعتقدات صادقة. والمعلومات التي تتحدى هذه المعتقدات مرفوضَة، ويمكن أن تؤدي إلى مجموعة متنوعة من الاستجابات التعويضيَّة. ونتيجة لذلك، تكون التصحيحات غير فعالة وقد تأتي بنواتج عكسيَّة... عندما تكون المعلومات المتعلقة **بالهويَّة الاجتماعيَّة** بارزة، قد تقوض فعالية التصحيحات المتعلقة بالشخصيات العامة من خلفيات إثنيَّة أو ثقافيَّة مختلفة*" (Nyhan & Reifler, 2012).

حَلَقَة البواعِث

تولد التهديدات – في سياق المُبالغة بالمعرِفَة والمعرفة المُتمايزة – **إدراكات للظُلم ولتقليل قيمة الذات**، باعِثَةً انفعالات **الغَضَب** والاستياء من **الإهانَة**، مما يبعث **الرغبة بالانتقام** ويدفعُ لممارسته بهدف **تحقيق العدالَة وصيانَة الكرامَة**. وعندَ وقوعَهِ، يخلق الانتقام لدى الطَرَف الآخر ذات

الإدراكات والانفعالات والممارسات. فتحدُث **حَلَقَة الانتقام والانتقام المُضاد المُفرَغَة** Vicious Cycle of Revenge and Counter revenge. وتتسع هذهِ الحلقة لتُشكل **عوالِم انفعاليَّة مُغلَقَة ومُنفصلة** عند الأطراف المُتجادلة. لاسيما في **سياقٍ مُجتمعي** يشرعن الانتقام، المُعلَن والمُضمر، بل يعطيه قيمة اجتماعيَّة وأخلاقيَّة (Jackson et. al., 2019; Barber et. al., 2005; Nethanson, 2008; Diblasi & Kassinove, 2021).

تفكيك الحَلَقَة

النقديَّة الشاملة (مُحامي الشيطان): مُشكلة الإنسان صعوبة تعرفه على جهله ومُعتقداته الخاطئة، ولذلك كثيراً ما يوصي علماء السلوك الجماعات الصغيرة بتعيين شخص ما ليعمل **كمحامي للشيطان**، شخص تتمثل وظيفته في التشكيك في منطق الجماعة وانتقاده. ورغم أنَّ هذه الطريقة قد تؤدي إلى إطالة أمد المناقشات الجماعيَّة، وإزعاج الجماعة، فإن القرارات التي تتوصل إليها الجماعات - في النهاية - عادة ما تكون أكثر دقة وأكثر رسوخاً مما قد تكون عليه في ظروف أخرى. وبالنسبة للأفراد، تكمن الحيلة في أن يكون الفرد **محامي الشيطان** لنفسه: يفكر بدقَّة في الكيفية التي قد تضلله بها استنتاجاته المُفضَّلة (Dunning, 2014).

العلميَّة المُثابرة (الخطاب الدقيق والتحول الوجداني): التفكير المدفوع لا يتواصَل إلى ما لانهاية، حتى في مواجهة المعلومات الكثيرة التي تتعارض مع التوقعات، إذ يصل الأفراد إلى **نقطة تحول وجدانيَّة** يبدأون بعدها – نتيجة القلق - بتحديث تقييماتهم بدقة أكبر (Redlawsk et. al., 2010). وهناك ما يدعو إلى التفاؤل بشأن **إمكانية تصحيح المفاهيم الخاطئة** بفعالية، وخاصة بين الناس المنفتحون على الحقائق، عبر: تقديم القصة الصحيحة، والتصحيحات المبكرة، والحذر من تعميق المُشكلة، وتجنب النفي، وتقليل تكرار الادعاءات الكاذبة، والحد من الإشارات الحزبيَّة والأيديولوجيَّة، واستعمال مصادر موثوقة، والحذر من التعرض الانتقائي (Nyhan & Reifler, 2012).

النزعة الإنسانيَّة (الاحترام): تكريس قيمة **الاحترام** Respect، بمعنى "**القدرة على رؤية شخصٍ كما هو، وإدراك فردانيَّته المتفردة، والاهتمام بأنَّ الشخص الآخر إنما ينمو ويتكشف على نحو ما هو عليه، ولا يوجد إلا على أساس الحُريَّة، ولا يكون ممكناً بدون معرفة الشخص، المعرفة التي لا تتوقف عند المحيط بل تنفذ إلى اللُب، وهي لا تكون ممكنة إلا عندما أتجاوز الاهتمام بنفسي وأرى الشخص الآخر في إطاره**" (فروم، ص34-35). وتطوير هذهِ القيمة لا ينبثق – في الغالِب - من محاولات فرديَّة، وإنما مُنغرس في سياقاتٍ جمعيَّة عادلة عقلانيَّة.

المراجِع

روكيتش، ميلتون (2024) *العَقلُ المَفتوح والعَقلُ المُغلَق: دِراسَات في أنسَاق المُعتَقَدات وأنسَاق الشَخصيَّة*. ترجمة: لؤي خزعل جبر. بغداد: دار سطور.

فروم، إريك (2000) *فن الحُب: بحث في طبيعة الحُب وأشكاله*. ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد. بيروت: دار العودة.

Barber, L., Maltby, J. & Macaskill, A. (2005) Angry Memories and Thoughts of Revenge: The relationship between forgiveness and anger rumination. *Personality and Individual Differences*, 39, 253-262.

Diblasi, T. & Kassinove, H. (2021) An Exploratory Analysis of Components of Revenge Experiences. *Journal of Aggression, Maltreatment & Trauma*, DOI: 10.1080/10926771.2021.2013376.

Dunning, D. (2014) We Are All Confident Idiots. *Pacific standard*, October 27, 2014.

Jackson, J. C., Choi, V. K. & Gelfand, M. J. (2019) Revenge: A Multilevel Review and Synthesis. *Annu. Rev. Psychol.*, 70, 319–45.

Kruger, J., & Dunning, D. (1999). Unskilled and unaware of it: How difficulties in recognizing one's own incompetence lead to inflated self-assessments. *Journal of Personality and Social Psychology*, 77, 1121–1134.

Nethanson, C. (2008) *Exploring The Dynamics of Revenge*. PHD Dissertation, The University of British Columbia.

Nyhan, B. & Reifler, J. (2010) When Corrections Fail: The persistence of political misperceptions. *Political Behavior* 32(2): 303-330.

Nyhan, B. & Reifler, J. (2012) *Misinformation and Fact-Checking: Research Finding from Social Science*. New America Foundation.

Redlawsk, D. P., Civettini, A. J. W. & Emmerson, K. M. (2010) The Affective Tipping Point: Do Motivated Reasoners Ever "Get It"? *Political Psychology*, 31(4), 563-593.

West, K. & Eaton, A. A. (2019) Prejudiced and unaware of it: Evidence for the Dunning-Kruger model in the domains of racism and sexism. *Personality and Individual Differences*, 146, 111-119.

Iraqi Journal of Social and Political Psychology
A scientific journal issued by **Iraqi Association for Political Psychology**

نحو ثقافة سياسية إنسانية تحقق كرامة المجتمع وعقلانية الدولة

الجمعية العراقية لعلم النفس السياسي، جمعية مدنية عراقية غير حكومية، ذات شخصية قانونية مستقلة، تهدُف إلى: (1) **دراسة وتحليل** المشكلات والظواهر النفسية الناتجة عن تبادل التأثير بين السياسة والمجتمع، و(2) **تقديم المشورة** العلمية للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، و(3) **نشر ثقافة** سياسية مجتمعية إنسانية، و(4) **تبصير الإنسان** بمشكلاته الانفعالية والادراكية ذات الأساس السياسي والاجتماعي، و(5) إقامة **أواصر تنسيقية** وتفاعلية مع مراكز الأبحاث وأقسام العلوم الاجتماعية في الجامعات، و(6) تنشيط **العمل الأكاديمي** المشترك في اختصاصات علوم النفس والاجتماع والسياسة والتأريخ، لاجتراح تصورات فكرية أكثر عمقاً عن مجمل التأريخ السياسي والاجتماعي للعراق.

ISBN 978-9922-746-59-3

رَقمُ الإيداع في دارِ الكُتبِ والوثائِقِ
ببغداد 2676 لسَنَة 2023